# حصن السلام

## بين يدي اولاد مولاي عبد السلام

تأليف

الطاهر بن عبد السلام اللهيوى
الوهابى العلمى الحسنى

تقديم

العلامة الاستاذ عبد الله كنون

دار الثقافة

34·32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26·53·46 — 26.23.75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء

الطبعة الاولى 1398 — 1978



بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

هذا كتاب قيم حقا ، كتبه واحد من الذين يحسن أن لا يكتبه غيرهم موضوعه التعريف بالشيخ الامام عبد السلام بن مشيش وفروع النسب العلمى التى تنتمى الى السيد المذكور ، وهو موضوع قد تناولته الاقلام بكثرة ، وخص بالتآليف العديدة ، ولا سيما من أهل هذا البيت الكريم ، ومن بعض نقبائهم بالذات ، ولكنها كتابات وتآليف ان ترجمت للشيخ فباجمال لا يشفى الغليل وان ذكرت شعب النسب العلمى فانها تقف عند حدود زمانها ، وقد مر على بعضها وقت طويل .

أما الدليل الخريت والنسابة المطلع ، العالم الفاضل الجهبذ الكامل السيد الطاهر اللهيوى الوهابى العلمى صاحب هذا الكتاب ، فقد قدم لكتابه بمقدمة طويلة عريضة فى النسب النبوى الكريم ، وتسلسله فى الذرية العلوية الطاهرة ، وما يتعلق بذلك من مباحيث تاريخية ، وتراجم للائمة من آل البيت أطال فيها النفس جدا ، والمهم انه حقق فى هذا الباب مطالب تزيغ فيها الآراء فى حقوق آل البيت وواجباتهم والتشيع وضده ، وقد سلك فى ذلك مسلكا معتدلا متوسطا لا الى المغالات ولا الى التفريط ، وان كان فى بعض الاحيان تند منه كلمات بحق بعض الاكابر لا يوافق عليها مذهب أهل السنة ، وليست تزيد آل البيت الكرام فضلا ولا شرفا ، لان فضلهم وشرفهم ثابتان بغيرها وبما هو أحق منها .

أما ميزة الكتاب العظيمة فهى الترجمة الوافية للشيخ المولى عبد السلام قدس الله سره ، والتى توسع فيها جهده ، وخلصها من الشوائب ، وجلى ما كان يحيط بها من الضباب ، وقدمه فى صورة عالم عارف سنى ناسك سالك منهج أسلافه الكرام فى العمل والتقوى والجهاد وعزوف النفس والترفع عن الدنايا والاشتغال بما يعنيه من معاش لدنياه وحسنة لدينه وضرب بذلك الامثال لذريته والمنتسبين اليه ، وعرفهم بأن ذلك هو الشرف الرفيع والجاه العالى ، وأثبت ذلك بالشواهد والادلة ، وتتبع المشاهد والمواقع التى تربط بحياة الشيخ ، تتبع الخبير المطلع على الشاذة والفاذة بحيث لا يفوته منها شىء يتصل بعادة أو عبادة ·

والاماكن كالاخبار ان كانت محددة فهى معالم فى حياة الشخص تلقى عليها أضواء تكشف عما يختبىء وراء الاخبار ، ولو كانت محررة كما هى عند صاحب حصن السلام ، واكمل المؤلف صنيعه فى كتابة ترجمة الشيخ بالكلام على زيارته وما يقع فيها من البدع ، وارشد الى الزيارة وآدابها على ما حرره العلماء والدعاء وما يطلب فيه ، وهذا موضوع شائك ، يتعرض الخائض فيه لكثير من النقد والقيل والقال ، لان العوائد التى تمكنت من النفوس يصعب انتزاعها ولا يتأتى الاقلاع عنها بسهولة ، وعلى كل حال فالحق أحق أن يتبع ، والشرع واحكامه فوق الجميع ، والمؤلف الم بالموضوع فى الدائرة التى يمكنه أن يدور فيها · ولو قبل الناس كلامه لكان خطوة هامة فى التشرع وعدم الابتداع ·

وتزيد قيمة الكتاب بما ذكره من تفرعات النسب العلمى الشريف وتعدد كل فرع منها ، وما تسلسل منها الى يوم الناس هذا ، مع الاستيعاب والاستقصاء وذكر ما امتاز به كل فرع فرع ، ومرجعه وسلفه وأماكن وجودهم ، ومدافن اجدادهم وما وقع من التسور على بعضهم ، والاندساس فيهم ، وضمنه فى الاخير عدة وثائق شرعية لها ارتباط شديد بالموضوع ·

اننى اهنىء الاخ الاستاذ الطاهر على عمله هذا ، ولا اخفى اعجابى



بما بذله فيه من مجهود شاق ، وما صدع به من حق مر ، وقد قلت فى أول هذه الكلمة ان هذا الكتاب مما يحسن أن لا يؤلفه الا رجل من صميم هذا البيت وأنا أعنى بما قلت ان غيرهم ان تعرض لبعض هذه الامور التى تعرض لها مؤلفه ربما حمل على الغرض وعدم محبة الشيخ ، وهو نفسه قد ذكر رؤيا مناهية صرفته عن كثير مما كان يريد أن يقوله وينصح به أبناء عمه من شرفاء العلم ومع ذلك فلم يأل جهدا فى النصح وقول الحق جزاه الله خيرا عن مقام هذا الشيخ الجليل ، واهل البيت الاصيل ، الذين ما أدركوا هذه المكانة التى لهم فى النفوس الا بالجد والاجتهاد والعمل الصالح النافع فى المعاش والمعاد ، ونفعنا واياه بالمحبة الصادقة للنبى المصطفى عليه الصلاة والسلام وذريته الطيبين الطاهرين وآل بيته أجمعين ، والحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم آمين والحمد لله رب العالمين ·

**عبد الله كنون**

# خطبة الكتاب

الحمد لله الذى جعل العاقبة للمتقين ، وخص بالفضل من اهتدى بهداية سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وعليهم اجمعين ، وحكم بسوء المصير على كل من لم يتقرب الى مولاه بلا الاه الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، أشهد انه الله الذى لا الاه الا هو شهادة تبلغنا من رضوانه منازل العارفين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ارسله بدين الحق كى يمحو به ظلمة الشرك بنور الايمان الذى أخذ به العهد على المرسلين ، ويجعله سبيل النجاة لكل متبع من عباده المخلصين الطيبين الطاهرين .

وبعد : لما وفقنى الله لخدمة المجتمع المسلم وان كنت لست ممن يتوفرون على الكفاءة الصحيحة فى ذلك ساهمت بقدر قسطى بنصيب مما فتح الله به على من غير ان يكون لى فيه قدرة ولا استعداد ، لاننى لما نظرت الى العلم والعلماء وجدت نفسى منهم بمنزلة الارض من السماء ، ولكنى لما تذكرت قوله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم » دخلنى الامل وحبب الى العمل ، فجعلت أفكر فى المجتمع الذى يحيط بى من حولى فرأيته فى حاجة ماسة الى من يرشده وينير له سبيل الخير حتى يتضح له منهاج الحق والصواب ، فيجتنب ما هو عليه من شبهات الاعتقاد الفاسد ، فسطرت له من الصواب ما قد يحمل قارئه على الاقتناع ان حسنت النية ، وصفت الطوية ،امتثالا لقول الله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقد كنت آمل ان يتصدى للموضوع من اعتقد كفاءتهم فى هذا الفن ، فلم أر من يحرك ساكنا ، لذلك اقتحمت الميدان متجردا من كل حول وقوة غير أننى متوكل



على العلى القدير لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وسميته :

## حصن السلام بين يدى أولاد مولاى عبد السلام

عسى الله ان يجعله ذخيرة نفع لمن حسنت نياتهم حتى يستفيد منه الخاص والعام ، من كل من له رغبة فى التوبة واصلاح عقيدته من الخواص والعوام ، وقد سلكت فيه سبيل السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، من غير تحيز ولا ابتداع ، وراجعت فيه من الكتب المختلفة ما يجعل القارىء يشعر كأنها كلها فى متناوله فى آن واحد أو يشعر فى نفسه انه كالنحلة التى تمص رحيقها من مختلف الازهار ، حين تلقى عليها أضواء النهار . والله أرجو أن يجعله من العمل المقبول حتى احظى فيه من طرف الراغبين بالاستحسان المعقول ، وهو حسبى ونعم الوكيل بيده الخير واليه المصير وهو على كل شىء قدير ، وبالاجابة جدير .

المؤلف

حرر بتطوان بتاريخ ( 27 ) ربيع الاول عام 1396 هـ . ( 29 ) مارس سنة 1976

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خاتم النبيئين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

# البيت المضري المنعم

ويتألف من سبع قبائل من **مضر** ، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم اعجازا لهم لانهم أفصح العرب ، ومضر هذا هو الجد (17) للنبى صلى الله عليه وسلم فى سلسلة نسبه ، وجميع القبائل السبع تنتهى اليه فى نسبها .

(1) قريش ، وهم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر .

(2) كنانة ، وهم كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

(3) قيس ، وهم قيس بن عيلان بن مضر .

(4) تميم ، وهم تميم بن مُر بن أدّ بن طانجة بن الياس بن مضر .

(5) أسد ، وهم أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

(6) هذيل ، وهم هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

(7) ضبة ، وهم ضبة بن أد بن طانجة بن الياس بن مضر .

## النسب النبوى المعظم

ويبتدىء من سيدنا ومولانا « محمد » صلى الله عليه وسلم فهو : محمد بن عبد الله النبى الامى الرسول من الله الى جميع المكلفين من الثقلين قطان الارض وما بينهما ، ارسله الله : « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » من زوجه آمنة بنت وهب بن



عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فهى قريشية . ابن الجد (1) عبد المطلب واسمه شيبة الحمد من زوجه فاطمة بنت عمرو بن يقظة بن مرة المخزمية القرشية ، وكان عبد المطلب فى الجاهلية شيخا معظما فى قريش يصدرون عن رايه فى مشاكلهم ، ويقدمونه فى مهماتهم ، وقد ظهر ذلك فى قضية ابرهة الحبشى المروية فى سورة الفيل (2) بن هاشم من زوجه سلمى بنت **عمرو النجارية** الخزرجية من المدينة المنورة التى تشرفت عائلتها بنو عدى بن النجار بمقدمه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ونزوله فى ديارهم بأمر من الله سبحانه . (3) ابن عبد مناف من زوجه عاتكة بنت مرة من بنى سليم بن منصور احدى قبائل قيس بن عيلان بن مضر فهى مضرية . (4) ابن قصى ، واسمه مُجمّع من زوجه حبى بنت حليل من بنى خزاعة بن عمر احدى قبائل قمعة ابن الياس بن مضر ، وهم الذين كانت لهم سدانة البيت فى الجاهلية قبل قريش ، وكان لقصى حجابة البيت ، وسقاية الحاج ، ورفادته اى اطعامه ، وندوتهم وهى الشورى فلا يتم أمر لقومه الا فى بيته ، واللواء وهى راية الحرب فلا تعقد الا بيده وهو الذى يذكر عنه انه باع مفتاح الكعبة بزق من خمر . (5) ابن كلاب واسمه حكيم من زوجه فاطمة بنت سعد يمانية من أزد شنوءة . (6) ابن مرة من زوجه هند بنت سرير من بنى فهر بن مالك فهى قرشية وكان قومه يجتمعون اليه يوم الجمعة فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ، ويامرهم باتباعه والايمان به . (7) ابن كعب من زوجه وحشية بنت شيبان من بنى فهر بن مالك فهى قرشية . (8) ابن لؤى من زوجه أم كعب مارية بنت كعب فهى قضاعية . (9) ابن غالب من زوجه أم لؤى سلمى بنت عمرو ، فهى خزاعية . (10) ابن فهر ، واسمه قريش ، من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد فهى هذلية ، وفهر هو جد قريش الاعلى للبيت القرشى .

## البيت القرشى المكرم

ويتألف من اثنتى عشرة قبيلة (1) بنو عبد مناف ، (2) بنو عبد الدار ابن قصى ، (3) بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، (4) بنو زهرة بن كلاب ، (5) بنو مخزوم بن يقظة بن مرة (6) بنو تميم بن مرة (7) بنو عدى بن كعب (8) بنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب ، (9) بنو عامر بن لؤى ،

(10) بنو تميم بن غالب ، (11) بنو الحارث بن فهر ، (12) بنو محارب ابن فهر ؛ وكانوا على قسمين فالمقيمون منهم بمكة المكرمة يسمون قريش البطاح ، والمقيمون بضواحيها يسمون قريش الظواهر .

(11) ابن مالك ، من زوجه جندلة بنت الحرث من جرهم . (12) ابن النضر ، واسمه قيس ، من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان . (13) ابن كنانة ، من زوجه برة بنت مر بن أد بن طانجة ، (14) ابن خزيمة ، من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان . (15) ابن مدركة ، من زوجه سلمى بنت أسلم القضاعية . (16) ابن الياس ، من زوجه خندوف المضروب بها المثل فى الشرف والمنعة . ويذكر انه كان يسمع تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج فى صلبه . (17) ابن مضر من زوجه الرباب بنت جندة بن معد . (18) ابن نزار من زوجه سودة بنت عك ، قيل ان أباه رأى نور سيدنا محمد بين عينيه ففرح فرحا شديدا ، وأطعم كثيرا ، وقال : ان هذا كله نزر فى حق هذا المولود النبيل . (19) ابن معد ، من زوجه معانة بنت حوشم جرهمية . (20) ابن عدنان ، هذا هو النسب المتفق على صحته بين علماء التاريخ والمحدثين . وما فوق ذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن البحث فيه ، وقال : لا ترفعونى فوق عدنان ، كذب النسابون وغاية الامر انهم أجمعوا على أن نسبه صلى الله عليه وسلم ينتهى الى اسماعيل بن ابراهيم أب العرب المستعربة فهو نسب محفوظ كما ترى آباء طاهرون وأمهات طاهرات ، لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولائك الى أرحام هؤلاء ، حتى بعثه الله هاديا مهديا ، من أوسطهم نسبا ، وأكرمهم أما وأبا ؛ كلهم سادات قادات كحلقات السلسلة ، ليس فيهم مسترذل ، وكانوا فى نكاحهم على شرع ابراهيم واسماعيل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : بين عدنان واسماعيل (30) آبالا يعرفون ، وقال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن النبى صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يتجاوز معد ابن عدنان ، ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ، وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدنى من سفاح الجاهلية شىء الا نكاح الاسلام . وروى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال : كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم (500) أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا



مما كان من أمر الجاهلية ؛ وعن على كرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ؛ ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما . وعن أنس رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء ، وقال : انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ، ليس فى آباءى من لدن آدم سفاح .

وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى صحيح مسلم ، عن وائلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق ، فجعلنى فى خيِّر فرقتهم وخيِّر الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى خيِّر بيوتهم فأنا خيِّرهم نفسا وخيِّرهم بيتا . أى خيِّرهم روحا وذاتا وخيِّرهم أصلا ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار خلقه ، فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختارنى من العرب ، فلم أزل خيارا من خيار ، ألا من احب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم .

وقال الله تعالى : « فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » أى المومنين ، وعلى هذا فان معنى فى على بابها ، والمعنى يراك متقلبا فى أصلاب وأرحام المومنين من نبى الله آدم الى أبيه عبد الله فأصوله جميعا مومنون ، والله أعلم بغيبه وأحكامه .

## البيت النبوى الشريف بيت مكة

يتلخص البيت النبوى فى مرحلتين « الاولى » بيت مكة قبل الهجرة

وكان يتألف منه عليه الصلاة والسلام ، ومن زوجه خديجة بنت خويلد الاسدية القرشية النسب ، تزوجها وهى أيم من موت رجلين ، وكان لها من العمر أربعون سنة ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر 25 سنة ولم يتزوج عليها فى حياتها ، وقد كان جميع أولاده بنات وبنين منها أما البنون فلم يكتب لاحد منهم البقاء فى هذه الحياة ، وماتوا فى الصغر بمكة المكرمة ، وهم القاسم ، وهو الذى كان يكنى به عليه الصلاة والسلام وعبد الله ، وهو الملقب بالطيب والطاهر ، أما ولده ابراهيم فكان من بيت المدينة ، ولم تكن أمه حرة ، وهى مارية القبطية ، جاءته صلى الله عليه وسلم فى هدية المقوقس ملك مصر ، ولم يكن له من السرارى سواها . وسيأتى باقى الكلام عليها فى بيت المدينة المنورة . وكان له من البنات مع زوجه خديجة أربع ، هن : (1) زينب ، و (2) رقية ، و (3) أم كلثوم ، والرابعة « فاطمة الزهراء » الحوراء الآدمية ، وهى أصغر بناته ، وخلقت قبل الوحى بستة أشهر . أما زينب فقد تزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وهو على دين قومه ، واستمرت معه الى ما بعد الهجرة ، ولم تهاجر مع أبيها ، فلما كانت غزوة بدر أسر زوجها مع أسرى المشركين ، وكان مع من أطلق بالفداء ، ومن أجل ذلك بعثت زينب فى فدائه بقلادة كانت لها حلتها بها أمها خديجة عند زفافها الى بيت زوجها أبى العاص مع نقود مالية ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلها ، وعلم أنها لها فتذكر بذلك عهد خديجة وتأثر أبلغ التأثر ، ورق لها رقة بالغة ، فقال لاصحابه ان هذه القلادة من حلى ابنتى زينب زوج أبى العاص ، فان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا ، فرضوا بذلك كلهم ، وأخذ عليه النبى صلى الله عليه وسلم عهدا بذلك على أن يتركها تهاجر الى المدينة ، فلما عاد أبو العاص الى مكة أذن لها فهاجرت الى المدينة ، فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص الى الشام فى تجارة ، وكان رجلا أمينا ، وكان معه مال له وأموال لبعض قريش ابضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته عاد الى مكة بعد خطب طويل ، ورد المال الى أهله ، ثم أتى المدينة مسلما ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب اليه ، ويقول المؤرخون انه لم يجدد لها عقدا بالمدينة ، وانما اكتفى بالعقد الذى كان لها بمكة ، وأما رقية وأم كلثوم ، فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضى الله عنه الواحدة تلو الاخرى ، تزوج أولا رقية بمكة قبل الهجرة فهاجرت معه الى الحبشة ، ثم هاجرت الى المدينة معه أيضا ثم توفيت فى السنة الثانية من الهجرة ،



بعد انصرافهم من دفن شهداء بدر ، ثم زوجه عليه الصلاة والسلام أختها أم كلثوم فى السنة الثالثة من الهجرة ، ولذلك كان رضى الله عنه يلقب بذى النورين ، ثم توفيت أيضا فى السنة التاسعة من الهجرة . وأما ابنته صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنها فكانت من نصيب ابن عمها أمير المومنين على بن طالب ، رضى الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من الله كما يأتى فى صفة عرسها وزواجها منه رضى الله عنهما .

ومنها كان عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسنين ولها معه أيضا بنتان ، هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، وهى أصغر أولادها رضى الله عنها ، وسيأتى الكلام على عدة أولاد على رضى الله عنه من غيرها ، فى الكلام على بيت على كرم الله وجهه . وكل بناته صلى الله عليه وسلم توفين فى حياته الا فاطمة ، فانها عاشت بعده قليلا ، فكانت أول أهله لحوقا به كما أخبرها به صلى الله عليه وسلم فى مرض موته .

وأما خديجة رضى الله عنها أم هؤلاء الاولاد فقد توفيت بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاطعة شعب قريش التى قدرت مدتها بنحو ثلاث سنوات ، وتعد أكبر شدة مرت به صلى الله عليه وسلم فى حياته بين قومه وعشيرته بمكة ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موتها كثيرا ما يذكرها ويترحم عليها ، فقد عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو (25) سنة وقد كان لها من العمر عند وفاتها نحو (65) سنة ، وقد حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا ، لما كان لها من العطف عليه ، والرقة له ، ومحاجزة الكفار من قومه عنه . وذلك لما كان لها من الجاه بين بنى أسد ، رضى الله عنها .

ثم جعل النبى صلى الله عليه وسلم يتزوج بعدها ، فعقد عليه الصلاة والسلام على سودة بنت زمعة العامرية القرشية ، فى الشهر الذى توفيت فيه خديجة ، بعد أن توفى عنها ابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله ورسوله ، وخالفت قومها واقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة فى المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعها منها توفى عنها رضى الله عنه ، فلم يكن لها احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها ، ولو تركت لقومها على ما هم عليه

من الغلظة والشدة والجفاء فى معاداة الاسلام لفتنوها فى دينها ، وكان كرمها فى قومها ونسبها فى بنى عامر يمنعها من التزوج برجل اقل منها نسبا وشرفا ، ودخل بها بمكة المكرمة .

ثم بعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه ابى بكر رضى الله عنه وهى لا تتجاوز السابعة من عمرها ، ولم يتزوج عليه السلام بكرا غيرها . ثم دخل عليها بعد مضى ثلاث سنوات بعد الهجرة فى المدينة المنورة .

## المرحلة الثانية بيت المدينة

وقد ابتدات المرحلة الثانية من بيت النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة ، بعد ان اصبح هذا البيت اوسع واعظم من بيته بمكة ، لان البيت الاول كان بيت الجهاد والكفاح مع العدو المجاور الذى لا يهدأ له بال حتى يعثر على النصر النهائى من هذا الخصم الجديد الذى لا سبيل للمفاهمة معه الا بالدخول فى دين الله ، وترك ما كان عليه الآباء والاجداد من عبادة الوثنية ، وهذا ما لا يرضاه القادة الكبار من اهل مكة حتى ينتصروا عليه او يموتوا من أجله ، وقد بدل الله عز وجل سيد الوجود بيته فى مكة بين اعدائه من قومه وعشيرته ببيت فى المدينة المنورة بين أنصاره واحبته واتباع دينه ، فكان البيت الاول بيت الايذاء والنقم ، والبيت الثانى بيت الحياة والنعم . وفيه انزل الله على نبيه ورسوله تتميما لنعمته عليه فى هذا البيت الثانى : « يا أيها النبىء انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبىء ان اراد النبىء أن يستنكحها خالصة لك من دون المومنين » وقد احل الله للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية الاستمتاع بأربعة أصنـاف مـن النساء .

(1) اى زوجة مسلمة ارادها النبى صلى الله عليه وسلم واعطاها صداقها فهى حلال عليه من اى جنس كانت سابقا ، وهى قوله : « أزواجك اللاتى اتيت أجورهن » .

(2) المسبيات فى الحرب ، قد خيره الله فى نكاحهن بطريق الملك أو بطريق الحرية والصداق ، وهى قوله : « وما ملكت يمينك مما أفـاء الله عليك » وكانت له صلى الله عليه وسلم زوجتان من هذا النـوع ،



تزوجهما عن طريق العتق والصداق — ا — صفية الاسرائلية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير جاءت اليه مما أفاء الله عليه من سبى بنى النضير ، فاصدقها عتقها . وتزوجها ، ثم أسلمت ، وشرفت بأن كانت من أمهات المومنين رضى الله عنها — ب — بريرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، جاءت اليه من سبى بنى المصطلق مع مائتى امرأة فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها فى دار الحرب وسماها « بريرة » ولما كانت بنو المصطلق اعز العرب دارا كان اسر نسائهم بهذه الحال صعبا ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الزواج مبررا للمن عليهم حتى يتحرر جميع المسبيات اللاتى كن بيد أصحابه من الغنيمة ، ولما علم الاصحاب بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريرة قالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى أسرهم وبقاؤهم تحت ايدينا ؟ فمنوا عليهم بالحرية ، فكانت جويرية أيمن امراة على قومها ، وتسبب عن هذا المن أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم ، وكان ذلك فى السنة (5) من الهجرة .

(3) بنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتى هاجرن معه وكانت أم هانىء بنت عمه أبى طالب ممن خطبها بمكة ولم تهاجر معه ، وروى عنها أنها قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ، اى من الهجرة فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له بعد لانى لم اهاجر معه . وهى قوله : «وبنات عمك وبنات عماتك اللاتى هاجرن معك»

(4) صنف الواهبات نفسهن للنبى صلى الله عليـه وسلم ، اذا وهبت امراة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم . بأن يتزوجها بغير عوض له أن يقبل الهبة ويتزوجها ، وله أن يردها فلا يتزوجها . لان الهبة مـن شرطها القبول . واختلف فى هذا الصنف من الزوجات : فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو بيان حكم فى المستقبل ، ولم يكن عنده احد منهن بالهبة .

وقال غيره الواهبة نفسها اختلف فيها : فقيل هى ميمونـة بنت الحارث وقيل هى زينب بنت خزيمة ، وقيل هى أم شريك بنت جابر ، وقيل هى خولة بنت حكيم . وبعد نزول هذه الآية شرع النبى صلى الله عليه وسلم فى تكميل النصاب . زيادة على من هاجر معه من مكة ، وهما اثنتان :

(1) « سودة » وهى سودة بنت زمعة بن الاسود من بنى عامر بن لؤى فهى قرشية ، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو كما تقدم عند خطبتهـا بمكـة .

(2) « عائشة » الصديقية بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها فهما مهاجريتان ، وشهرتهما كافية عن التعريف بهما · بين أبناء المسلمين · وهى البنت البكر التى دخل بها رسول الله صلى الله عيه وسلم فى المدينة فى السنة الثانية من الهجرة ، ولها تسع سنين ، ولم يتزوج عليه السلام بكرا سواها ، وقد كان لها شان عظيم بين أمهات المومنين فى الفضل والعلم والدين ، واختص بيتها بمزايا من بين سائر بيوت أزواجه صلى الله عليه وسلم ، وتشرف بكثرة نزول الوحى به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشرفت بنزول الوحى ببراءتها فى قضية الافك المهولة الشهيرة فصارت براءتها تتلى قرآنا الى يوم الدين ·

كما تسببت فى نزول آيات أخرى من سورة التحريم ياتى الكلام عليها فى محلها · وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختارها للخروج معه فى المغازى فخرج بها لغزوة بنى المصطلق ولما كانوا فى انابتهم الى المدينة جلسوا للاستراحة فتخلفت عن الركب لقضاء بعض حاجاتها فسقط من عنقها عقد لاختها أسماء فتخلفت تبحث عنه ، وبعد ما وجدته رجعت فوجدت الركب قد سار ، وكان الوقت آخر جزء من الليل ، فألحقها بالجيش الوراء المدلج المتخلف عن الجيش للاحتياط وكانت لخفتها تخفى على الناس هل هى فى هودجها من الركب أم لا ؟ وحين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستيناف السفر ظن الناس أنها فى هودجها فى الركب ، وكانت الحادثة بعد نزول الحجاب ، فلم يتحققوا منها حتى كان ما كان ، وكانت حافظة للقرآن ، راوية للسنة ، فقيهة عالمة كان فقهاء المحدثين من العلماء يرجعون اليها فى كل ما غاب عن غيرها من الصحابة ، وخصوصا فى الشؤون الزوجية والمنزلية وأحكام النساء ، وكانت الى جانب ذلك تتدخل فى الشؤون السياسية ، حتى قادت الحرب يوم الجمل ضد الامام على رضى الله عنه ، وسياتى الكلام عليه فى محله ، وكانت تحظى عند النبى صلى الله عليه وسلم بأكثر حبه اليها من بين سائر نسائه حتى كان يفضلها عليهن فى القسم فى المبيت ، فوهبت لها سودة ليلتها ، وقالت رضى الله عنها : لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة :

(1) نزل جبريل بصورتى فى راحته حين امر عليه السلام أن يتزوجنى·
(2) تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ·
(3) توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه فى حجرى ·
(4) اقبر فى بيتى ·





(5) ينزل عليه الوحى وانا فى لحافه ·
(6) انا ابنة صديقه وخليفته ·
(7) نزل عذرى اى براءتى من السماء ·
(8) خلقت طيبة عند رجل طيب ·
(9) وعدت مغفرة ورزقا كريما · وقال سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه فى حقها :



حصان رزان ما تزن بريبة — وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا — نبى الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حى من لؤى بن غالب — كرام المساعى مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها — وطهرها من كل شين وباطل

وبالجملة فان مزاياها كثيرة تناولتها أقلام الباحثين بالبحث على الانفراد وذكرت منها هذا القدر تبركا بشأنها رضى الله عنها ·

وفى صحيح البخارى حدثنا هشام عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة فاجتمع صواحبى الى أم سلمة ، فقلن يا أم سلمة والله ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وانا نريد الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يامر الناس أن يهدوا اليه حيثما كان أو حيثما دار ، قالت فذكرت ذلك أم سلمة للنبى صلى الله عليه وسلم قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد الى ذكرت له ذلك فأعرض عنى ، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال : يا أم سلمة لا توذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وانا فى لحاف امراة منكن غيرها · توفيت رضى الله عنها سنة ( 57 ) هجرية ·

(3) « حفصة » فهى حفصة بنت امير المومنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، كانت قبل عند خنيس بن حذافة السهمى ثم توفى عنها من اثر جراحة اصابته ببدر ، ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة ( 2 ) من الهجرة ·

(4) « أم سلمة » فهى أم سلمة اسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة من بنى مخزوم كانت عند عبد الله بن جحش ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن توفى عنها زوجها أبو سلمة رضى الله عنه بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاع ، وهو اول من هاجر الى الحبشة ، فى السنة الرابعة من الهجرة ·

(5) « زينب بنت جحش » فهى زينب بنت جحش بن حذافة السهمى من بنى أسد حلفاء بنى أمية ، وبنت عمته صلى الله عليه وسلم ومطلقة زيد بن حارثة ، وهى صاحبة القصة المهولة التى ذكرها القرآن فى سورة الاحزاب تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة ( 5 ) من الهجرة ، وفيها نزل الحجاب ، ويضاف الى هؤلاء الخمس الترشيات الزوجة الاولى المكية السيدة « خديجة » بنت خويلد الاسدية .

(6) « أم حبيبة » فهى ام حبيبة واسمها رملة بنت ابى سفيان بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف ، اخت معاوية بن ابى سفيان ، فهى اموية قرشية .

(7) « جويرية » وهى جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، فهى خزاعية ، وكانت بعد قسم السبى وقعت فى سهم ثابت بن قيس ، بن شماس ، الانصارى فكاتبها فجاءت تسأل النبى صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها ، فقال لها : هل لك الى ما هو خير من ذلك ، أودى عنك كتابتك واتزوجك ؟ فقالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بأيديهم فقالت عائشة رضى الله عنها : ما رايت امراة أيمن على قومها من جويرية أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، وقسم لها النبى صلى الله عليه وسلم وكانت بنت ( 20 ) سنة ، وتوفيت سنة 50 هجرية . وأبدل اسمها ببريرة .

(8) « صفية » فهى صفية الاسرائيلية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير ، من نسل هارون اخى موسى عليهما السلام وكانت قبله تحت كنانة بن ابى الحقيق ، وقد جاءت النبى صلى الله عليه وسلم من سبى خيبر ، وكان اول المحرم من السنة السابعة بعد الهجرة ، وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبى فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاه بغيرها لما قيل له : أعطيته سيدة بنى قريظة والنضير ، وهى لا تصلح الا لك ، فخشى عليهم الفتنة ، ثم أصدقها عتقها وتزوجها ، فأسلمت ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لها : هل لك فى ؟ قالت نعم يارسول الله انى كنت اتمنى ذلك فى الشرك ، وكان بعينها خضرة فسألها عنها ؟ فقالت انها كانت نائمة وراس زوجها فى حجرها فرات قمرا وقع فى حجرها ، فلما استيقظ أخبرته وكان ملكهم فلطمها وقال تمنين ملك يثرب ، فعاشت سيدة وتشرفت بأمومة المومنين . وتوفيت سنة 50 ودفنت فى البقيع .



(9) « زينب بنت خزيمة » فهى زينب بنت خزيمة بن عامر بن صعصعة ، الانصارية ، وكانت فى الجاهلية تسمى ام المساكين لرافتها بهم وشفقتها عليهم واحسانها اليهم ، وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة ( 3 ) من الهجرة وتوفيت فى السنة الرابعة من الهجرة .

(10) « ميمونة » فهى ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت قبله عند عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد احد فى السنة 2 من الهجرة وهى خالة عبد الله بن عباس تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة فى عمرة القضاء بعد الحديبية لان عمرتها عطلها عليه المشركون بشروطهم فرجع لقضائها فى السنة المقبلة ، وكانت فى السنة ( 7 ) من الهجرة وقد تقدم انها هى الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم .

فهؤلاء العشرة هن زوجات بيت المدينة ، واما خديجة ( 11 ) فهى من بيت مكة المكرمة كما تقدم .

واما مارية القبطية فليست منهن لانها من السرارى ، وقد تقدم انها جاءته فى هدية المقوقس وكانت من اجمل بنات القبط اهديت له فى السنة (6) من الهجرة ، وقد كان ولده ابراهيم منها ، خلق فى ذى الحجة من السنة ( 8 ) قيل عاش ( 70 ) يوما وقيل ( 10 ) اشهر ، وقيل سنة ثم توفى ولم يصل عليه بنفسه ، بل أمرهم بالصلاة عليه ، وكان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم نكاح الاماء ، ولو كانت الامة مسلمة لان نكاحهن مشروط بأمرين :

(1) خوف العنت (2) عدم وجود مهر الحرة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا عن الامرين معا ، كما كان يحرم عليه كذلك تزوج الحرة الكتابية اى الباقية على دينها ، لما فى الحديث سألت ربى أن لا أزوج الا من كان معى فى الجنة فأعطانى . لانها لا تليق أن تكون من أمهات المومنين .

وبالاحرى من ذلك المشركة والملحدة فانهما حرام عليه وعلى أمته . نصا من الكتاب والسنة لقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

وقد جمع بعضهم أزواجه صلى الله عليه وسلم فى بيتين وحصرهن فى ( 11 ) زوجة حرة مرمزا لكل واحدة منهن بالحرف الاول من كل كلمة فقال :

خليلى سبا عقلى    حلى زين هالة
زهى جفنها رمزا    صحيحا مهذبا

## ملخص ترتيبهن

(1) خ خديجة بنت خويلد الاسدية قرشية ·
(2) س سودة بنت زمعة من بنى عامر قرشية ·
(3) ع عائشة بنت ابى بكر الصديق قرشية ·
(4) ح حفصة بنت عمر بن الخطاب عدوية قرشية ·
(5) ز زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية ·
(6) ه هند ام سلمة بنت ابى امية بن المغيرة قرشية ·
(7) ز زينب بنت خزيمة بن عامر انصارية هلالية ·
(8) ج جويرية « بريرة » بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية ·
(9) ر رملة « ام حبيبة » بنت ابى سفيان بن حرب اموية قرشية ·
(10) ص صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائلية ·
(11) م ميمونة بنت الحارث انصارية هلالية ·

والمتوفاة منهن فى حياته صلى الله عليه وسلم اثنتان هما : من بيت مكة : خديجة بنت خويلد الاسدية ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ومن بيت المدينة : زينب بنت خزيمة بن عامر الانصارية الهلالية ، توفيت فى السنة الرابعة من الهجرة وكان زواجها بالنبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثالثة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى عن تسع نسوة هن :

(1) عائشة بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها وعن ابيها ·
(2) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعن ابيها ·
(3) ام حبيبة « رملة » بنت ابى سفيان بن حرب اموية قرشية ·
(4) سودة بنت زمعة الزوجة المكية قرشية ·
(5) ام سلمة هند بنت ابى امية بن المغيرة قرشية ·
(6) صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النضير اسرائلية ·
(7) ميمونة بنت الحارث الانصارية هلالية ·
(8) زينب بنت جحش بن حذافة السهمى قرشية ·
(9) جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق خزاعية ، وهى «بريرة»



وقد نظمهن بعضهم بقوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب

وكان بيت النبى صلى الله عليه وسلم يشتمل على أكثر من تسع نسوة حرائر قبل نزول تحديد النصاب فى تسع حرائر كما حدد نصاب امته فى اربع نسوة حرائر كذلك ، قال تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا » وقد حرم الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم الزيادة على تسع زوجات حرائر بعد نزول هذه الآية كما لا يجوز له كذلك تبديلهن بغيرهن ولو اعجبه حسنهن قيل نزلت فى اسماء بنت عميس زوجة جعفر بن ابى طالب ، الذى استشهد قائدا فى غزوة الروم بموته فى السنة ( 8 ) من الهجرة · فانها ممن أعجبه حسنهن ولم يذكر احد بعد انه تزوجها ·

وعن عائشة وام سلمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل الله له أن يتزوج ما شاء · فالآية نسخت ، ونسخها اما بقوله تعالى : « انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن » الآية المتقدمة فى المصحف ، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ، واما نسخت بالسنة · ومعنى قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء رقيبا » اى حافظا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده ·

## مشاكل النساء والبيت النبوى

ولما كانت مشاكل النساء لازمة لهن ولم يسلم منها حتى البيت النبوى الشريف ، كان من اللازم أن توجد لها حلول تناسب حاله صلى الله عليه وسلم كى يستريح سيد الوجود من عنائها ، ويتفرغ لما سواها ، مما هو اهم واعظم من شؤون الرسالة ، ومن أجل ذلك كان الله سبحانه هو الذى يتولى حلها بنفسه ويفصل فيها بنزول قرآنه · فمن ذلك القسم بين الزوجات فى المبيت ، والتى هى اعظم مشكلة داخل البيت لما فيها من حق الله وحق غيره ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعانى منها الشىء الكثير بين نسائه · روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه

فيعدل . ويقول هذه قسمتى فيما أملك فلا تواخذنى فيما تملك ولا أملك ، يقول ذلك فيما بينه وبين ربه ، ويعنى بذلك ما كان يغلب عليه من حب عائشة رضى الله عنها ، لانها كانت أحب نسائه اليه ، فنزل قول الله تعالى : « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما » هذه الآية حددت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته فى نسائه حتى لا يدخل قلبه الكريم شىء من الحرج ، اذا هو أقدم على ما ليس من العدل بينهن ، بعد ان كان القسم واجبا عليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط . فبين الله له فى نزولها اختياره المطلق فيؤخر من يشاء منهن فى القسم ، ويقدم من يشاء ، ويأوى من يشاء منهن ، ويطلق من يشاء ويمسك من يشاء ، ولما سمعت سودة هذه الآية وكانت أكبر نسائه خشيت الطلاق فوهبت ليلتها لعائشة ، وقالت يا رسول الله لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك ، ثم أدخل خمسة فى الارجاء ، وهن : جويرية « بريرة » وسودة ، وصفية ، وميمونة ، وام حبيبة ، وادخل اربعة فى الايواء ، وهن : عائشة ، وحفصة ، وام سلمة ، وزينب بنت جحش .

وروى انه كان يعدل مع ما اطلق وخير فيه ، فقال تعالى : « ذلك ادنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما » والمعنى ان ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى رضاهن ، والى قرة أعينهن ، وقلة حيرتهن ، لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير فيما بينهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم وعيد لمن لم ترض منهن بتفويض الله الى مشيئة رسوله صلى الله عليه وسلم .

## ومنها مشكلة التخيير

روى ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم التسع ، اجتمعن وقررن ان يطلبن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كن يرينه عند غيرهن من متاع الحياة الدنيا وزينتها ، حتى يخرجن مما كن يعانينه من شظف العيش فى بيت النبوة ، وطلبت اليه كل واحدة منهن ما كانت فى حاجة اليه فى بيتها



مما رأته عند غيرها ، ولم يكن بيت النبوة والرسالة معدا لشىء من ذلك ، وقد كان ذلك يكلف النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس فى وسعه مما لم يكن فى حاجة اليه ، وبعد أن طلبن منه ذلك أحرجه الامر وعظم عليه الخطر ، فجعل صلى الله عليه وسلم يفكر كيف يخرج منه ، لما يراه من أن الحق لهن لان ذلك شأن النساء وطبعهن ولا تسكن نفوسهن الا به . وبشريتهن لا ترفعهن الى مستوى النبوة والرسالة ، ومن هنا جاء الاشكال لما هناك من البون الشاسع بين بشرية غير النبوة وبشرية النبوة والرسالة التى لها اتصال بالملا الاعلى من عالم الروحيات وعالم الملكوت فهى لا تفكر فى شىء من هذا القبيل مطلقا ، بخلاف بشرية غير النبوة فانها مفطورة على حب الحياة الدنيا وزينتها ، ومدفوعة الى تحقيق ذلك ، وذلك ما يتنافى وجوده فى بيت النبوة والرسالة ، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ولزم البيت روى ان أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤذن لاحد منهم، فاستأذن أبو بكر فأذن له فدخل ،ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا واجما (1) . ساكتا وحوله نساؤه ، قال عمر فقلت والله لاقولن شيئا أضحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها أى ضربتها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : هن حولى كما ترى يسلننى النفقة !! فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسئلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ؟ !! فقلن والله لا نسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده شيئا أبدا ، ثم اعتزلهن شهرا ، فأنزل الله عز وجل حل هذا المشكل من عنده سبحانه فجاء قرآنا يتلى ، اذ هو العالم بمصالح عباده والحكم العدل فيما بينهم فيها ، فأعطى الحق لمقام النبوة بما يرفع من شأنها ويبعدها عن السفاسف من محاسن الحياة الدنيا وزينتها ، لان ذلك ليس من شأنها ثم دعا الزوجات الى التخيير ، وهو اما أن يخترن الله ورسوله والدار الآخرة وليس لهن ما يردنه من زينة الحياة الدنيا . أو يخترن الحياة الدنيا وزينتها ، ويتبعدن

(1) الوجم شدة السكوت لعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف . ووجم عبس وجهه وأطرق لشدة الحزن فهو وجم وواجم . ووجم من الامر أى أمسك عنه ، وهو كاره له . ووجم الشىء وكرهه ، ووجم لفلان من كذا رثى له وغم بسببه منجد هـ .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم · وليس لهن الحق فى أن يجمعن بين بيت النبوة والرسالة ، وبين الحياة الدنيا وزينتها البتة · لانهما متنافيتان متناقضتان اذا دخلت احداهما خرجت الاخرى · فقال جل من قائل : « يا ايها النبىء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ثم قال فى ذم مريد الدنيا : «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولائك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » ·

وبعد نزولها بدا النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشة انى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه ، حتى تستشيرى أبويك ؟ فقالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلى عليها الآية فقالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك · فأنزل الله : « لا يحل لك النساء من بعد » الآية فأحرج النبى صلى الله عليه وسلم الامر ، ثم رفع عنه ذلك الحرج بقوله : « ما كان على النبىء من حرج فيما فرض الله له » وهذا بعد ما كان النصاب حدد فى تسع زوجات حرائر ، ثم بقى حرج آخر فى القسم بينهن فى المبيت فرفعه الله بقوله : « ترجى من تشاء » الآية المتقدمة ·

وبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله وعدهن أجرا جزيلا على ذلك فقال : « فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ثم الزمهن نوعا آخر من آداب بيت النبوءة والرسالة فقال لهن : « يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » ·

ثم بين الله تعالى لهن أن قدرهن فى بيت النبوة (1) والرسالة ،

---

(1) ولذلك هددهن القرآن بقوله : « من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » قيل المراد بالفاحشة الزنى ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدت حدين لعظم قدرها كالحر بالنسبة للعبد والامة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبى صلى الله عليه وسلم فهو عام فى جميع نساء أهل البيت ، وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم كنساء جميع الانبياء فقد تكفل الله بصيانتهن من الخنا · ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط ، وانما خانت امرأة نوح وامرأة =



ليس كقدر من أعطى الحياة الدنيا وزينتها بل هو أرفع من ذلك شأنا ، وكانت الحكمة فى التشديد عليهن من شدة قربهن للنبى صلى الله عليه وسلم · وذلك دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن وشأنهن فى بيت الرسالة المحمدية ، فلا يليق بهن التوغل فى زينة الحياة الدنيا وشهواتها الفانية ، لقوله عليه الصلاة والسلام : لست من الدنيا وليست الدنيا منى ·

ثم بين الله تعالى لهن قدرهن فى كتابه فقال : « لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » الاحزاب ·

## ومنها مشكلة الحجاب

وفى بيت النبى صلى الله عليه وسلم أنزل ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب على نساء النبى صلى الله عليه وسلم

وكان يقول : لو أطاع فيكن ما راتكن (1) عين ، ويود أن ينزل فيه ، وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المومنين

---

= لوط فى الايمان والطاعة · وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق · واذا وردت الفاحشة مقرونة بأل فهى الزنى · واذا وردت نكرة فهى سائر المعاصى ، واذا وردت منعوتة كما هنا فهى حقوق الزوجية وسوء العشرة · المؤلف

(1) قد حقق الله قول عمر رضى الله عنه فأنزل على رسوله وقرن فى بيوتكن أى اثبتن فى بيوتكن ، ولا تخرجن الا لضرورة ، وكان سر المرأة المسلمة فى لزوم بيتها ضمانة لها لما فيه من سلامتها من جميع الآفات ، لان المرأة عين الشهوة والافتتان بها يسير ، ولا سيما اذا كانت شابة حسناء فان ذلك سبيل الى غرورها وسرعة لعب الشيطان بها، وافتتانها فى نفسها ومتى تم لها هذا الاستعداد سلك بها الشيطان سبيل البغى والفساد، وهى عاجزة بالطبع عن الذود عن نفسها ، فهى غير قادرة على أن تنقذ نفسها من مهاوى الهلاك والضلال ومركب النقص فى أنوثتها يحسن لها كل قبيح ، فاذا اقتربت من مجتمع فاسد كان ضياع شخصيتها أيسر من كل يسير ، بسبب وقوعها فى مخالب عقبان وأنياب أسود لا تعرف الرحمة الى قلوبهم سبيلا ، فالحذر الحذر أيتهن الشابات الحسان من الوقوع بين أنياب حيوانات مفترسة من بنى الانسان ، لهم قلوب تلين عند رغبتهم ، وهى بعد قضاء حاجاتهم أقسى من الحديد والحجارة ، والزمى طاعة من تكونين فى رعايته ، فانه لا يتم صلاحك الا به ، لانه الذى يدفع عنك كل من يؤذيك فى نفسك وشرفك وعفتك فان ذلك أغلى جوهر لديك ، فلا تنخدعى حتى يختلسه منك سفهاء الاحلام بالكلمات المعسولة لانها شبكتهم التى يصطادون بها عفة الحسان ، ولا خلاص من شبكتهم الا فى لزوم البيت كما قال الله العالم بمكنونات الضمائر « وقرن فى بيوتكن » لانه عصمة أمرك ، وفيه تجدين سعادتك فى الحياتين ولا ينفعك الندم بعد غلو الدماغ ، والوقوع فى المحظور كما هو الشأن فى الكثيرات والله على ما نقول شهيد · المؤلف

بالحجاب ، فنزلت الآية ، وهى قوله تعالى : « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » فقال رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبد الله فى سره ، أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب ؟ فان مات محمد لا تزوجن عائشة ، ثم نزل قوله تعالى : « وما كان لكم أن توذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » أى فلا يجوز لكم ذلك ولا يصح وفى الاقدام عليه ذنب عظيم ، لما فيه من اذايته صلى الله عليه وسلم بعد موته ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب من المحارم أو نكلمهن يارسول الله من وراء حجاب ؟ فاستثناهم الله تعالى فقال : « لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن (1) ولا ما ملكت ايمانهن » فهؤلاء المستثنيات بما فيهم الايماء والعبيد يكلمن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بدون حجاب ، والاعمام والاخوال الذين لم ينص عليهم الكتاب يجريان مجرى الوالدين فى عدم الحجاب كذلك ·

ولنزول هذه الآية أسباب متعددة ، منها : ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبى صلى الله عليه وسلم بغير دعوى ولا اذن ينتظرون نضج الطعام ·

ومنها : ان قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد الاطعام مستانسين لحديث بعضهم بعضا · ومنها : ان رجالا أجانب من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه أكلوا معه فى بيته بمشاركة أزواجه فأصابت يد واحد منهم يد عائشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب · وكان نزولها فى السنة الخامسة من الهجرة · ومنها أنه نزل فى تأديب الرجال مع بيت النبوءة والرسالة فى وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

فعن أنس بن مالك قال : كنت أعلم الناس بشأن الحجاب بعد نزول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبىء الا أن يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اياه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبىء فيستحيى منكم والله لا

---

(1) « ولا نسائهن » النساء المسلمات لا حجاب عليهن فى مكالمة أزواجه صلى الله عليه وسلم بخلاف النساء الكافرات فان حكمهن حكم الرجال الاجانب فى مكالمتهن من وراء حجاب · قال العلماء ولا مفهوم لازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، بل الحكم شامل لجميع نساء المسلمين فلا يجوز لهن أن يبدين شيئا من أوصافهن للنساء الكافرات، ليلا يصفهن لازواجهن الكافرين ، وهكذا يجب أن تفهم المرأة المسلمة اليوم المرأة المسلمة بالامس ان شاءت أن تشاركها فى حكم الاسلام والا فلا · المؤلف ·



يستحيى من الحق » الاحزاب · أى لا يترك بيانه ، قال أنس : وكان أول ما نزل فى ·

بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا بها فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط من الثقلاء ماكثين فى البيت ، فأطالوا المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فخرجت معه ، لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد قاموا فخرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم الستر ، وأنزل الحجاب ، وفى هؤلاء قال الله تعالى : « ان ذلكم كان يوذى النبىء فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه ويترك ، بل لا بد من بيان ما هو حق من غيره ، وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال : « واذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذى النبى » صلى الله عليه وسلم

## ومنها مشكل التحدى والتظاهر

فى مواجهته صلى الله عليه وسلم به من طرف زوجتيه : **عائشة وحفصة** رضى الله عنهما حتى أوقعتاه صلى الله عليه وسلم فى محظور من تحريم الحلال ارضاء لهما ، وجبرا لخاطريهما فى الاستكتام عليه فلم يكتما عليه ، ولم يخلصا لنصحه فاغتم لذلك واعتزلهن شهرا فى بيت مارية حتى نزل جبريل بحل هذا المشكل من هذه القصة ، وتعدد سببها ·

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى ، وابشرك ان أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى ، فأخبرت بذلك عائشة ولم تف للنبى صلى الله عليه وسلم بما طلب منها من كتمان سره ، لانهما كانتا متصادقتين ·

وقيل خلا بمارية فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم وطلقها واعتزل نساءه ومكث فى بيت مارية ( 29 ) ليلة حتى نزل جبريل

عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة ·

وروى أيضا فى سبب هذه القصة انه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عليه عائشة وحفصة على أن يقولا له انا نشم منك ريح المغافر ، فقالتا له ذلك وكان يكره التفل فحرم العسل ، وهو الذى وقع فيه العتاب ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « لم تحرم ما أحل الله لك » أى من ملك اليمين أو من العسل ، من قول الله تعالى فى سورة التحريم : « يا أيها النبىء لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك » وكان ذلك التحريم بلا اذن من الله زلة منه صلى الله عليه وسلم لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله ثم أنزل الله تعالى : « والله غفور رحيم » قد غفر لك ما زلت فيه ورحمك فلم يواخذك به ، ثم أنزل الله فى حل المشكل الذى وقع فيه النبى صلى الله عليه وسلم ارضاء لامر نسائه لما كان يملك من العطف عليهن حتى لا تقع الاساءة ولو صورة الى أحد منهن ، وان وقع شىء من ذلك سارع الى ارضائهن حتى أوقعه ذلك فى المحظور الذى هو تحريم الحلال ، فقال تعالى : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » الذى هو تحريم الحلال لان تحريم الحلال يمين عندنا ، والتحليل منها اذا صدرت منا يكون بما شرعه الله لنا مما يلى من الاحكام . .

(1) بالاستثناء منها ، وذلك بأن يقول عقبها ان شاء الله ، حتى لا يحنث ، وأخذ من قولهم حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها ·

(2) بالكفارة اذا تبين الحنث ، والكفارة تكون باحدى ثلاث :

أ — الاطعام وهو اطعام عشرة مساكين تغذيتهم وتعشيتهم أو اعطاؤهم عوضا عن ذلك ، نصف صاع لكل واحد منهم من بر ، أو صاعا من شعير ، أو من تمر لكل واحد · وعند الشافعى مد لكل مسكين .

ب — بكسوتهم ، وهو ثوب يستر العورة لكل واحد منهم — ج — بتحرير رقبة مومنة أو كافرة قال تعالى : « ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » وعقدتم الايمان أى عزمتم عليها ، أو قصدتموها وحنثتم فيها لا يمين اللغو فانها لا شىء فيها وهى الحلف على الظن ، ثم تبين خطأ الحالف فى ظنه ، فانهم مما حلفوا على تحريم الطيبات انه قربة لله فى ظنهم ثم تبين خطأهم بنزول الآية : « وكلوا واشربوا مما رزقكم الله حلالا طيبا » فقالوا كيف أيماننا ؟ فأنزل الله : « لا يواخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ·

ويمين اللغو عند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا



قصد · وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن البصرى رضى الله عنه انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وانما هو تشريع للمومنين من امته صلى الله عليه وسلم · ثم قال تعالى : « والله مولاكم » أى سيدكم ومتولى اموركم او اولى بكم من انفسكم « وهو العليم » بما يصلحكم فيشرعه لكم « الحكيم » فيما أحل وحرم لكم · ثم قال سبحانه وتعالى شأنه : « واذ اسر النبىء الى بعض أزواجه حديثا » يعنى حديث مارية لحفصة « فلما نبأت به » افشته الى عائشة · « واظهر الله عليه » أى أطلعه على افشائها ما استأمنها عليه من حديث مارية وغيره ، على لسان جبريل لانه الصديق الذى لا يغيب عنه شىء « عرف بعضه واعرض عن بعض » روى انه قال لها فى تعرف البعض وهو امامة الشيخين بعده ، والمعرض عنه تحريم مارية ، ألم اقل لك اكتمى على ، فاندهشت لعدم علمها من حيث وصله خبر الافشاء « وقالت من انبأك هذا ؟ قال نبأنى العليم » بالسرائر « الخبير » أى بما فى الضمائر ، فقالت معترفة بما فعلت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها ، وهذا هو شأن النساء من أسرار الرجال ، وأما أسرارهن فيما بينهن فلا يمكن أن تظهر الا من طرف العليم الخبير · ثم قال تعالى : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » وصغت قلوبكما مالت عن القيام بالواجب فى عدم اخلاصكما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، وقد كان الواجب الاخلاص له فى كتم سره · وعدم افشائه ، ولم تمتثلا أمره ، وقد وجه لهما الخطاب ليكون أبلغ فى معاتبتهما ثم قال تعالى : « وان تظاهرا عليه » أى وان تتعاونا عليه بما يسوءه ويكرهه من افشاء سره افراطا منكما فى عدم القيام بحقه ، وتلبية لدواعى الكيد والغيرة من اجله « فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين » وزيادة هو ايذان بأن الله وحده هو الذى يتولى نصره عليكما بنفسه لانه وليه الاول وجبريل وليه الثانى ، وكل من آمن بالله وعمل صالحا وليه الثالث ثم قال : « والملائكة بعد ذلك ظهير » أى وليه الرابع من الملائكة على كثرة عددهم بعد نصرة الله له ، وجبريل وصالح المومنين ظهير له وناصر بعد من تقدم ذكرهم من النصراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه ، فالعالم العلوى كله وبعض السفلى فى كفة الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الكفة الاخرى امراتان ، ولهذا قال الله تعالى فيهن : « ان كيدكن عظيم » لان امراتين جعلتا فى مقابلة الكون

كله · علويه وسفليه ، وهذا ما يبعث على العجب ، وخصوصا من اكتشف أسرار النساء وكيدهن العظيم ، ومع ذلك فقد جعل الله الهيمنة عليهن بيد الرجال ، فقال جل من قائل : « الرجال قوامون على النساء » وقال : « وللرجال عليهن درجة » وذلك من أجل مركب النقص الذى خلقه الله فى طبعهن ، لقوله عليه الصلاة والسلام ما رايت ناقصات عقل ودين اسلب للب الرجل الحكيم منكن ·

ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك تأييدا لنصرتهم ، وتعظيما لمظاهرتهم : « عسى ربــه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا » فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ، وليس على وجه الارض نساء خير من امهات المومنين ؟ قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة ، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات خيرا منهن : وان قلت لماذا وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات ؟ قلت لانهما صفتان متنافيتان بخلاف غيرهما من سائر الصفات ، وهذه الآية الاخيرة فى حكم التهديد للتين تظاهرتا عليه : « والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شئ قدير » وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا به ·

## ترجمة عــلى واهــل البيــت

من هو على ؟ هو على بن ابى طالب بن عبد المطلب يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب اجتماعا اوليا لانه الجد الادنى لهما ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم دنية ، فهو هاشمى النسب من بنى عبد مناف ، ويجتمع به اجتماعا ثانيا فى الجد الثانى لهما وهو هاشم بن عبد مناف ، وكناه النبى صلى الله عليه وسلم أبا تراب ، وأبــا الحســن ·

## مــن هــو عبــد منــاف ؟

فعبد مناف هو الجد الاعلى الذى يتكون منه اهل البيت النبوى باعتباره له جناحان : « الاول » بنو هاشم والنسبة اليه هاشمى ·



« والثانى » بنو عبد المطلب والنسبة اليه مطلبى ·

وهاشم والمطلب اخوان أبوهما عبد مناف ، وهو الجــد الثــالث للنبى صلى الله عليه وسلم أما المطلبيون فعددهم ضئيل جدا قد كاد ينقطع ، واما عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فانه قد بقى عقبه من كثير من أولاده ، ولكن الاغلبية الساحقة والاكثرية الضخمة كانت من ولديه العباس وأبى طالب وهما هاشميان معا ، وهذه الاكثرية الضخمة هى التى ملات الدنيا وبذرت بذورها فى الاقاليم الاسلامية فى الصدر الاول من أقصى حجر فيما وراء نهر جيحون من أقاليم التركمان فى أواسط آسيا التى تعرف عاصمتها اليوم بطاشقند من ولاية الجمهوريات الروسية الى آخر نقطــة فى بلاد المغرب وبلاد الاندلس فى العصور الاسلامية بها ·

## مولد على رضى الله عنــه

ولد الامام على رضى الله عنه بمكة المكرمة لما كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( 32 ) سنة من مولده الشريف من امه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف فهما سليلان من البيت القرشى ·

## مناقبــه كــرم اللــه وجهــه

اسلم صبيا ، وهو أول من أسلم من الصبيان لتربيته فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تربيته فى بيت النبوءة السبب فى صيانة وجهه مما كان يفعله قومه من السجود لاصنامهم التى كانت حول الكعبة وفى جوفها وعلى ظهرها ، ومن اجل ذلك استحق الدعوة من المسلمين بكرم الله وجهه · وهو احد العشرة المبشرين بالجنة المشهود لهم بها على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاخوة عدة مرات : احداهما فى التآخى بين الانصار والمهاجرين لما آخى بينهم ، ولما راى انه لم يبق له اخ سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : اين اخى ؟ اى من الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم انا اخوك · والاخرى لما خلفه على المدينة عند ما كان خارجا الى غزوة تبوك فأظهر رغبته فى الجهاد وانه يسره أن يكون فى جيش رسول الله صلى الله عليــه وسلم فأرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدى · فكان هذا التآخى

الثانى بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم توكيد للتآخى الاول ·

وتصاهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحوراء الآدمية فاطمة الزهراء رضى الله عنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأبو سبطيه منها ، سيدى شباب أهل الجنة : الحسن والحسين ، وجد آله الطاهرين ، وأحد كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحد من حفظ القرآن كله بجميع رواياته وكان يعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العرض على جبريل عليه السلام كل سنة ، وفى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، وكان على رضى الله عنه يمتاز بذكاء ثاقب ، وفكر مصيب وكان ذا دهاء وفصاحة لسان وشجاعة فائقة فى الحروب ، وكان ذا زهد وورع وفقه فى الدين حتى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : أنا مدينة العلم وعلى بابها الحديث · وقد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بعلوم المكاشفاة وما يسمى بالعلم اللدنى ، وورثه عنه الحسن والحسين ، وقد ظهر منه على لسان جعفر الصادق ، وابرز منه فى حياته ما تعجب منه أهل عصره ، ودونوه عنه ولم يزل موجودا بين أيدى الناس الى اليوم ، كما كان مبرزا فى علوم الفتيا بين الصحابة رضى الله عنهم ، وكان أمير المومنين عمر رضى الله عنه يلتجىء اليه فى الفتيا حتى قال فى نازلة لولا على لهلك عمر ·

وتقدم للمبارزة يوم بدر ، فقضى على خصمه الوليد بن عتبة بن ربيعة · وكان احد الزعماء الثلاثة من قريش ، وطلب البراز فى غزوة الاحزاب فخرج اليه عمرو بن ود فقتله ، واقتلع باب حصن خيبر ، وقد اشترك فى جره اربعون رجلا ، وفى رواية انه تترس بباب الحصن عن نفسه ، وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الفتح يكون على يده ، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ومن اشهر مناقبه ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما اذن له ربه فى الهجرة ، استخلفه النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته بمكة اياما حتى يرد الودائع والامانات الى اهلها ثم يلحقه بأهله ففعل ، ونام على فراشه صلى الله عليه وسلم تحت رقابة عيون المشركين ، وكان بوده ان يفدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهده الا تبوك ، واصيب يوم احد بست عشرة ضربة · وفى صحيح البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت منى ، وانا منك · وقال عمر رضى الله عنه : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض · وفى صحيح البخارى



ايضا عن ابى حازم سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه · قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها ، فقال ، اين على بن ابى طالب ؟ فقالوا يشتكى عينيه يارسول الله ، قال : فارسلوا اليه فاتونى به فلما جاء بصق فى عينيه ، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية · فقال على يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام ، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم ·

وفيه ايضا عن يزيد بن ابى عبيد عن سلمة قال : كان على قد تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وكان به رمد ، فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج على فلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : لاعطين الراية او لياخذن الراية غدا (1) رجلا يحبه الله ورسوله ، او قال : يحب الله ورسوله ، يفتح الله عليه · أو قال : يفتح الله على يديه · فاذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية · ففتح الله على يديه ·

## زفـــاف فاطمة الزهراء الـــى بيـــت على

اخرج النسائى بسند صحيح : ان نفرا من الانصار قالوا لعلى رضى الله عنه لو كانت عندك فاطمة ، فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم ليخطبها ، فسلم عليه فقال : ما حاجة ابن ابى طالب ؟ قال فذكر فاطمة ، فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا واهلا وسهلا · فخرج الى الرهط من الانصار ينتظرونه ، فقالوا ما وراءك ؟ فقال : ما ارى غير انه قال لى : مرحبا واهلا ، فقالوا يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما ، فقد اعطاك الاهل واعطاك الرحب ، فلما كان بعد ما زوجه قال له يا على انه لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد رضى الله عنه عندى كبش ، وجمع

(1) بالنصب على أنه معمول لاعطين ، واما اذا كان معمولا ليأخذن فلا بد من رفعه على الفـــاعليـــة ·

له رهط من الانصار آصاعا من ذرة ، فلما كان ليلة البناء قال : يا على لا تحدث شيئا حتى تلقانى ، فدعا له صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما .

فقال : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما فى نسلهما ، وفى رواية فى شملهما . وهو بالتحريك الجماع ، وفى أخرى شبليهما ، قيل وهو مصحف ، فأصحت فالشبل لغة ولد الاسد ، فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انها تلد الحسنين ، فأطلق عليهما شبلين ، وهما كذلك .

واخرج ابو على الحسن بن شاذان : ان جبريل جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يامرك أن تزوج فاطمة من على ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه فقال : الحمد لله المحمود بنعمه — الخطبة المشهورة ، ثم زوج عليا وكان فى آخرها ، فجمع الله شملهما ، وطيب نسلهما ، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة ، وأمن الامة ، فلما حضر على تبسم صلى الله عليه وسلم وقال له : ان الله امرنى ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ، ارضيت بذلك ؟ فقال قد رضيتها يا رسول الله ، ثم خر على ساجدا شكرا لله تعالى . فلما رفع راسه قال له صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، واخرج منكما الكثير الطيب . قال انس رضى الله عنه : والله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب واخرج أكثره ابو الخير القزوينى الحاكمى . والعقد له مع غيبته سائغ ، لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان ينكح من شاء بلا اذن ، لانه أولى بالمومنين من انفسهم ، على انه يحتمل انه بحضور وكيله ، ويحتمل انه اعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها يحتمل انه اخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهى واقعة حال محتملة .

واخرج ابو داود السجستانى : ان ابا بكر خطبها فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم خطبها عمر فأعرض عنه.كذلك ، فأتيا عليا فنبهاه الى خطبتها ، فجاء فخطبها . فقال صلى الله عليه وسلم ما معك ؟ فقال فرسى وبدنى ، فقال : اما فرسك فلا بد لك منه ، وأما بدنك فبعها وآتنى بها ، ثم باعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها فى حجره فقبض منها قبضة ، وأمر بلالا ان يشترى بها طيبا ، ثم امرهم أن يجهزوها فعمل له سرير مشرط ، ووسادة من اديم ، اى جلد حشوها ليف ، وملا البيت كثيبا يعنى رملا رقيقا، وامر ام ايمن أن تنطلق الى ابنته ، وقال لعلى : لا تعجل حتى آتيك ، ثم اتاهم صلى الله عليه وسلم فقال لام ايمن : ها هنا اخى ؟ قالت اخوك



وتزوجه ابنتك ! ؟ قال نعم فدخل على فاطمة ، ودعا بماء ، فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه صلى الله عليه وسلم ثم نضح على رأسها وبين ثدييها ثم قال اللهم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال لعلى ايتنى بماء ، فعلمت ما يريد ، فملات القعب أى القدح الكبير — فأتيته به فنضح منه على راسى وبين كتفى ، وقال اللهم انى اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته .

وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم فى نسلهما ، فكان منه من مضى ومن يأتى ، ولو لم يكن فى الآيتين الا الامام الحسن والحسين لكانتا كافيتين فى بركة دعوته صلى الله عليه وسلم . ويقصد بالآيتين قوله تعالى : « قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقوله تعالى : « يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : فى لسان الميزان ، الخبر المذكور سنده عن انس ، قال : بينما انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ غشيه الوحى فلما سرى عنه قال : ان ربى أمرنى أن أزوج فاطمة من على ، فانطلق فادع ابا بكر وعمر ، وسمى جماعة من المهاجرين ، وبعددهم من الانصار فلما اخذوا مجالسهم خطب صلى الله عليه وسلم فقال : الحمد لله المحمود بنعمه فذكر الخطبة ، والعقد والصداق ، وذكر البشر والدعاء اخرجه ابن عساكر فى ترجمته . وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما سميت ابنتى « فاطمة » لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار .

واخرج ابو بكر الخوارزمى فى سبب تزويجها من على انه صلى الله عليه وسلم ، خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله عبد الرحمن ابن عوف ؟ فقال : بشارة اتتنى من ربى ، اخى وابن عمى وابنتى ، بأن الله زوج عليا من فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعنى صكاكا بعدد محبى آل البيت وانشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكا ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لآل البيت الا دفعت له صكا فيه فكاكه من النار ، فصار اخى وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من النار . وسميت ايضا بالزهراء ، اخذا لها من زهرة الحدائق البيضاء الفيحاء ولما كانت الزهور مسكن الحدائق الجميلة ، والاشجار الباسقة ، والدور الفخمة

وكانت فى النضرة والجمال احسن ما يشتهيه الانسان فى هذه الحياة الدنيا اشتق لها هذا الاسم منها لما بينهما من المناسبة الحسية والمعنوية مناسبة تامة لان الزهرة الجميلة مسكنها الحدائق الرفيعة ، وفاطمة الزهراء رضى الله عنها مسكنها بيت النبوءة ، وبيت النبوءة من الجنة والجنة لغة الحدائق المزهية بألوانها وسحر جمالها ، لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين » .

وكانت طهارتها من دم الحيض والنفاس ونقاؤها مما أصاب غيرها من النساء دليلا على ذلك ، ولذلك كانت سيدة نساء أهل الدنيا فى الدنيا ، وسيدة نساء أهل الجنة فى الجنة ، ومن أجل ذلك كانت تعرف بالحوراء الآدميـــة .

## ترجمة فاطمـــة الزهـــراء رضى اللـــه عنهـــا

فهى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى اصغر بناته كما تقدم من امها خديجة بنت خويلد الاسدية ، خلقت قبل الوحى بستة اشهر من سن الاربعين للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة ، وبنى بها على رضى الله عنها وعنه فى المدينة المنورة فى السنـــة الثانية من الهجرة ، ولها من العمر — 15 — سنة . وكان منها عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعلى معها من الاولاد اربعة : 1) السيد الحسن و 2) السيد الحسين و 3) السيدة زينب الكبرى و 4) ام كلثوم الكبرى . وهى التى تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعنه وهى صغيرة السن ، وله معها ابنه زيد ، وستأتى قصتها فى الزواج بعمر رضى الله عنه وتوفيت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بعد ابيها بستة اشهر ، فى شهر رمضان المعظم من السنة الحادية عشرة للهجرة ، ولها من العمر — 24 — سنة ، والصحيح انها دفنت بالبقيع ، وكان بنى عليها مسجد واطلق عليه مسجد الاحزان وبقى الى ان ذهب به طوفان عبد العزيز آل سعود فى جملة من ذهب من القباب والمشاهد فى الحرمين ، وسويت بالارض خشية ان تصير معبودات من دون الله واصاب فى ذلك ، لانه لا سبيل الى رجوع الوثنية الجاهلية الى الاراضى المقدسة بعد ان طهر الاســلام منها كافة الجزيرة العربية . ولم يستثن من ذلك الاروضة المسجد النبوى بأمر من علماء الدين المصلحين .

وقيل دفنت ببيتها ، وعليه فهى داخلة فى المسجد النبوى ، ولهذا



القول ما يؤيده ، والله أعلم بحقيقة الحال فى ذلك .

وقد نص العلماء أن مدة الوحى — 23 — سنة وقد عاشت فاطمة الزهراء رضى الله عنها مدة الوحى الا انها تقدمت عليها بستة أشهر ، وتأخرت عن الوحى بستة أشهر ، فهى بنت — 24 — سنة فى عمرها .

واخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم . قال لها : ان جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه الا انه حضر أجلى ، وانك اول أهل بيتى لحاقا بى فاتقى الله واصبرى ، فانه نعم السلف انا لك .

## مناقب فاطمـــة الزهراء رضى الله عنها

واخرج الامام أحمد والترمذى والحاكم عن ابن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ، انما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها ، وينصبنى ما انصبها .

واخرج الشيخان عن فاطمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المومنين ؟

واخرج الترمذى والحاكم عن اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : احب اهلى الى فاطمة . وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى : فاطمة أحب الى منك ، وانت اعز على منهـــا .

واخرج الشيخان والامام احمد ، واو داود والترمذى عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى هاشم ابـــن المغيرة استاذنونى ان ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، الا ان يريد بن ابى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما يؤذيها . وفيه أيضا قال : حدثنى على بن حسين ان المسور بن مخرمة قال : ان عليا خطب بنت أبى جهل ، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول : اما بعد انكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثنى وصدقنى وان فاطمة بضعة منى ، وانى اكره ان يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت

عدو الله عند رجل واحد · وفيه أيضا عن الحكم سمعت ابن أبى ليلى قال : حدثنا على ان فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من اثر الرحى فأتى النبى صلى الله عليه وسلم سبى · فانطلقت فلم تجده ، فوجدت عائشة فأخبرتها ، فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم الينا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم ، فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، وقال ، الا اعلمكما خيرا مما سألتمانى اذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين ، وتسبحا ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهو خير لكما مـــن خادم ·

وأخرج الملا فى سيرته انه صلى الله عليه وسلم أرسل أبا ذر ينادى عليا فرأى رحى تطحن فى بيته وليس معها احد ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال يا أبا ذر أما علمت ان لله ملائكة سياحين فى الارض قد وكلوا بمعونة آل محمد ·

ومن مناقبها ما ورد فى صحيح البخارى عنه عليه الصلاة والسلام قال : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة · وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى ·

## البيت الاول لعلى رضى الله عنــه

ويتألف هذا البيت منه ومن زوجه الاولى « فاطمة الزهراء » رضى الله عنها سيدة نساء المومنين فى الدنيا ، وسيدة نساء أهل الجنة فى الجنة · وكان له منها الاولاد الاربعة ·

1) الامام الحسن رضى الله عنه ومولده فى السنة الثالثة من الهجرة · اى بعد سنة من زواجها من على رضى الله عنهما ·

و 2) الامام الحسين رضى الله عنه ومولده فى السنة الرابعة مـــن الهجرة ويفرق بينه وبين أخيه الحسن بتسعة أشهر ، وبعد موت النبـــى صلى الله عليه وسلم كان للامام الحسن ( 8 ) أعوام ·

ولاخيه الامام الحسين ( 7 ) أعـــوام ·

و 3) زينب الكبرى و 4) أم كلثوم الكبرى · هؤلاء أهل البيت الاول لعلـــى رضى الله عنه ·



## البيت الثانـــى لعلـــى رضى الله عنه

ويتألف هذا البيت الثانى من عدة زوجات : منهن أمهات أولاد ، ومنهن حرائر ، وهن : (2) أم البنين بنت حزام عامرية من بنى كلاب · (3) ليلى بنت مسعود التميمية · (4) أسمـــاء بنت عميس الخثعميـــة ، (5) الصهباء بنت ربيعة من بنى جشم ابن بكر · (6) أمامة بنت أبى العاص من أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم · (7) خولة بنت جعفر الحنفية · (8) أم سعيد بنت عروة بن مسعود ، (9) محياة بنت امرىء القيس الكلبية ، ولم يعرف بالضبط كم تزوج علـــى رضى الله عنـــه ، مـــن الزوجـــات ·

وأما عدد الاولاد من غير فاطمة الزهراء فهـــم (27) بين الذكـــور والاناث ، وكان نسله من خمسة منهم بما فيهم ابنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها من البيت الاول · السيد الحسن ، والسيد الحسين ، ومن البيت الثانى ثلاثة هم محمد بن الحنفية ، والعباس بن أم البنين ، وعمر من أمه الصهباء بنت ربيعة · ذكور البيت الثانى (11) وهم محمد الاكبر بن الحنفية ، وهو أكبر أولاد البيت الثانى سنا ، والعباس ، وجعفر ، وعبـــد الله ، وعثمان ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، ومحمد الاوسط ، ويحيى ، وعمر ، ومحمـــد الاصغـــر ·

واناث البيت الثانى (16) هن : زينب الصغرى ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وأم هانىء ، وميمونـــة ، ورملـــة الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيســة ، ورقية · ومجموع أولاد البيت الاول والثانى (31) ولدا بين الذكور والاناث ، وكان اهتمام المؤرخين ببيت فاطمة الزهراء أكثر لمكانة ولديها الحسن والحسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولشدة ما لقياه وأبناؤهما من المسؤولين فى الامة الاسلامية عبر الاجيال ، رغم توصيات النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن الكريم ولكن البشرية هى البشرية لا تتغير ولا تتبدل : فانا لله وانا ليه راجعون » ·

## تربية الحسنين بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول : اللهم انى أحبه فأحبه · وأخرج

البخارى عن أبى بكرة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جانبه ، ينظر الى الناس مرة ، واليه مرة ، يقول : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ·

واخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاى من الدنيا · يعنى الحسن والحسين . واخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة · واخرج الترمذى عن اسامة ابن زيد قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه ، فقال ، هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما ، واحب من يحبهما · واخرج الترمذى عن انس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى أهل بيتك أحب اليك ؟ قال الحسن والحسين . واخرج الحاكم عن ابن عباس قال : اقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو · واخرج سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : اشبه اهل النبى صلى الله عليه وسلم به ، واحبهم اليه الحسن ، رايته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رايته وهو راكع فيخرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر ·

واخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع لسانه للحسن بن على ، فاذا راى الصبى حمرة اللسان يهش اليه · اى يتبسم . واخرج الحاكم عن زهير بن الارقم قال : قام الحسن يخطب فقام رجل من ازد شنوءة ، فقال : اشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول : من احبنى فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثت به احدا ·

واخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجىء الحسن وهو ساجد ، وهو اذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته ، فيرفعه النبى صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا ، فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله انك تصنع بهذا الصبى شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان هذا ريحانتاى، وان ابنى هذا سيد وحسبى أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين ·



واخرج الشيخان عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم انى أحبه ، وأحب من يحبه · يعنى الحسن ، وفى رواية اللهم انى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه ، قال أبو هريرة فما كان أحد أحب الى من الحسن ، بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال · وفى حديث أبى هريرة أيضا عند الحافظ السلفى قال : ما رايت الحسن بن على قط الا فاضت عيناى دموعا ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ على حتى جئنا سوق بنى قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال : ادع ابنى قال فأتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ، ويقول : اللهم انى احبه ، فأحبه ، وأحب من يحبه ثلاث مرات · وروى الامام أحمد : من أحبنى وأحب هذين يعنى حسنا وحسينا وأباهما ، وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة ·

ورواه الترمذى بلفظ كان معى فى الجنة ، وقال حديث غريب · ومعنى المعيه رفع الحجاب نظير : فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين » ·

## سبب تسميتها بالحسن والحسين

اخرج البغوى وعبد الغنى فى الايضاح عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سمى هارون عليه السلام ابنيه شبرا وشبيرا ، وانى سميت ابنى الحسن والحسين بما سمى هارون ابنيه · وأخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما فى الجاهلية ·

واخرج الامام احمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ابناى هذان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، وأبوهما خير منهما يعنى نفسه ، صلى الله عليه وسلم ·

واخرج الامام احمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن حذيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : أما رأيت العارض الذى عرض لى قبل ذلك ؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة ، استاذن ربه عز وجل أن يسلم على ويبشرنى ان الحسن والحسين سيدا

شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

واخرج الطبرانى عن فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اما حسن فله هيبتى وسؤددى ، وأما حسين فان له جراءتى وجودى .

واخرج الترمذى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا .

واخرج بن عدى وابن عساكر عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا .

واخرج الترمذى وابن حبان عن اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذان ابناى أو ابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما واحب من يحبهمـــا .

واخرج الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : صدق الله ورسوله : انمـــا أموالكم وأولادكم فتنة » . نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما . واخرج أبو داود عن المقدام بن معد يكرب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذا منى يعنى الحسن — وحسين من على .

واخرج البخارى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، الا ابنى الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكرياء ، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مريم .

واخرج البخارى والامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، يعنى الحسن .

واخرج الطبرانى عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيفا العرش وليسا معلقين .

واخرج البخارى فى الادب المفرد والترمذى وابن ماجة عن يعلى بن مرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط .

واخرج الترمذى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحب اهل بيتى الى الحسن والحسين .



وأخرج الامام أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ، ومن أبغضهما فقد أبغضنى . وأخرج أبو يعلى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى الحســـن .

## توليـــة على للخلافة الاسلاميـــة

وفى سنة (35) من الهجرة بويع بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة الحرام فى هذه السنة ولى الخلافة بعد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد أفلت زمام الامر من يد الدولة الاسلامية ، وكانت شروط الكفاءة متوفرة لدى الامام على للم شمل المسلمين ، ومن أجل ذلك رأى الكثيرون من اهل الحل والعقد من كبار الصحابة ممن كانوا مقيمين بالمدينة ان الكفاءة فى لم شمل المسلمين تحت راية الدولة الاسلامية لا تتوفر الا فى الامام على رضى الله عنه ، بعد أن ظل المسلمون حيارى لا يجدون لهم ملجئا كأنهم فى فوضى ، ومن أجل ذلك كان الامام على رضى الله عنه يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ثم ذهب معظم اهل الحل والعقد يطلبون منه أن يلى أمر الخلافة فقدر المستقبل حق قدره ، وعلم انه انما يستقبل فتنة سائرة لا يدرى قبلها من دبرها ، فقال لهم التمسوها فى غيرى ، فانا مستقبلون أمرا له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، فناشدوه الله والدين ، وبعد ما تحقق من عزمهم على الامر قال لهم : قد أجبتكم واعلموا انى راكب بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما أنا كأحدكم الا انى من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه ، ثم سألهم أين طلحة والزبير ؟ فذهب جماعة اليهما فأحضروهما بعد ما اقتنعوا ان الامر لا يتم الا بمبايعتهما فبايعا عليا بالخلافة على مضض فى انفسهما فجاءت بيعتهما مستعجلة لاوانها ، فبايعاه ولا سبيل حينئذ لاكراههما على البيعة قبل أن يتم انعقادها لعلى ، الا أن بعض المؤرخين يحاول أن يجعل لهما مبررا باكراههما على البيعة ، حتى يكون لهما عذر للخروج من هذه البيعة التى التزماها وعقداها على أنفسهما طوعا لا اكراها فلزمتهما ، لان عليا حينئذ لم يكن يملك سلطة حتى يكرههما على المبايعة بل هو الذى سأل عنهما لما رأى مكانهما شاغرا بين أهل الحل

والعقد ، وبعد أن بايعا قام الناس فبايعوا فتمت له البيعة ممن كان حاضرا بالمدينة . وتخلف عن البيعة ممن كان غائبا عنها رجال : هم سعد بن ابى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، والمغيرة ابن شعبة ، وعبد الله بن سلام ، وقدامة بن مظعون وأبو سعيد الخدرى ، وغيرهم ، ولكن أغلب هؤلاء كان مشغولا فى ولايات الامصار ، ولم يحضروا بالمدينة وقت البيعة ، ولهذا رأى الامام على ان بيعته قد أصبحت تامة ، وما عليه الا ان يشمر عن ساعد الجد لانقاذ الموقف المتدهور الذى هو فى حاجة ماسة الى أمثاله .

## أول خطبـة لـه

ثم خطب فى الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس ان الله أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض الفرائض أدوها ان الله يؤدكم الى الجنة ، الا أن الله حرم حرمات غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها ، وشد حقوق المسلمين بالتوحيد والاخلاص ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، ولا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب ، فبادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فانما الناس أمامكم ، وخلفكم الساعـة تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده ، انكم مسؤولون حتى عن البتاع والبهائم ، أطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به ، واذا رأيتم الشر فدعوه : واذكروا اذ انتم قليلون مستضعفون فى الارض » ثم نزل بمكة المكرمة بلد الهجرة فى طريقه الى العـراق .

وعن مجاهد قال لى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : ما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من دار الدنيا حتى عهد الى أن أبا بكر يلى من بعدى ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على من بعده .

## أول ما قـام به على رضى الله عنـه

فان أول ما قام به على فى خلافته ، هو انه ابتدا بتبديل عمال الامصار . فرفض بعض من رأى ان الخلاف الناشىء سبيل الى الرفض والخروج على الامام وقد تبنى هذه الفكرة معاوية بن أبى سفيان فامتنع



من بيعة على محتجا عليه بما رآه ، فاتهمه بالمالأة مع الغوغاء الذين قتلوا عثمان لترجع الخلافة اليه لانه كان تواقا اليها قبل ذلك ، فحيل بينه وبينها ومعاوية يرى ان بنى أمية أحق بالطلب بدم عثمان لانه أموى فتسلل معاوية وفتح من هذه الفكرة بابا لنفسه حتى لا تلزمه البيعة لعلى فأصبح من المتمردين على الخلافة الاسلامية التى تمت الكلمة فيها لعلى من الوجهة الشرعية ، وتذرع فى تمرده بقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل » وكان من رأيه بعد القصاص من قتلة عثمان يجتمع أهل الحل والعقد لتنصيب الخليفة . وكان رأى الامام على رضى الله عنه ، ان الذى هو أحق باقامة الحدود هو خليفة المسلمين ، وقد تمت له البيعة لخلافة المسلمين ، فهو الخليفة الشرعى ، ولم ير على بعد هذا الا الاستعداد والتشمير للحرب .

فقال لزياد بن حنظلة : يا زياد استعد ، فقال لاى شىء ؟ فقال لحرب معاوية ، قال زياد : الأناة والرفق أمثل ، وانشد :

ومـن لم يصانـع فى أمـور كثيرة     يـدرس بأنيـاب ويوطأ بمنسـم

فأنشد على رضى الله عنه مرتجلا قائلا :

متى تجمع القلب الذكى وصارما     وانفا حميـا تجتنبـك المظـالـم

فخرج زياد الى الشام ، فقيل له : ما وراءك ؟ قال السيف وقد عد الامام على خلاف معاوية بغيا على طاعة الامام وخروجا عليه ، وارسل الى أهل الامصار يستنفرهم لقتال معاوية ومن على رأيه ، وممن دخل فى رأيه أم المومنين السيدة عائشة الصديقية رضى الله عنها وتبعها على رأيها طلحة والزبير بعد نكثهما بيعة على ، وتوجها مع من تبعهم من مكة الى البصرة بالعراق ، وكان عاملا على البصرة عثمان بن حنيف فمنعهم من الدخول اليها ، وردهم من حيث جاءوا ، فبعث لعلى فأمره بأن يستمر فى منعهم من دخولها ، فاجتمع من أنصار الفريقين خلق كثير فنشبت الحرب بين الفريقين ، ولم تشتد حتى وصل على من مكة ، فكانت وقعة الجمل الشهيرة التى قادتها أم المومنين عائشة رضى الله عنها ، وكان الانتصار فيها للامام على رضى الله عنه ، ثم أمر بها الى المدينة ، واختار لصحبتها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر ، فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس اليها فقالت يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض ، انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها ، وانه على معتبتى لمن الاخيار ، فقال الامام على

صدقت والله ما بينى وبينها الا ذلك ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة . ثم خرجت يوم السبت فاتح رجب سنة (36) هجرية فتوجهت الى مكة فحجت ثم منها الى المدينة ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واحصيت القتلى التى سقطت حول الجمل فكانت ستمائة قتيل . وتقدم انها توفيت سنة ( 57 ) هجريـــة .

## الكوفــة عاصمــة الخلافــة العلويــة

ثم توجه الى الكوفة التى جعلها مقر خلافته ، فأرسل الى معاويـة يدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، ويعلمه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ، فرفض الدخول فى طاعته ، فجهز أمير المومنين على رضى الله عنه جيشا لقتال معاوية ، حتى يرغمه على الدخول فى طاعته ، فلما علم معاوية سار اليه فى جيوش الشام ، فالتقى الجيشان فى سهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب ، فبدأ الامر بينهما بالمفاوضات ، فبذل الامام على رضى الله عنه كل مجهود لحقن دماء المسلمين بأسلوب الاقناع والحجـة الدامغة ، فلم يشأ معاوية الا الحرب ، فلما ظهرت الحجج القاطعة على انه باغ هو ومن معه رأى الامام على وجوب حربهم فحاربهم ، وقد ازدادوا تأكدا من أن معاوية باغ بموت عمار بن ياسر فى جيش على رضى الله عنه ، لانهم كانوا يحفظون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا هو قوله صلى الله عليه وسلم : ويح عمار تقتله الفئة الباغية . قال له ذلك فى بناء مسجد المدينة كان الناس ينقلون لبنة واحدة وكان هو ينقل لبنتين ، فأتى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ونفض الغبار عن راسه وقال له : الحديث : ويـح عمار تقتله الفئة الباغية . وتقاتل الجيشان قتالا شديدا فرأى معاوية الفشل فى جيشه فعمد الى المطالبة بالصلح ، فانتهى الامر بالتحكيم وكانت النتيجة منه ان انقسم جيش الامام على على نفسه فخرجت منه فرقة عن طاعة الامام وسموا « بالخوارج » وكانت لهم آراء فاسدة استبدوا بها ولم يرضوا بالدخول فى طاعة احد الطرفين المتخاصمين ، وتمسكوا بآرائهم الفاسدة وقاتلوا من أجل تطبيقها ومكثوا على ذلك حتى أكلتهم الحروب مـع مرور الزمن ، واصبح الوقت ربحا لمعاوية بقدر ما ازداد الامر اشتدادا على أمير المومنين على رضى الله عنه . فأصبح قتال الخوارج أمرا لا مفر منه ، وبذلك ازداد الامر استفحالا فى وجهه حيث أصبح يواجه عدوين من أشق الاعداء ، فوجد فى ذلك معاوية ارتياحا وجعل يعد العدة لخوض معركة اخرى قـد



تكون فى صالحه ، وقد كانت فعلا كما قدر الله أن تكون ، ولم يزل الخرق يزداد اتساعا فى وجه أمير المومنين على رضى الله عنه ، كما ازدادت نـار الحرب اشتعالا حتى اصبح لا يدرى بأيتها يبدأ قتالا . قصة الخوارج قيـل اول من خرج منهم رجل من ربيعة من بنى شيكر كان مع على بصفين فلما راى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على اصحاب معاوية فقتل منهم رجلا ، ثم حمل على اصحاب على فقتل منهم رجلا ، ثم نادى بأعلى صوته ، الا انى قد خلعت عليا ومعاوية ، وبرئت من حكمهما ثم قاتل أصحاب على حتى قتله قوم من همدان ، ثم انفصل من معسكر على بصفين اثنا عشر الفا ، وانحازوا الى حروراء ، فسموا الخوارج الحرورية ، وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء ، وشَبَثُ بن رِبعى . فخرج اليهم الامام على يناظرهم فوضحت حجته عليهم ، فاستأمن اليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان ، وانحاز الباقون منهم الى النهروان ، وأمروا على انفسهم رجلين : أحدهما عبد الله بن وهب الراسبى والآخر حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية ، والتقوا فى طريقهم الى النهروان برجل رأوه يهرب منهم فاحاطوا به ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : انا عبد الله بن خباب بن الارت ، فقالوا حدثنا حديثا سمعته عن ابيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم فقال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكونن قاتلا .

فشد عليه رجل منهم يقال له مسمع بسيفه فقتله ، ثم انهم دخلوا منزله وكانوا فى القرية التى قتلوه على بابها ، ثم قتلوا ولده وجاريته أم ولده . ثم عسكروا بالنهروان ، فانتهى خبرهم الى على رضى الله عنـه فسار اليهم فى أربعـة آلاف من اصحابه ، ومن بينهم عـدى بن حاتم الطـائـى فقـال :

نسير اذا ما كاع قـوم وبلـدوا ... برايـات صدق كالنسور الخوافق
الى شر قوم مـن شراة تحزبوا ... وعادوا الاه النـاس رب المشارق
طغاة عمـاة مارقين عـن الهدى ... وكل يـرى فى قولـه غير صادق
وفينا على ذو المعالى يقـودنـا ... اليهم جهارا بالسيـوف البوارق

فلما قرب على منهم أرسل اليهم : ان سلموا قاتل عبد الله بن خباب ابن الارت فأجابوه اننا كلنا قتلة ، ولئن ظفرنا بك قتلنـاك ، فبـداهم بالمناظرة ، فقال لهم : ماذا نقمتم منى ؟ فقالوا له : أول ما نقمنا منك

انا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم ، فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ؟ فقال : انما ابحت لكم اموالهم بدلا عما كانوا اغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل تدومى عليهم ، والنساء والذرية لم يقاتلونا ، وكان لهم حكم الاسلام بحكم دار الاسلام ، ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر وبعد لو ابحت لكم النساء ابكم ياخذ احدكم « عائشة » فى سهمه ؟ فخجل القوم من هذا ، ثم قالوا له نتمنا عليك محو امرة امير المؤمنين على اسمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية فى ذلك ، فقال ، فعلت مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم ابيك فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو· واخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى يوما منهم مثل ذلك ، فكانت قصتى فى هذا مع الابناء قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الآباء ، فقالوا له : فلم قلت للحكمين ؟ : ان كنت اهلا للخلافة فأثبتانى ، فان كنت فى شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك اولى ، فقال : انما اردت بذلك النصفة لمعاوية ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران الى المباهلة وقال لهم : تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فأنصفهم بذلك من نفسه ولو قال ابتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم ترض النصارى بذلك ، لذلك انصفت انا معاوية من نفسى ، ولم ادر غدر عمرو ابن العاص ، ثم قالوا فلم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟ فقال وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، ولو شاء لم يفعل ، واقمت انا ايضا حكما ، لكن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بالعدل ، وحكمى خدع حتى كان من الامر ما كان · فهل عندكم شىء سوى هذا فسكت القوم ، وقال اكثرهم صدق والله ، وقالوا التوبة ، واستأمن منهم اليه يومئذ ثمانية آلاف ، وانفرد منهم اربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير البجلى ، وقال على للمستأمنين اعتزلونى فى هذا اليوم ، ثم قال لاصحابه قاتلوهم فو الذى نفسى بيده ليقتلن منا عشرة ، ولينجون منهم عشرة ، فقتل من اصحاب على يومئذ تسعة ، وبرز حرقوص بن زهير الى على ، وقال يا ابن ابى طالب لا نريد بقتالك الا وجه الله والدار الآخرة ، وقال له



على بل مثلكم كما قال الله عز وجل : قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » منهم انت ورب الكعبة ، ثم حمل عليه فى اصحابه ، فصرع حرقوص المعروف بذى الثدية عن فرسه ، وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة · وقتل جميع الخوارج فلم يفلت منهم الا تسعة انفس ، سار منهم رجلان الى سجستان ، ومن اتباعهما خوارج سجستان ، ورجلان الى اليمن ، ومن اتباعهما اباضية اليمن ، ورجلان سارا الى عمان ، ومن اتباعهما خوارج عمان ، ورجلان سارا الى ناحية الجزيرة ، ومن اتباعهما خوارج الجزيرة ، ورجل منهم سار الى تل موزن ، وقال على يومئذ لاصحابه اطلبوا ذا الثدية ، فوجدوه تحت دالية ، وراوا تحت يده عند الابط مثل ثدى المراة ، فقال : صدق الله ورسوله : لما تحقق مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه · ثم امر بقتله فقتل ، فهذه قصة المحكمة الاولى ، وكان دينهم اكفار على وعثمان واصحاب الجمل ، ومعاوية واصحابه ، والحكمين ، ومن رضى بالتحكيم ، واكفار كل ذى ذنب ومعصية · ثم تفرعت عن الناجين من التسعة ، عشرون فرقة وهذه اسماؤها : (1) المحكمة الاولى ، 2 — الازارقة ، 3 — النجدات ، 4 — الصفرية ، 5 — العجاردة المتفرقة فرقا شتى ، منها 6 — الخازمية ، 7 — الشعيبية ، 8 — المعلومية ، 9 — المجهولية ، 10 — اصحاب طاعة لا يراد بها الله ، 11 — الصلتية ، 12 — الاخنيسية ، 13 — الشبيبية ، 14 — الشيبانية ، 15 — المعبدية ، 16 — الرشيدية ، 17 — المكرمية ، 18 — الحمزية ، 19 — الشمراخية ، 20 — الابراهمية ، 21 — الواقفة ، 22 — الاباضية ، والاباضية افترقت فرقا ، معظمها فريقان : حفصية ، وحرثية ، واما الزيدية فهى من الاباضية ، والميمونية من العجاردة ، فانهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة ·

ثم بعد هذا وذاك ، ثقل فى يده امر الرعية ، فصدق عليه قول من قال:

اذا كان عون الله للمرء ناصرا — تهيأ له من كل صعب مراده ،،
وان لم يكن عون من الله للفتى — فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده ،،

ومن المؤسف جدا ان يسمع الانسان ما آلت اليه الامور بيد الامام على رضى الله عنه · ولما انتهى من قتال الخوارج أمر جيشه بالتوجه الى الشام لمواصلة حرب معاوية ، فقالوا له يا امير المومنين : نفذت نبالنا وكلت جهودنا ، وفلت سيوفنا ، ونسلت اسنة رماحنا ، وحاد اكثرها قصدا ،

فارجع بنا الى مصرنا — الكوفة — فلنستعد ، ولعل أمير المومنين يزيد فى عدتنا ، فانه اقوى لنا على عدونا ، ومن هنا بدات سلطة أمير المومنين فى انهيار عليه ، حتى أصبح كل يوم فى نقصان — وخصمه طبعا فى زيادة — ولم يبق له الا ان يحرضهم فى كل ساعة على القيام بالواجب ، بما اتاه الله من فصاحة لسان وسحر بيان ، فتيقن ان الامر لا يزيد فى يده الا فتورا وارتخاء ولم يبق معه من المخلصين الصابرين الا فئة رآها لا تكفى حتــى للدفاع عن النفس اذا هاجمه عدوه ، وقد انحاز الى معاوية اقليم الشام واليمن والحجاز ومصر ، ولم يبق بيد أمير المومنين على رضى الله عنه الا اقليم العراق وفى هذا الظرف اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : (1) عبــد الرحمن بن ملجم الجمه الله بلجام من النار ، (2) البرك بن عبد الله التميمى (3) عمرو بن أبى بكر التميمى ، واتفقوا على أن يقتلوا ثلاثة مــن كبــار الصحابة ، هم : (1) الامام على ذهب اليه الشقى عبد الرحمن بن ملجم ، الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم أشقى الاولين عاقر ناقة صالح ، واشقى الآخرين قاتلك يا على · بالكوفة (2) معاوية ، ذهب اليه البرك ابن عبد الله التميمى ، بدمشق ، (3) عمرو بن العاص ، ذهب اليه عمرو ابن بكر التميمى ، بمصر ، بعد ما تعاقدوا على أن يكون تنفيذ ما عزموا وتعاقدوا عليه فى يوم واحد عينوه لذلك فى وقت واحد وهو وقت صلاة الصبح ، فقصد كل واحد منهم صاحبه وترصده فى صلاة صبح ذلك اليوم ، لان الامراء فى ذلك الوقت كانوا ائمة للصلوات الخمس فى الجماعات ، فقصد البرك معاوية وانتظره حتى كان يصلى بالناس صلاة الصبح فضربه بسيفه ضربة بين اليتيه اصابته فى عرق النسل لم يمت منها ، فألقى القبض عليه وأمر به فقتل وقصد عمرو بن بكر عمرو بن العاص ، وترصده فى صبح ذلك اليوم ، فناب عنه فى الصلاة خارجة بن حبيب السهمى لمرض كان به اقعده عن الخروج الى الصلاة ، وبعد ما تقدم خارجة للصلاة ظنه انه عمرو بن العاص فضربه ضربة قاتلة ، فقبض عليه ، فتبين ان المضروب خارجة ، فقيل له فى ذلك فقال : اردت عمرا واراد الله خارجة ، فصار مضرب الامثال لكل خطأ وقع فيه صاحبه ، ثم أمر به فقتل ·

وقصد الكوفة عبد الرحمن بن ملجم فنزل على احد الخوارج فبث له الامر فوافقه على مراده فى اغتيال الخليفة على رضى الله عنه ، ولما كانت الليلة التى تعاقدوا على تنفيذ ما اتفقوا عليه فيها خــرج عبد الرحمن ومعه شبيب الخارجى فترصدا الامام فى خروجه من دار الخلافة ، وكانت



بالقرب من المسجد الاعظم بالكوفة ، وقد اتفق ان استيقـ[ـظ] تلك الليلة سحرا ، وقال لابنه الحسن رايت رسول الله [صلى الله عليه] وسلم فى المنام ، وقلت له يا رسول الله ما لقيت من امتك [...] ادع الله عليهم ، فقلت اللهم ابدلنى بهم خيرا لى منهم ، [وابدلهم شرا] لهم منى ، واقبل عليه الاوز يصحن فى وجهه ، فطردوهن [فقال دعوهن] فانهن نوائح ثم دخل عليه المؤذن فقال : الصلاة ، فخر[ج] وهو ينادى ايها الناس الصلاة الصلاة · فشد عليه ش[بيب] فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب ، ثم ضربه ابن ملجم فـ[ـى] قرنه ، ووصل دماغه وقال : الحكم لله لا لك يا على ، و[قال] على لا يفوتنكم الرجل فهرب وهرب شبيب فدخل منزله ، [فدخل عليه رجل] من بنى أمية فقتله ، واما بن ملجم فشد عليه الناس من [كل جانب فلحقه] رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه ، واخذ الس[يف وجاء به] الى أمير المومنين على رضى الله عنه ، ولا يختلف المؤر[خون ان امير] المومنين عليا رضى الله عنه استشهد ليلة الجمعة (7[1]) (40) هجرية ، وقيل اقام على قيد الحياة الجمعة والسبت (19) رمضان سنة اربعين من الهجرة النبوية على صاحبـ[ـها افضل الصلاة] والسلام ، وبعد ان القى القبض على عبد الرحمن بن ملجـ[ـم ...] الامام على رضى الله عنه ، فقال : النفس بالنفس وال[جروح قصاص ف]ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رايت فيه رايى ثـ[ـم دعا بنى عبد] المطلب فحضر جمع منهم ، فقال لهم يا بنى عبد المطلب لا [الفينكم تخوضون] دماء المسلمين ، تقولون قتل أمير المومنين ، الا لا يقتلـ[ـن بى الا قاتلى ...] يا حسن ان انا مت من ضربتى هذه ، فاضربه ضربة بضـ[ـربة ولا تمثل] بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـ[ـلم يقول اياكم] والمثلة ولو بالكلب العقور · فدخل جندب بن عبد الله فقال [...] ان فقدناك ولا نفقدك ، فنبايع الحسن ، فقال ما آمرك[م ولا انهاكم انتم] ابصر ، ثم دعا الحسن والحسين ، واوصاهما وصية جا[معة لخير الدنيا] والآخرة ، قال فيها : اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا [... ولا] تبكيا على شىء ازوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم [...] واصنعا للاخرى وكونا للظالم خصيماه ، وللمظلوم ناصـ[ـرا واعملا بما] فى كتاب الله ولا تاخذكما فى الله لومة لائم ، ثم نظر الى ابن الحنفية ، وقال له هل حفظت ما اوصيت به اخويـ[ـك ...] فانى اوصيكما بمثله واوصيك بتوقير اخويك لعظيم حقهما

امرا دونهما . ثم قال للحسن والحسين اوصيكما به فانه اخوكما وابن ابيكما ، وقد علمتما ان اباكما كان يحبه ، وقال للحسن ايضا اوصيك اى بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فانه لا صلاة الا بطهور ، واوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه فى الدين ، والتثبت فى الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ثم لم يزل يذكر الله حتى توفى ، والاصح انه كان له من العمر (61) سنة وتولى غسله ولداه الحسن والحسين ، وعبد الله ابن جعفر بن ابى طالب ، ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة اثواب ، ليس فيها قميص ، وصلى عليه ولده الحسن وكبر عليه سبعا ، والصحيح انه مدفون بدار الامارة بالكوفة ، ودفن ليلا او بالقرى وهو موضع يزار الآن او بين منزله والجامع الاعظم ، ثم صحح المتأخرون انه دفن فى محراب الجامع الاعظم ، واخفى قبره لامرين (1) اخفى حتى لا يعبد من دون الله من طرف غلاة الشيعة ، (2) اخفى خوفا عليه من اعدائه الخوارج حتى لا ينبشوا قبره ، وذهب فى ذلك اهل الطيش الى غير هذا ولا فائدة فى ذكر ما ذكروا . وكانت خلافته رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام ، اى خمس سنين غير (85) يوما فقام بها رضى الله عنه احسن قيام ، وقد بذل فيها اكثر من الجهد فى محاولة لم شمل المسلمين فلم يحقق من ذلك سوى خروجه من الدنيا بخير ، رغم الكفاءة التى كانت متوفرة لديه ، وظل ما يقرب من خمس سنوات الى اليوم الذى قبض فيه لم يصف له فيها يوم واحد من الكدر والحروب ، وكان أمر الله بذلك قدرا مقدورا . وقد كان ذلك لحكمة ارادها الله لتتميم نعمته عليه .

قال بعض العلماء : الحكمة فى عدم اجتماع الكلمة لعلى رضى الله عنه ترجع الى امرين : (1) لحديث ورد فى ذلك هو قوله عليه الصلاة والسلام : انا اهل البيت لا يجمع الله لنا بين الدنيا والآخرة ، او كما قال : وابى الله أن يجمع للامام على رضى الله عنه بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وذلك لقربه من بيت النبوءة . (2) هو ما علمه الله تعالى من انه اذا اظهره بمظهر المقتدر واجرى الكرامات على يديه كما كان ذلك ظاهرا عليه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقادت له الرقاب وتصرف فى شئونها تصرف المالك فى ملكه ، لا يومن جانبه حينئذ من اعتقاد الالوهية فيه ، وعبادته من دون الله من طرف كثير من البشر ، سيما وقد كانت



بدات تظهر فرق من ذلك فى حياته ، وعبدته من دون اللـه ، كالشيعة الروافض ومن على نظرهم من الشيعة المتطرفة ، والناصرية أكثرهم غلوا فى ذلك ، ولن تزال بقية من عقائدهم الكفرية الى اليوم ، واما فى حياته رضى الله عنه لما وصله خبر تأليههم اياه ، دعاهم واستنطقهم فاعترفوا بذنبهم فاستتابهم فلم يتب عدد كبير منهم ثم جمعهم على أعين الناس فأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم كبار الصحابة ثم حفر لهم أخاديد فى باب كندة احدى أبواب الكوفة فى الارض ، واوقد فيها النيران ، فتذفهم فيها احياء بعد اتفاق الصحابة على قتلهم ، لكن كان مذهب ابن عباس رضى الله عنهما أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق ، وهو قول أكثر العلماء ولم يكف الامام على عن احراقهم حتى سمع حديثا من ابن مسعود لعله لم يصله : لا يعذب احد بالنار الا الله . وقال المحترقون : الآن زدنا اعتقادا بألوهيتك ، لا يعذب بالنار الا رب النار ، وكان رئيس أولئك الغلاة المبتدعة هو عبد الله ابن سبأ اليهودى الاصل واتباعه . وهو مؤسس العقائد السبئية وهو الذى كان سببا فى اشعال نار الفتنة التى ذهبت بحياة الخليفة عثمان رضى الله عنه . قال ابن سبأ وأصحابه ان عليا الههم فنهاهم فلم ينتهوا فكان مصيرهم ما تقدم من الحرق ، وقال ابن معتوق لعنه الله من متأخريهم فى على :

سيد الاوصياء مولى البرايا ... عروة الدين صفوة الخلاق
مهبط الوحى معدن العلم والافـ ... ـضال لا بل مقدر الارزاق
عالم الغيب والشهادة لا يعـ ... ـزب عنه حساب ذر دقاق

انظر فانك تراهم يخلطون فيه بين أوصاف النبوءة والالوهية كأنهما اجتمعتا فيه لعنة الله عليهم ، وقد سبق فى علم الله انه سيبتلى بهذه الدعاوى الكاذبة فانتذه منها بلطفه الخفى ، واللطف الخفى عندهم هو ان الخير ياتى فى صورة الشر ، ومن ذلك معنى قوله تعالى : وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » وانقاذه بلطفه اظهار عجزه فى الوقت الذى لا يمكن له أن يدخر فيه شيئا من قوته وحزمه ، ولو كانت فى ذاته قوة الالوهية كما زعموا لما عجز عن تحقيق أبسط ما قد يجتمع لمن هو دون مرتبته ، وعلى رغم منه قد جمع الله الامر لخصمه وهو دونه ، فصار ينظر الى انصاره وشيعته وهم فى تفرق عنه وادبار ، بينما انصار خصمه فى طاعة واقبال عليه ، فكان رضى الله عنه اذا رأى ما هو فيه من مخالفة عسكره له وطاعة عسكر معاوية له ،

يعض على أصابعه ويقول : أأعصى ويطاع معاوية !!؟ وهذا العجز القاهر الظاهر لو لم يبرزه القدر الالاهى الى الوجود ، وعلى التقدير لو كان النصر لعلى باظهار الكرامات على يديه لكان امتحانا له أى امتحان على أعين الاشهاد فى حياته ولكان نقلته السنة الاقلام لمن بعده ، فعند ذلك لم يكن من المستبعد أن يكون جل الذين يتحلون الآن بعجزه يعبدونه من دون الله ، فيكون ذلك أعظم بلاء على الامام على رضى الله عنه فى دينه : فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين » ولو تركت الخلافة للاحقية بعد موت على لتقدم على معاوية فى ذلك العصر الوف ممن كانوا أفضل وأخير منه ، ممن شهد الكتاب والسنة بفضلهم كأهل بدر ، وأحد من المهاجرين والانصار ، وأهل بيعة الرضوان ، وكل من شهد المغازى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ، ومعاوية قد أسلم كرها بعد الفتح ، وفى ذلك يقول الله تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجة من ا لذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » ومعاوية كان فى غزوة حنين من المؤلفة قلوبهم ، فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم أباه أبا سفيان مائة من الابل ، وأربعين أوقية من الذهب ، وأعطى ابنه معاوية هذا مثل ذلك ، وأعطى أخاه يزيد بن أبى سفيان مثل ذلك وقال أبو سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى لانت كريم فى السلم والحرب ، وفى رواية أن معاوية قد أسلم فى السنة السابعة من الهجرة ، أى قبل الفتح بسنة ، فهو صاحب اللعبة الناجحة ، ولولا ان الامور تجرى على غير مجراها الطبيعى ، لما ترك الخلافة من كانوا أحق بها وأهلها من كبار الصحابة وأخيارهم من المهاجرين والانصار ، مثل سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، كل هؤلاء بدريون ومن العشرة المبشرين بالجنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم · وغيرهم كثيرون ، ولولا جراءة معاوية عليها لما كانت تصل انيه عن طريق الاحقية لانهم كانوا أحق بها منه ، وحيث كانت الامور تجرى على نواميس الكون تهيأت له أسبابها حتى أصبح ملكا مظفرا ، وقتل خصمه الخليفة الحق مقهورا ورغم هذا العجز الظاهر الباهر الذى سار على نهج ما جرت به المقادير ، على الامام على رضى الله عنه ، وما زال ناس كثيرون يدعون الوهيته ، ويوجد منهم طوائف فى سريا من بلاد الشام ، وفى العراق ، وفى ايران ، وفى مصر ، وما يسمع من اطفال مصر خصوصا عند احتياجهم الى نزول المطر الغزير ، ما يؤيد ذلك من اقوالهم عند نزول أول موجة من المطر الخفيف يقولون : يا بركة على زد ، لاعتقادهم انه فى السحاب ،



وياخذون ذلك من آية فى القرآن حسب تاويلاتهم الفاسدة ، وهى قوله تعالى : هل ينظرون الا أن ياتيهم الله فى ظلل من الغمام » قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من بيدك الخير انك على كل شىء قدير » ·

## أوصاف شخصية الامام على رضى الله عنه

فمن اوصافه انه كان مربوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان أحسن الناس وجها ، كثير التبسم ، ثقيل العينين وعظيمهما كثيف اللحية ، ولا يغير شيبه ، أصلع الرأس ، عظيم الصدر كثير شعره لون بشرته يميل الى الادمة ، وهى حمرة يخالطها تسود دهمة وكان ضخم عضلة الذراع ، وضخم عضلة الساق مع اعتدال فى ذلك من باقى اليدين والرجلين ، كان اذا مشى عليه هيبة ووقار ، واذا تكلم أقنع الناس بسعة علمه ، وفصاحة لسانه ، وسحر بيانه وقوة جنانه هو من المعرفة بهذا عند أهل العلم غنى عن التعريف به · ومن أخلاقه انه كان شجاعا متداما ، حمل الراية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر وبنى النضير ، وغزوة الفتح الاعظم ، وحنين ، وله غير ذلك من المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الى جانب ذلك كريما مؤثرا على نفسه فى الرخا والشدة ، حتى شرفه الله بنزول القرآن فى كرمه فقال الله تعالى : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا » الى قوله تعالى : ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » ·

وأخرج السلفى فى الطيوريات عن عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل قال : سألت أبى عن على ومعاوية فقال : اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاءوا الى رجل قد حاربه وقاتله ، ناظروه كيدا منهم له ·

## ومن حكمه وآدابه رضى الله عنه

فمن كلماته الدالة على علو قدرته علما وحكمة وزهدا ومعرفة بالله

تعالى ومن قضاياه وكراماته · أخرج بن سعد عنه قال : والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا · وأخرج ابن سعد وغيره ، عن أبى الطفيل قال : قال على سلونى عن كتاب الله ، فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وأخرج ابن أبى داود عن محمد بن سيرين قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطا على عن بيعة أبى بكر فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ قال لا ، ولكن آليت لا أرتدى بردائى الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد بن سيرين لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم ·

ومن كراماته الباهرة ان الشمس ردت عليه لما كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه ، وعلى لم يصل العصر ، فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم الا وقد غربت الشمس ، فطلعت بعد ما غربت · وحديث ردها صححه الطحاوى من الحنفية ، والقاضى عياض فى الشفاء ، وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة ولم يتبعه غيره · وردوا على جمع قالوا انه موضوع ، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها فى محل المنع ، بل نقول كما ان ردها خصوصية كذلك ادراك العصر الآن ، اداء خصوصية وكرامة على ان فى ذلك أعنى ان الشمس اذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بردها ترددا ، حكيته مع بيان المتجه منه فى شرح العباب ، فى أوائل كتاب الصلاة · قال سبط بن الجوزى وفى الباب حكاية عجيبة حدثنى بها جماعة من مشائخنا بالعراق ، انهم شاهدوا أبا منصور المظفر ابن أزدشير القباوى الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه ، وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس ، حتى ظن الناس انها قد غابت فقام على المنبر وأومأ الى الشمس وأنشد :

| | |
|---|---|
| لا تغربى يا شمس حتى ينتهى | مدحى لآل المصطفى ولنجله |
| واثنى عنانك ان أردت ثناءهم | أنسيت اذ كان الوقوف لأجله |
| ان كان للمولى وقوفك فليكن | هذا الوقوف لخيله ولرجله |

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت · وهذه كرامة أخرى للواعظ وأخرج عبد الرزاق عن حجر المرادى قال : قال لى على : كيف بك اذا أمرت ان تلعننى ؟ قلت أو كائن ذلك ؟ قال نعم ، قلت فكيف أصنع ؟ قال العنى ولا تبرأ منى · قال : فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج ، وكان أميرا من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن ان العن عليا ، فقلت



ان الامير أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله · فما فطن لها الا رجل اى لانه لعن الامير ولم يلعن عليا فهذا من كرامات على ، واخباره بما اطلعه الله عليه وكشف له من أمر المستقبل وتلك خصوصية خصه الله بها ، فصارت وراثية بين أبنائه من ذرية الحسنين · ومن كراماته أيضا انه حدث بحديث فكذبه رجل ، فقال له أأدعو عليه : ان كنت كاذبا ، فقال : ادع ، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره ·

وأخرج ابن المدائنى عن مجمع ان عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له انه لم يحبس فيه المال عن المسلمين ·

## قضـــاء علـــى

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الارغفة الثمانية على السواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة أرغفة يقول : ان له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب الثلاثة يقول : ان له أربعة ونصفا ، فاحتكما الى الامام على رضى الله عنه فقال : لصاحب الثلاثة خذ ما رضى به صاحبك ، وهو الثلاثة فان ذلك خير لك ، فقال لا رضيت الا بمر الحق ، فقال على ليس فى مر الحق الا درهم واحد ، فسأله عن بيان وجه ذلك ؟ فقال رضى الله عنه اليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة ولا يعلم أكثركم أكلا فتحملون على السواء ، فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذى لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث ، والذى له خمسة وعشرون ثلثا فبقى له سبعة ، ولك واحد ، فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك ، فقال رضيت الآن ·

وأتى برجل فقيل له زعم هذا انه احتلم بأمى ، فقال : اذهب فأقمه فى الشمس فاضرب ظله ·

ومن حكمه : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ومن أحاديثه : الناس نيام اذا ماتوا استيقظوا · ما هلك امرؤ عرف قدره . قيمة كل امرىء ما يحسنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه · المرء مخبوء تحت لسانه ، لا تحت طيلسانه · من عذب لسانه كثر اخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر الذى قال ، وانظر الى ما قال . الجزع عند البلاء تمام المحنة · لا ظفر مع البغى ولا ثناء مع الكبر . لا صحبة مع

النهم والمتخم . لا شرف مع سوء الادب . لا راحة مع الحسد . ولا سؤدد مع الانتقام . لا صواب مع ترك المشورة . لا مروءة للكذوب . لا كرم أعز من التقى . لا شفيع انجح من التوبة . لا لباس أجمل من العافية . لا داء أعيى من الجهل . المرء عدو ما جهل . رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره . اعادة الاعتذار تذكر بالذنب . النصح بين الملا تقريع . نعمة الجاهل كروضـة علـى مـزبلـة . الجـزع أتعب مـن الصبـر . المسـؤول حـر مـن الـوعـد حتـى يعـد أكبـر الاعـداء أخفـاهـم مكيـدة . الحكمـة ضـالـة المـومـن . البخـل جامـع لمساوىء العيوب . اذا حلت المقـاديـر ضلت التدابير . عبـد الشهـوة أذل مـن عبـد الرزق . الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له . كفى بالذنب شفيعا للمذنب . السعيد من اتعظ بغيره . الاحسان يقطع اللسان . أفقر الفقر الحمق . أغنى الغنى العقل . الطامع فى وثاق الذل . ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، بل العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا نفار النعم فما شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الطمع . اذا وصلت اليكم النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر . اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكـرا للقدرة عليه . ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه ، وعلى صفحات وجهه . البخيل يستعجل الفقر ، ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء . لسان العاقل وراء قلبه . وقلب الاحمق وراء لسانه . العلم يرفع الوضيع . والجهل يضع الرفيع . العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه . قصم ظهرى عالم متهتك وجاهل متنسك . هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه ، وذاك يضل الناس بتنسكه . أقل الناس قيمة أقلهم علما . اذ قيمة كل امرىء ما يحسنه . وكلامه رضى الله عنه فى هذا الاسلوب البديع كثير تركته خوف الاطالة .

وهذه جملة من آدابه رضى الله عنه . وهى قوله : كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، ليس فى الطير شىء الا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما فى أجوافها من الخير والبركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فان للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من احب . ومنها كونوا بقبول العمل ، أشد اهتماما منكم بالعمل ، فانه لن يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل عمل متقبل . ومنها يا حملة القرآن اعملوا به ، فان العالم من عمل بما علم ، ووافق علمـه عمله . يقول الله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثـل



الحمار يحمل أسفارا » أى لم يصل الى قلوبهم وسيكون أقوام يحملون العلم لا يتجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم . ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه ، أولائك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله . ومنها : لا يخاف أحد منكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ، ولا يستحيى من لا يعلم ان يتعلم ، ولا يستحيى من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ، ومنها : الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه . ومنها : لا خير فى عبادة لا علم فيها . ولا خير فى علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها . ومنها : من أراد أن ينصف الناس من نفسه ، فليحب لهم ما يحب لنفسه ، ومنها : سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطاس وشدة التثاؤب ، والقىء ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر . ومنها : الحزم سوء الظن أو ان من الحزم سوء الظن . ومنها : التوفيق خير فائدة ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والادب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب . وقال : لما سئل عن القدر ؟ القدر طريق مظلم لا تسلكه ، وبحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه أيهـا السائل ، ان الله خلقك كما شاء أو كما شئت قال : فيستعملك كما شاء . ومنها ان للنكبات نهايات ، لا بد لاحد اذا نكب أن ينتهى اليها . فينبغى للعاقل اذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضى مدتها ، فان فى رفعها قبل انقضاء مدتهـا زيادة فى مكروههـا .

وسئل عن السخاء فقال : ما كان منه ابتداء ، فاما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم . واثنى عليه عدو له فأطراه ، فقال : انى لست كما تقول ، وانا فوق ما فى نفسك . وقال جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضق فى المعيشـة ، والنقص فى اللـذة . وقـال : لا ينال أحد شهوة حـلال الا جاء ما ينغصه اياها . وقال : له عدوه ثبتك الله ، قال على صدرك . ولما ضربه ابن ملجم قا للحسن : وقد دخل عليه باكيا ، يا بنى احفظ عنى أربعا وأربعا ، قال : وما هى يا ابت ؟ ان أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحش العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق . قـال : فالاربع الاخر ؟ قال : اياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك . واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عنك القريب . واياك

ومصادقة البخيل فانه يخذلك فى أحوج ما تكون اليه · واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . وسأله يهودى ؟ متى كان ربنا ؟ فتغير وجهه وقال : لم يكن مكان ولا كينونة ، كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية ، فأسلم اليهودى ·

وضل عنه درعه بصفين ، فوجدها عند يهودى ، فحاكمه فيها الى قاضيه شريح وجلس بجنبه ، وقال : لولا ان خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تسووا بينهم فى المجالس وفى رواية اصغر وهم من حيث اصغرهم الله · ثم ادعى بها فأنكر اليهودى فطلب شريح بينة من على ، فأتى بقنبر والحسن : فقال له شريح شهادة الابن لابيه لا تجوز ، فقال اليهودى : أمير المومنين قدمنى الى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه فأسلم اليهودى · فقال : اشهد ان لا الاه الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله وان الدرع درعك ·

واخرج الواقدى عن ابن عباس قال : كان مع على اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ، وتصدق بدرهم نهارا ، وتصدق بدرهم سرا ، وتصدق بدرهم علانية ، فنزل فيه قوله تعالى : الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »·

وقال معاوية : لضرار بن حمزة صف لى عليا ؟ فقال : اعفنى ، فقال معاوية : اقسمت عليك بالله ، فقال فى وصفه : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويانس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كاحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وياتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه ايانا ، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له · يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله · واشهد لقد رايته فى بعض مواقفه ، وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم اى اللذيع ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا غرى غيرى ، الى أو الى تشوفت ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا ، لا رجعة فيها فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق* ، فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك · فارقه اخوه عقيل وذهب الى معاوية ، وكان سبب مفارقته له انه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفى عياله ، فاشتهى عليه أولاده مريسا



فصار يوفر كل يوم شيئا قليلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا اليه ، فلما جاء وقدم له ذلك ، سأل عنه ، فقصوا عليه ذلك فقال : او كان يكفيكم ذاك بعد الذى عزلتم منه ؟ قالوا نعم ، فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم ، وقال : لا يحل لى أزيد من ذلك ، فغضب عقيل فحمى له وقربها من خده وهو غافل فتأوه اى عقيل ، فقال له اتجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنم ؟ · فقال لاذهبن الى من يعطينى تبرا ويطعمنى تمرا . فلحق بمعاوية ، وقال يوما لولا علمه بانى خير له من اخيه ما اقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : اخى خير لى فى دينى ، وانت خير لى فى دنياى واسأل الله خاتمة خير · وقيل غير ذلك ، واخرج ابن عساكر ان عقيلا سأل عليا فقال انى محتاج ، وانى فقير فاعطنى ؟ فقال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألح عليه ، فقال لرجل خذ بيده وانطلق به الى السوق وقل له كسر اقفال الحوانيت وخذ ما بداخلها ، فقال تريد ان تتخذنى سارقا فقال على فكذلك تريد أن تتخذنى سارقا بأن آخذ اموال المسلمين فأعطيكها دونهم · قال له لآتين معاوية ، قال له انت وذاك ، فأتى معاوية ، فسأله فأعطاه مائة الف ، ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به على وما اوليتك ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس انى اخبركم انى اردت عليا على دينه فأختار دينه، وانى اردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه ·

وقال معاوية لخالد بن معمر ، لم احببت عليا ؟ قال : على ثلاث خصال ، على حلمه اذا غضب ، وعلى صدقه اذا قال ، وعلى عدله اذا حكم·

ولما وصل اليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب اليه · ثم املى عليه هذه الابيات :

| | |
|---|---|
| محمد النبى اخى وصهرى | وحمزة سيد الشهداء عمى |
| وجعفر الذى يمسى ويضحى | يطير مع الملائكة ابن امى |
| وبنت محمد سكنى وعرسى | منوط لحمها بدمى ولحمى |
| وسبطا احمد ابناى منها | فأيكم له سهم كسهمى |
| سبقتكم الى الاسلام طرا | غلاما ما بلغت اوان حلمى |

قال البيهقى ان هذا الشعر مما يجب على كل احد حفظه ، ليعلم منه مفاخر على فى الاسلام · وقد تتبع الباحثون فضل على فخصصوه بأسفار فى البحث على الانفراد . وقد رايت مناما ان أزيد هذا البيت هنا وهو من قول معاوية رضى الله عنه :

نجوت وقد بل المرادى سيفه   من ابن ابى شيخ الاباطيح طالب

وللامام الشافعى فيه رضى الله عنه :

اذا نحن فضلنا عليا فاننا   روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر اذا ما ذكرته   رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما   بحبهما حتى أوسد فى الرمل

وله أيضا :

قالوا ترفضت قلت كلا   ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك   خير امام وخير هادى
ان كان حب الولى رفضا   فاننى أرفض كل العباد

وله أيضا :

يا راكبا قف بالمحصب منى   واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى   فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان اننى رافضى

قال البيهقى : وانما قال الشافعى ذلك حين نسبه الخوارج الى الرفض حسدا وبغيا · وذكر المفسرون ان الذى يدخل الجنة من الحيوانات كلب اهل الكهف ، واسمه ريان ، أو قطمير ، وسبب ذلك مصاحبته لاولياء الله وقد طردوه أولا ، وثانيا ، لما كانوا فى طريقهم الى الكهف فتكلم معهم وقال لهم انى أحب أحباب الله فناموا وأنا أحرسكم · ومن هذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم وعلى أساس ان المجازى على الحب الصادق هو الله تعالى وحده لا غيره ·

وقيل للمازنى انك رجل توالى اهل البيت فلو قلت فى هذا أبياتا فقال :

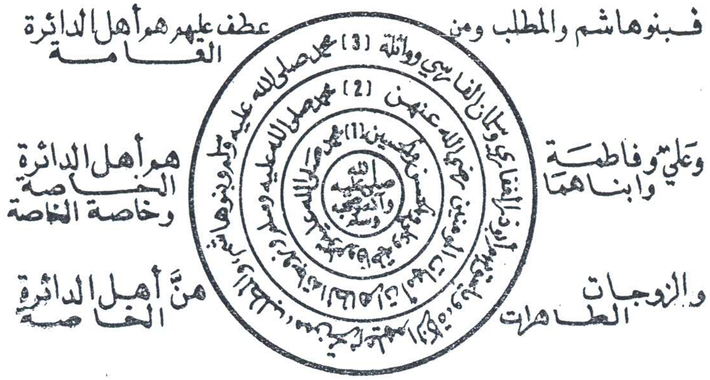
وما زال كتما منك حتى كأننى   برد جواب السائلين لاعجم
واكتم ودى مع صفاء مودتى   لتسلم من قول الوشاة وأسلم

## أهل بيته صلى عليه وسلم ثلاث دوائر

ينقسم آل بيته صلى الله عليه وسلم الى ثلاث حلقات بحسب ما تختص به كل حلقة من الحلقات الثلاث ، وهم بنو هاشم والمطلب ومن الحق بهم نصا ، ثانيا ذرية الحسنين من على ، وفاطمة الزهراء رضى الله



عنهما وهم أهل المباهلة والرداء ، والحلقة الثالثة الزوجات الطاهرات أمهات المومنين رضى الله عنهن ·




فبنو هاشم والمطلب الذين تحرم عليهم الزكاة هم آله صلى الله عليه وسلم والدائرة العامة ومن ألحق بهم فهو فى درجتهم كأبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى وواثلة بن الاسقع ممن الحق بهم نصا فهو منهم · وقد نظم بعضهم أبناء عبد مناف فقال :

فهاشم مطلب ونوفل   وعبد شمس رابع قد نقلوا
جميعهم أبناء عبد لمناف   سليل فهر عندهم بلا خلاف

وفى بنى المطلب خلاف هل هم من الآل ؟ وهو قول الامام الشافعى وقول مروى فى مذهب الامام مالك ، أو ليسوا بآل وهو المشهور من مذهب مالك رحمه الله وأما بنو هاشم وهم ذرية حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وذرية جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم · وذرية عقيل بفتح العين بن أبى طالب ابن عبد المطلب بن هاشم . وذرية العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فذريات جميعهم هم آل النبى صلى الله عليه وسلم وقرابته بالاجماع · وقد جمعهم بعضهم فى بيت واحد ، وهم :

على وعباس عقيل وجعفر   وحمزة هم آل النبى بلا نكرى

انظر تمام الكلام على أهل البيت فى ترجمة المراد بآل البيت فى الاحاديث الواردة فيهم والترجمة التى بعدها وهى أدب المواساة والوصلة مع الشريف ، وما الحق بذلك ·

ويلحق بخاصة الخاصة ذرية فاطمة الى يوم القيامة من الحسنين

ويظهر ذلك من مزيد اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم لانهم اهل الرداء ثم ننتقل الى الكلام على حقوتنا المادية والادبية وموقف الولاة منها ، عبر عصور تاريـخ الاســلام ٠

## الحقــوق الماديــة لاهــل البيــت

قد قسم الله لنا منها فى كتابه ما كان فيه كفاية لسد حاجة المعوزين منا عن التعرض بأكفهم لعوام المسلمين ، حتى لا ينشف مـاء وجوههم وتداس كرامة النبى صلى الله عليه وسلم بسببهم ، وتسلق السنـة النذلاء منهم اعراض الواقعين فيما فى ايديهم والمتعففين عن ذلك على السواء كقول احدهم عند التعرض لاخذ ما فى يده : — الشرفاء الكلاب — فهـذه الكلمة شاملة للواقع فيما فى ايديهم والمتعفف على السواء بل هى ماسة لجنابه صلى الله عليه وسلم لانهم آله وقرابته بالاجماع . قال الله تعالى : فى سورة الانفال : واعلموا انما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله ومـا انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير »

عن ابن عباس رضى الله عنهما : انه كان على ستة : لله ،وللرسول ، سهمان ، وسهم لاقاربه ٠ وقال الجلال : ان لله خمسه يامر فيه بما شاء ، وللرسول ولذى القربى اى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب ، واليتامى اطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهـم فقراء ، والمساكين اى ذوى الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل اى المنقطع فى سفره من المسلمين ٠ ومعنى الآية ، انه يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة ، على ما كان يقسمه من ان لكل خمس الخمس ، والاخماس الاربعة الباقية للغانمين ٠ ان كنتم آمنتم بالله ، قال النسفى : فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة ، فالايمان يوجب الرضى بالحكم والعمل بالعلم ، وما انزلنا على عبدنا ، اى وبالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات ، يوم الفرقان ، اى هو يوم بدر الكبـرى الفارق بين الحق والباطل ، بمعنى ان الايمان انتصر بهذا اليوم انتصارا لا انهزام بعده ، وهو يومئذ فتح عظيم للاسلام ، يوم التقى الجمعان ، الفريقان من المسلمين والكافرين ، والله على كل قدير ، اى يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر ٠



## ماهــى الغنيمــة ؟

الغنيمة كل ما اصاب المسلمون من عساكر العدو وما اجلبوا به من المتاع ، والسلاح والكراع ، وجعل منها ابو يوسف صاحب ابى حنيفة ما اصيب من المعادن من قليل او كثير ، والركاز ، وهو الذهب والفضة الذى خلقه الله فى الارض يوم خلقت ، والكنوز العادية التى تصاب فى غيــر ملك احد ، وما اخرج من البحر من الحلى والعنبر ، كل ذلك حكمه واحد ، وهو ان للامام خمسه ٠ اما اربعة اخماسه الباقية فتكون حقا للغانمين فيما اصيب ، وتكون حقا للواجد فيما عداها ، ويقسم الامــام اربعــة اخماس على القائمين سواء فى ذلك اهل الديوان اى الجنود المسجلون والمتطوعون يضرب للفارس منهم ثلاثة اسهم ، سهم له ، وسهمان لفرسه ، وللراجل سهم وخالف فى ذلك شيخه أبا حنيفة رحمــه الله حيث قــرر للفارس سهمين ، وللراجل سهما ، وقال لهارون الرشيد خذ بأى القولين رايت ، واعمل بما ترى انه افضل واخير للمسلمين ، فان ذلك موسع عليك ان شاء الله ، ولست أرى أن تقسم للرجل أكثر من فرسين ٠ فان قلت ان هذه المصادر ذهبت مع الزمن بذهاب اهلها حيث كانت الحرب تعتمد على السيف والراكب والراجل ، وهذا عصر المذرعات والدبابات والآليــات والاكطرونيات والطائرات والغواصات والصـوارخ والــرؤوس النووية والذرة ، والاساطيل البحرية ، وما الى ذلك مما لا يدخل تحت حساب من لا يمارس ذلك ٠ قلت ان الشريعة الاسلامية كانت تقرر الاصول وتبنى احكامها ، وقد ظهرت اليوم كنوز الارض ظاهرا وباطنا ما فيه غنى الجميع لولا الاستبداد السياسى والاقطاع الراسمالى ، وهذان العنصران قد اكلا ما على ظاهر الارض وما فى باطنها ولا زالا جائعين فى انتظار المزيد ٠

## مصــرف الخمــس

قد بين الله مصرف الخمس فى الآية المتقدمة من سورة الانفــال ، قال ابو يوسف كان ذلك الخمس يقسم فى عهد رسول الله صلى اللــه عليه وسلم لله وللرسول سهم ، ولذى القربى سهم ، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة اسهم ٠ ثم قسمه الخلفاء ابو بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم ثلاثة اسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوى القربــى ، وادخل عمر بن الخطاب فى عطائه الحسن مع اهل بدر ، لمكانته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وادخل يتامى ومساكين وذوى القربى فى غيرهم ، ولم يقل احد انهم حرموهم ، ولكن الاغنياء من ذوى القربى لم يكونوا فى حاجة الى سهمهم ، ولذلك راى الامام على رضى الله عنه راى من تقدمه وفضله ، وهو من ذوى القربى ، لو لم يعتبره صوابا لم يكن ليتنازل عن حق قرره له القرآن الكريم ، وهو امام المسلمين ، والى جانب ذلك فلا تغب عنك قصة تصرفه فى المال مع اخيه عقيل الذى تركه وذهب الى معاوية.

## أول مــن فرض العطاء فى الاسلام

فكان اول من نظم العطاء وفرضه فى الاسلام ، الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قبله على حسب ما تسمح به الاحوال ، وقد كان التنظيم المذكور نتيجة لاتساع الفتوحات وازدهار الاقتصاد بكثـرة العمران والجبايات من مختلف الآفاق ، وخصوصا بعد ما دخل فى الاسلام اقليما الشام والعراق ، وكانا من اخصب بلاد الله فى الدنيا ، فعند ذلك راى امير المومنين انه لا مندوحة من التنظيم ففرض انعطاء ورتبه لمستحقيه فاتخذ لذلك الدواوين لحصر اسماء الغزاة اى الجنود المنظمين الحربيين وسائر اهــل العطــاء .

فبدأ بزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض عشرة آلاف درهم لكل واحدة منهن سنويا ، ولاهل بدر خمسة آلاف لكل واحــد منهم سنويا كذلك ، وادخل سهم ذوى القربى فى اهل بدر اقتداء بما فعله صاحبه الخليفة الاول رضى الله عنهما الذى رد قسمة خمس الخمس الى ثلاثة ، فكان يعطى الحسن والحسين ابنى على وهو اى على من اهل بدر — ولفاطمة الزهراء خمسمائة درهم ولابنيها الحسن والحسين خمسة آلاف درهم لكل واحد منهما كذلك ولابيهما باعتباره من اهل بدر خمســة آلاف درهم سنويا كذلك . والحق بذوى القربى ابا ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، واعطى لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة آلاف لكل واحد منهم ، ولنسائهم اربعمائة درهم كذلك ، ولمن بعد الحديبية الى أن انتهى أبو بكر من حروب الردة ، ثلاثة آلاف درهم لكل واحد منهم ، ولنسائهم ثلاثمائة درهم لكل واحدة منهن كذلك ، ولمن شهد القادسية واليرموك الفين لكـل واحد منهم ، ولنسائهم مائتين لكل واحدة منهن كذلك ، ولاهل البلاء النازع منهم الفين وخمسمائة لكل واحد منهم ، ولنسائهم مائتين لكل واحدة ، وللروادف المثنى خمسمائة لكل واحد، ولم يذكر لنسائهم شيئا ، ثم الروادف



الثليث بعدهم ثلاثمائة لكل واحد ولم يذكر نساءهم ، ثم الروادف الربيع ، مائتين وخمسين لكل واحد منهم ولم يذكر نساءهم ، كما فرض لاهل الهجر والعباد مائتين لكل واحد وسكت عن نسائهم ، وفرض للصبيان مائة درهم لكل واحد سنويا كذلك وفرض للمساكين جريبتين فى الشهر . وهكذا رتب عمر رضى الله عنه طبقات المستحقين فأعطى لكل ذى حق حقه ، دون أن يبخس طبقة فى حقها ، وسوى بين افراد كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم دون ميز بين العرب والعجم ، على مبدأ : المسلمون كأسنان المشط تتكافأ دماؤهم ويسعى بهم ادناهم على اعلاهم ، وهم يد على من سواهم اى قوة الحديث ثم قال عمر رضى الله عنه : انى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم هذا فما تامرون انه يحل لــى من هذا المال ؟ فقال على رضى الله عنه لك ما أصلحك وعيالك بالمعروف ، ليس لك غيره ، ووافق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فأخذ بعد ذلك من بيت مال المسلمين ما يسد خلته بلا كفاية ، فاشتد الحال عليه بعد ذلك ، فاجتمع نفر من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وطلحة والزبير ، وقالوا لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها اياه فى رزقه ، فقال عثمان هلم فلنعلم ما عنده من وراء راء ، فأتوا أم المومنين حفصة ابنته ، فكلمته فى ذلك فغضب ، وقال من هؤلاء ؟ لاسوءنهم ، قالت لا سبيل الى علمهم ، قال : أنت بينى وبينهم ، ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس ؟ قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع ، قال : فأى الطعام ناله عندك ارفع ؟ قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه ، وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها ، قال : فأى مبسط يبسط عندك كان أوطأ ؟ قالت كساء ثخين كنا نرفعه فى الصيف ، فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه . قال : يا حفصة ، ابلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها ، وتبلغ بالترجية ، وانما مثلى ومثل صاحبى، كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول لسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر فسلك سبيله فأفضى اليه . ثم اتبعه الثالث يعنى نفسه ، فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقا غير طريقهما لـم يلحقهما . انظر اخى العزيز وتأمل كيف ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع اقبال الدنيا على المسلمين وتغير الاحوال الاقتصادية عما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يجد لنفسه مبررا أن يزيد عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل اتبع هديه وسار

بسيرته حتى يلقاه آمنا على نفسه ودينه ·

## رأى عمــر فى بيت مــال المسلمين

كان رضى الله عنه يقول : انا كوصى مال اليتيم ، ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف · يريد قول الله تعالى : فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف » اى الامر المتوسط ولم يطلع احدا على ما كان ياخذ لنفسه من بيت المال ، الى ان خرج مــرة حاجا فلما رجع قال لابنه : انظر كم صرفنا ؟ فنظر ابنه فاذا هو ستة عشر دينارا فأخبره ابنه بقدر المبلغ كأنه رآه غير كاف ، فأجابه عمر قائلا : لقد اسرفنا يابنى !! فان اردنا أن نقول شيئا عن هؤلاء ، فانما نقول ان امثال هؤلاء هم الذين حققوا للانسانية صورتها الكاملة بسيرتهم على نهج نبيهم، وما بدلوا تبديلا ·

واما الانسانية الباقية من بعدهم الى يومنا هذا فقد تجردت مــن الصفات التى رفعت من شأنها فى ابسط وجوهها ، فاستحالت صفاتهم الى اخس صفات حيوان مفترس لا يهمه الا بطنه وشهوته ، ولم تبق له الا صورة الانسان القديم فهو بهذا قد حكم على نفسه بالتجرد من كــل قيمة اخلاقية او فضيلة ترفعه الى مكانته المرموقة · فجاءت الدنيا تتمثل بين ايديهم كجيفة قذرة ، وهم يتنازعون عليها تنازع الكلاب · فألسنة حالهم ناطقة ومعبرة عنهم بالصواب تقول : « نحن كلاب » اى على الحقيقة فى صــورة انسان ·

فنظر الامام الشافعى بهذا المعنى الى صورة هذا الانسان فأعرب عنــه قائــلا :

ومن يذق الدنيا فانــى طعمتهــا  وسيــق الينــا عذبهــا وشرابها
فمــا هــى الا جيفة مستحيلــة  عليهــا كــلاب همهن اجتذابهــا
فان تجنبتها كنت سلما لاهلهــا  وان تجتــذبهــا نازعتك كلابهــا

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : عرض علينا عمر بن الخطاب ان نزوج من الخمس ايمنا ، ونقضى عن غارمنا فأبينا الا ان يسلمه لنا فأبى علينا ·

وذكر ابو يوسف : ان الصحابة اتفقوا ان يجعلوا هذين السهمين : سهم الرسول وسهم ذوى القربى فى الكراع والسلاح · وروى عن عمر بن



عبد العزيز الاموى انه بعث بسهم الرسول ، وسهم ذوى القربى الى بنى هاشم · قال : وكان ابو حنيفة واكثر فقهائنا يرون أن يقسمه الخليفة على ما قسمه الخليفة الاول ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، رضى الله عنهم·

واقول راى الامام محمد بن ادريس بن عبيد الله المطلبى الشافعى رحمه الله ان سهم الرسول يصرف فى مصالح المسلمين ، وسهم ذوى القربى يصرف لمن ينتسب الى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف ، دون بنى اخويهم عبد شمس ونوفل ، ويسوى فى العطاء بين الاغنياء والفقراء ، لان سبب الاستحقاق القرابة ، ويشترك فيه الرجال والنساء بالتسوية بين الذكور والاناث كما قال المازنى وأبو ثور من أصحــاب الشافعــى وللذكر مثل حظ الانثيين كما قال غيرهما ، وبقول الشافعى قال الامام أحمد رحمه الله الا انه قال : ان ردوه صرف فى السلاح والكراع لفعل ابى بكر وعمــر وعثمــان ·

ومذهب الامام مالك فى ذلك ما نص عليه الشيخ خليل بقوله :

وخمس غيرها ان وجف عليه · قال علماء المذهب فى شرحه : قد علمت حكم الارض العنوة ، ومذهب مالك وابى حنيفة ان مكة فتحت عنوة ·

ومذهب الشافعى انها فتحت صلحا : واما غير الارض العنوة مــن المال والكراع ، اى الخيل ، والبغال ، والابل ، فانه يخمس اى يقسمه الامام خمسة أخماس ، الخمس لله ولرسوله ، لقوله تعالى : فأن للــه خمسه وللرسول » والاربعة اخماس يقسمها الامام بين المجاهدين كمــا ياتى عند قوله : وقسم الاربعة لحر مسلم ، وقال الشيخ خليل ايضا : فخراجها والخمس والجزية لآله عليه الصلاة والسلام ثم للمصالح ، قال علماء المذهب : والخمس الذى لله ولرسوله اى الخمس الخارج بالقرعة من غنيمة ، أو ركاز كما مر عند قوله ، وفى ندرته الخمس كالركاز والفىء والجزية العنوية ، والصلحية ، وعشور أهل الذمة ، وخراج أرض الصلح محله بيت مال المسلمين يصرفه الامام فى مصارفه باجتهاده ، فيبدأ مــن ذلك بآل النبى صلى الله عليه وسلم على جهة الاستحباب ، ان كان فى المال سعة ، والا بدىء بالاحوج فالاحوج ، ثم الباقى للمصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، كالجهاد ، وعمارة الثغور ، وبناء المساجد ، والجسور وبناء المدارس ، وارزاق القضاة ، وقضاء الديون ، وعقل الجراح وترويج الاعــزب ، ونحو ذلك ·

## ظلمونا حقوقنا المادية والادبية

فنحن معشر ذوى القربى الواجب علينا أن نحمد الله ونشكره على عنايته بنا اذ قرر لنا بفضل قرابتنا للنبى صلى الله عليه وسلم حقا فى بيت مال المسلمين متلوا فى القرآن عبر الاجيال لا ينكره علينا الا كافر بالله ورسوله ، لانه مقرر من طرف الشريعة الاسلامية لا ينزعه الا ظالم غاصب أو كافر جاحد ، فقد جعل الله فيه لنا كفاية لسد حاجيات المعوزين المتعففين منا والواقعين فى المسألة على السواء ، ونحن اذ حرمنا هذا الحق من قبل المسؤولين عنه منذ زمن بعيد لم نتخل عن طلبه ما دام فى الدنيا مسلمان ثالثهما أمير الى قيام الساعة ، ثم من وراء ذلك يكون حسابنا معهم بين يدى رب العالمين ، لان الآية محكمة ليس فيها نسخ ولا تاويل يلوذ به كل من ظلمنا حقنا من بيت مال المسلمين ولهذا فاننا نفوض أمرنا الى الله ونرد شكوانا اليه لانه هو الذى يتولى الدفاع عن حقوقنا المشروعة بأمره ، والمجازاة عليها : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .

ونحن على يقين تام ان سيدنا المنصور بالله غير غافل عن أولاد مولاى عبد السلام ، وانه فى كل مناسبة يبعث اليهم من ماله الخاص صلة مالية لو بلغت الى معوزيهم ممن يستحقون كان ذلك ادعى لفرحهم ونشاطهم ، كما أرجو أن يكون ذلك عاما ، وعن طريق تشريع مضمون .

## الحقوق الادبية

قد ثبت لنا ولله الحمد من الحقوق الادبية نظير ما ثبت من الحقوق المادية ، وضمن منها التشريع الاسلامى ما تنطوى عليه نصوص الكتاب والسنة والاجماع ، فمن الكتاب قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » .

قد نصت هذه الآية صراحة على التودد للقربى ، وعلى كل حال فمودة القربى ثابتة بالكتاب على كل احتمال فى الآية ، وسواء كان الاستثناء متصلا أو منقطعا فانه لا يخرج دلالة الآية عن مودة قرابته صلى الله عليه وسلم . فالاحتمال الاول عند المفسرين فى الآية اى الا أن تودوا قرابتى الذين



هم قرابتكم ولا توذوهم .

والاحتمال الثانى فى المعنى ، اى ان تودونى لقرابتى فيكم ، ولا توذونى ولا تهيجوا على ، اذ لم يكن هناك من بطون قريش الا وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة . وعلى ان الاستثناء منقطع فهو الاحتمال الثالث اى الا أن تحبوا الله ورسوله وقد فسر بوجه رابع اى لكن أن تودوا قرابتى . وقوله الا أن تحبوا الله ورسوله أى فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح . ومن جملة طاعته على هذا الاحتمال التودد لقرابته المفهوم من دلائل أخرى صحيحة من السنة . وقال المفسرون المراد بالقربى فى الآية القرابة ، اى اهل قرابتى . ويؤكد ذلك ما روى عنه انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما . وقوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » نزلت فى أبى بكر الصديق ومودته فيهم ، ومعنى يقترف حسنة يكسب طاعة ، وعن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى لا تختص بأبى بكر ، وقال المفسرون : وحمله على العموم أظهر ، لان تنوين التنكير فيها يوذن بعموم اللفظ ، والعبرة عندهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليه فانها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقب المودة فى القربى . وقوله نزد له فيها حسنا اى نضاعفها اضعافا كثيرة ، والغفور الشكور من صفاته تعالى وهما عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها ، والتفضل عن المثاب . والآية فى صراحتها تقرر ان بغض اهل البيت واذايتهم خسران وحبهم عبادة شرعية ، واجبة على كل مسلم ومسلمة يومنان بالله واليوم الآخر ، وقال الله تعالى : فى تزكية بيته صلى الله عليه وسلم ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ابتدأ سياق الآية بنسائه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما » ثم عرفهن برفعة قدرهن فى بيت النبوة والرسالة فقال : يا نساء النبىء لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » لا يقال ان هذا مكرر مع ما قبله ، لانا نقول ذكر أولا لانفرادهن عن غيرهن ، وأعيد الكلام عليهن هنا مع غيرهن من أهل البيت

ونساء المومنين ، وعليه فلا تكرار · ولم يتغير أسلوب الكتاب عن جمع الاناث من قوله تعالى : يا أيها النبىء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وكان فى هذه الآية أكبر دلالة على تزكية أهل البيت الطاهرين فمن صان منهم الآن جناب البيت النبوى عن الابتذال فهو ولا شك مشمول للآية ومن لم يصنه فهو غير مشمول لها ، وكان النص الاول خاصا بزوجاته صلى الله عليه وسلم وفى النص الثانى تعمم الحكم ودخل فيه جميع أهل البيت نساء ورجالا الذين هم قرابته المنصوص عليهم وحدهم فى الاحاديث الواردة فى الرداء التى سياتى الكلام عليها فى محلها ، وكل ما ورد فى الخطاب الموجه الى نساء النبى صلى الله عليه وسلم فهـــو شامل لجميع نساء أهل البيت من ذرية الحسنين من فاطمة الزهراء رضى الله عنها الى آخر امراة تومن بالله واليوم الآخر من ذريتهما كما هو شامل لجميع نساء المومنين الى آخر من ماتت على قول لا الاه الا الله محمد رسول الله لما تقدم من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لان نساء المومنين قلن بعد ما سمعن الخطاب الاول الموجه الى الزوجات الطاهرات رضى الله عنهن ، ما نزل فينا شىء ، فأنزل الله : ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكريـــن الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » وبهذه الآية فلم يبق مومن ولا مومنة الا دخل فى الخطاب وكان مشمولا بهذه العشر من الصفات الحميدة التى وعدهم الله عليها المغفرة والاجر العظيم الذى هو الجنـــة ونعيمها التى هى ضالة كل مومن بالله واليوم الآخر ، لا احرمنا الله منها ·

## نصـــوص السنـــة الصحيحـــة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وولداهما · وعنه أيضا فى قوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : قال : المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم ·

وعن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :



والله لا يدخل قلب امرىء مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى ·

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما · ؟

وفى صحيح الترمذى خرج مسلم وغيره عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ووعظ وذكر : ثم قال : أما بعد : ألا أيها الناس : انما انا بشر يوشك ان ياتينى رسول ربى وأنا تارك فيكم ثقلين : كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتى ·

وفى رواية صحيحة كأنى قد دعيت فأجبت ، انى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكد من الآخر كتاب الله عز وجل ، وعترتى بالمثناة فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض · وفى رواية سألت ربى ذلك لهما ، فلا تتقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم · ويعنى بقوله أعلم منكم اى أوفق منكم الـــى العمل بالعلم ، أو ان أصل العلم لهم ، فانهم أثبت منكم على ذلك ، وأمـــا معرفة العلم وضبطه واتقانه فلم تنتف عن غيرهم ، بل هى موجودة فى غيرهم بلا نزاع ، بل قد يكون فى بعض الاحوال وجوده فى بعضهم كوجود الماء فى أخدود حجر ينتفع منه سائر الحيوان ولا ينتفع منه الحجر الحامل له ، وحيث انتفت عنه صفة الانتفاع بالعلم من حيث العمل بمقتضاه انقلب العلم فى حقه جهلا ، فيصدق عليه قوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقوله ثم لم يحملوها أى لـــم يعملوا بمقتضاها ، فهم فى تحملها على ذلك الوجه كمثل الحمار يحمل أسفارا ، فوجه الشبه بينهما هو حمل الثقل وعدم المنفعة فى كل ، مع العلم ان اسفار الكتب ينتفع منها الانسان ولا ينتفع منها الحمار الحامل لها ، وتلك صفة ذميمة لحامله بهذه الصفة ، فلا يكون أفضل ممن يعمل بالعلـــم مـــن غير أن يحمله ، لان خطاب الله تعالى تعلق بفعل المكلف تعلق عين تنجيزيا ، وتعلق بالعلم تعلق كفاية ، فلا يلزم وجوده فى كل فرد على سبيل الفرض · ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشريـــن صحابيا · وفى رواية ، آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم ، اخلفونى فى أهلى . وفى رواية أخرى انظروا كيف تخلفونى فيهما ، وأوصيكم بعترتى خيرا وأذكركم الله فى أهل بيتى · وأما وجه تسميتهما ثقلين ، فاعظامـــا لقدرهما ، اذ يقال لكل جليل خطير ثقل ، ومنه قوله تعالى : انا سنلقـــى

عليك قولا ثقيلا » وقرنهما بقوله : انى تركت فيكم الثقلين : أحدهما آكد من الآخر . ومنه تسمية الجن والانس ثقلين ، لانهما قطـان الارض ، ولتميزهما على سائر الحيوانات ، ولان الوفاء بالعمل بهما ثقيل على النفوس البشرية اى بأن النفس تشعر بأنها مطوقة بأمر ثقيل يصعب عليها الوفاء به ، وهذه النفس هى الامارة ، أما النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على فعل المعاصى بعد وقوعها فهى فرع عن الامارة التى تامر بها والنفس السعيدة هى المطمئنة ، ولشرفها خاطبها الله بقوله : يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » فانها لا تثقل عليها أوامر ربهـا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى يحبكم الله ، وأحبوا أهل بيتى بحبـى .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : سألته أن يثبت قائلكم ، وأن يعلم جاهلكم ، وأن يهدى ضالكم . وعن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يبغضنا أهل البيت رجل الا أدخله الله النار .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال لمعاوية بن خديـج : يا معاوية ، اياك وبغضنا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط مـن نـار .

وعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يعرف حق عترتى والانصار ، فهو لاحدى ثلاث : اما منافق ، وامـا لزنية واما لغير طهور يعنى حملته أمه لغير طهر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ اخلفونى فى أهـل بيتى . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة عليها السلام : ايتينى بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم رسول الله صلى الله



عليه وسلم كساء كان تحتى اصبناه من حنين فقال : اللهم آل محمـد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابـراهيم انك حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لان ادخل معهم فجذبنـى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدى وقال انك على خير .

وخرج ابن عساكر عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع الى أحد من أهل بيتى يدا كافيته يوم القيامة.

واخرج ابو نعيم فى الحلية : عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا فلم يقدر المطلبى مكافاته ، فانا اكافئه يوم القيامة .

واخرج الديلمى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وعلى قراءة القرآن . وفى رواية عنه والحديث فان حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه وأصفيائه .

وقال الامام السيوطى : فى انموذج اللبيب فى خصائص الحبيب ما نصه : أخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب .

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وانهم امان للامة من الاختلاف ، وانهم سادات أهل الجنة ، ولا يدخل قلب أحد الايمان حتى يحبهم .

وفى خبر ضعيف أربعة انا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى أمورهم عند ما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه . وذكر الفخر الرازى ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم يساوونه فى سبعة أشياء : فى السلام فى قوله السلام عليك أيها النبىء ، فى التشهد وفى قوله تعالى : سلام على آل ياسين » وفى ختم التشهد بالصلاة عليه وعليهم وفى قوله تعالى : ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفى المحبة فى قوله تعالى : فاتبعونى يحببكم الله » وفى قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وفى تحريم الصدقة والتشريك فى الخمس فى قوله تعالى : وللرسول ولذى القربى » .

وقال الامام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : فمـن حـاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنـا

ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

لا دليل أقوى من هذا على فضل اصحاب الكساء وهم : على ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، لانهما لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ، ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفهما ، فعلم انهم المراد من الآية ، وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبنـــاءه ، وينسبون اليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة .

ويؤيد ذلك احاديث نذكرها تتميما للفائدة ، صح منها انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر : ما بال اقوام يقولون : ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وانى ايها الناس فرط لكم على الحوض . وفى روايـــة صححها الحاكم انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قائلا قال لبريدة : ان محمدا لن يغنى عنك من الله شيئا ، فخطب ثم قال : ما بال اقوام يزعمون ان رحمى لا ينفع ، بل حتى جبا وحكم وهما قبيلتان من اليمن ، انى لاشفع فأشفع حتى ان من اشفع له فيشفع ، حتى ان ابليس ليتطاول طمعا فى الشفــاعـــة .

واخرج الدارقطنى ان عليا رضى الله عنه احتج يوم الشورى على اهلها فقال لهم : انشدكم بالله هل فيكم احد اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرحم منى ؟ ومن جعله النبى صلى الله عليه وسلم نفسه وأبناءه ، ونساءه نساءه غيرى أى هل تنكرون ذلك قالوا اللهم لا . الحديث . فهو يشير الى الآية المتقدمة عن الزمخشرى رحمه الله . واخرج البخارى فى الادب المفرد ، والترمذى وابن ماجة عن يعلى بن مرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وانا منه أحب الله مـــن احب حسينا ، الحسن والحسين سبطان من الاسباط .

## الحاســد الجاهل عــدو نفســه

كيف يرجى الخير من الحاسد الجاهل ، فقد اساء الى نفسه قبل ان يسىء الى غيره ، واحسن ما قيل فى الحسد انه يفتح طريق المزيد من النعم على المحسود ويغلق طريقها على الحاسد ، ووجه قبحه انه اعتراض على الله فى قسمة عطائه فى واقع الامر ، واحسن ما قيل فيه نظما :

الا قل لـمـن بـــات لـــى حاسدا      اتدرى على مـــن أسأت الادب



اسأت علـــى الله فـــى حكمـــه      بأنك لـــم ترض لـــى مـــا وهب
فجـازاك عنـــى بأن زادنـــى      وســـد عليك وجـــوه الطلـــب

قد تقبل علماء الشريعة الاسلامية كل ما جاء نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل شىء قد يلتبس ويشكل ويخفى على الامـــة ما هو وجه الحق فيه ؟ فلم يدع الكتاب والسنة المطهرة كل ما كان مـــن هذا الوجه غامضا قد يخفى على الناس ما هو وجه الحق فيه . فما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تم له كل ما كانت الامة الاسلامية فى حاجة الى توضيحه ، فهى غنية بما ورد عنه عن كل تشريع سابق أو مذهب عقائدى او فلسفى فان ذلك قد يصبح خرافة مضحكة مع مرور الايام امام التشريع الفطرى للبشر : الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجاءت السنة المطهرة بتفسير المجمل من نصوص الكتاب ، فأصبحت الامة الاسلامية فى غنى علمى ، لا ينقصها الا التطبيق والتوفيق والتوكل على الحى الذى لا يموت ، واصبح التشريع الاسلامى لا ينازع فيه بعد هذا الوضوح الشامل الا معاند او مكابر جاهل . قد كثرت علينا أقاويل اهل الزيغ والجهل والحسد ، وقد استمر ذلك منذ العصر الاسلامى الاول ، فازدادت طغيانا مع مرور الزمن والانحراف عن الايمان ، فاستفحل الداء وقل الدواء ، حتى اصبح الحديث على ذلك فى السر والاعلان مثار الخذلان من طرف كل مفتون فى دينه وايمانه . فصـــار الايقاع فى ذرية النبى صلى الله عليه وسلم شهوة لكل مخذول سهلا من غير حياء ولا ايمان . حتى اصبحت المواجهة بين سفهاء الاحلام من العامة من رجال ونساء وبين ذريته صلى الله عليه وسلم فأول ما ينكرون عليهم انتسابهم للنبى صلى الله عليه وسلم وجها لوجه ، فى جدال عنيف وشاق ، متمسكين بسفسطة الجهلاء بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخلف ذكرا حتى تكونوا انتم من ابنائه وهى كلمة حق اريد بها انتصار باطل .

ففى ثبوت نسبنا للنبى صلى الله عليه وسلم اقول لك ايها المجادل بالباطل اولا اصلح ايمانك بالله حتى يمكنك ان تصدق بكل ما جاء به محمد ابن عبد الله نبى الله ورسوله الى هذه الامة من غير عسف ولا جدال ، وثانيا انقذ نفسك من ظلمات الامية بالعلم والتعلم حتى تاخذ مكانك كانسان حى بين صفوف المسلمين ، وتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم : كـــن عالما او متعلما او سميعا ولا تكن جاهلا . وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا عالما ومتعلما . وثالثا وسع صدرك لما يلقى عليك من الأدلة القاطعة

فى موضوع جدالك ، حتى تذهب مقتنعا ان آمنت وانصفت او كافرا منافقا ان كابرت وعاندت ، وفى حالتك الاولى فان صدق ايمانك هو الذى يتولى الجواب على جدالك وعنادك ، وحينئذ كنت ممن اراح نفسه وغيره ، وارضى دينه ونبيه وخالقه ، والا كنت ممن ذبح نفسه بلا مدية ، اسمع وفقك الله واصلح ايمانك · نصت السنة المطهرة على أن ذرية النبى صلى الله عليه وسلم باقية الى قيام الساعة من فاطمة الزهراء وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما كما اخذ ذلك من كتاب الله العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فهو محصن من أن تلحقه الدعاوى الكاذبة ، والشبهات الباطلة من طرف اهل الزيغ فى كل عصر · واسمعى انت ايتها الاخت المجادلة بالباطل ان كنت معى فى دائرة الايمان بالله ، والا فجوابك بلا جدال مـا قال الله تعالى : لكم دينكم ولى دين » اى لكم كفركم ولى ايمانى ، فقـد سلكنا طريق الايمان وسلكتم طريق الكفر فليس هناك ما يجمعنا واياكم فى العقيدة على صعيد واحد غير تراب الوطن ، انظرى ما تقدم قريبا عن الكشاف فانه من صريح الكتاب فى النص عليهم بلا جدال ، وقد أثبته علماء الامة الاسلامية بعد وضوحه ، وتسليمه ، كما ان هناك كثيرا من الادلة الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعيها فيمـا تقدم ، ولم يبق بعد ذلك الا ان اقول لك :

وليس يصح فى الاذهان شىء     اذا احتاج النهار الى دليـل

واذكرك بما تقدم عن صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو ينظر الى الناس مرة ، وللحسن مرة ان ابنى هذا سيـد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين · قال البيهقى قد سماه النبى صلى الله عليه وسلم ابنه حين ولد ، وسمى اخوته بذلك ·

وعن الحسن بسند حسن كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها فى فى فأخذها بلعابها فقال : اما علمت انا لا ناكل الصدقة · ثم قال ايضا :

## انـا آل محمـد لا تحـل لنـا الصدقـة

واخرج الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب ·

واخرج ابو الخير الحاكمى وصاحب كنوز المطالب فى بنى ابى طالب ،



ان عليا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده العباس ، فسلم فرد عليه صلى الله عليه وسلم وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه واجلسه عـن يمينه فقال له العباس : أتحبه ؟ قال يا عم : والله لله أشد حبا له منى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وجعل ذريتى فى صلب هذا · زاد الثانى وفى رواية انه اذا كان يوم القيامة دعا الناس بأسماء أمهاتهم سترا عليهم ، الا هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم · ولابى يعلى والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وانا عصبتهم · وله طرق أخرى يقـوى بعضها بعضا حتى وصلته الى درجة الحسن .

## الخليفـة عمـر يتـزوج أم كلثـوم

وقد صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه خطب أم كلثوم من على فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر ، فقال له ما أردت الباءة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى ، وكل بنى انثى عصبتهم لابيهم ما خلا أولاد فاطمة فانى أنا أبوهم وعصبتهم ·

وفى رواية اخرجها البيهقى والدارقطنى بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان عليا عزل بناته لولد اخيه جعفر فلقيه عمر رضى الله عنهما ، فقال له : يا أبا الحسن انكحنى ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حبستها لولد أخى جعفر · فقال عمر : والله ما على وجه الارض من يرصد من حسن صحبتها ما ارصد ، فانكحنى يا أبا الحسن ، فقال : انكحتها فعاد عمر الى مجلسه بالروضة ، مجلس المهاجرين والانصار ، فقال هنونى قالوا بمن يالمير المومنين ؟ قال بأم كلثوم بنت على ، واخذ يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة الا صهرى وسببى ونسبى ، وانه كان لى صحبة فأحببت أن يكون لى معها سبب · وفى رواية للبيهقى : أن عمر لما قال : فأحببت أن يكون لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب قال على للحسنين : زوجا عمكما ؟ فقالا هى امرأة من النساء تختار لنفسها ، فقام على مغضبا ، فأمسك الحسن ثوبه ، وقال له : لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه ، فزوجاه ·

وفى رواية ان عمر صعد المنبر فقال : أيها الناس ، انه والله ما حملنى على الالحاح على على فى ابنته الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يـوم القيامة الا حسبى ونسبى وسببى وصهرى . ثم أمر بها على فزينت وبعث بها اليه ، فلما رآها قام اليها وأجلسها فى حجره وقبلها ودعا لها ، فلما قامت اخذ بساقها وقال قولى لابيك قد رضيت ، فلما جاءته قال لها ما قال لك ؟ فذكرت له جميع ما فعله وما قاله .

وبعد ما دخل بها ولدت معه ولده زيدا فمات رجلا . وفى رواية انه لما خطبها اليه ، قال له حتى استاذن ولد فاطمة فاستاذن واذنوا له . وفى رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا ابتاه من بعد عمر ؟ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى وهو عنه راض ، ثم ولى الخلافة فعدل ، فقال له أبوه صدقت ، ولكنـى كرهت أن اقطع أمرا دونكما ، ثم قال لها : انطلقى الى أمير المومنين فقولى له ان أبى يقرئك السلام ويقول لك انا قضينا حاجتك التى طلبت ، فأخذها عمر وضمها اليه ، واعلم من عنده انه تزوجها ، فقيل له : انها صبيـة صغيرة ، فذكر الحديث السابق ، وفى آخره أردت أن يكون بينـى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب وصهر .

واما تقبيله اياها ابتداء فانه وقع بناء على انها صارت زوجة شرعية قد تم نكاحها ، ولم يكن من أمير المومنين عمر رضى الله عنه على ما هـو عليه من الدين والفضل أن يفعل فعلا غير شرعى وحاشاه من ذلك فلا تحدث نفسك باساءة الظن بأمير المومنين عمر وهو خليفة رسول الله باختيار أهل الحل والعقد من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رشحه من هو أفضل منه لذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه . ثم ان هذا الحديث روى عن جمع من اكابر الصحابة كابن عباس ، وابـن الزبير ، والمنذر ، وابن عمر ، قال الذهبى واسناده صالح . وينبغى لكل من كان له حب فى أهل البيت النبوى الكريم أن يقتدى بأمير المومنين عمر رضى الله عنه ويقصد مثل قصده ويتزوج بناتهم حتى يوثق صلته بالنبى صلى الله عليه وسلم . وأرجو أن لا يكون التزوج ببنات الاشراف لمجرد الشهوة كما هو الشأن فى مطلق الاستمتاع ، انها فرصة ثمينة بيدك أيها الكريم المحب فلا تضيعها وأن لك فى أمير المومنين عمر رضى الله عنه اسوة حسنة اذ هو من الخلفاء الراشدين قد حاز من الفضل والدين والصحبة



وخلافة الحق ما قد يجعله فى غنى عن التزوج من أهل البيت ، ولكنه رضى الله عنه حرص كل الحرص حتى لا تفوته هذه الفرصة الثمينة فتزوجها على صغرها ، وهو على ما هو عليه من كبر سنه فيما قد علمت .

واهيب بأهل البيت ان يقتدوا بما فعله جدهم الامام على رضى الله عنه . ويزوجوهم من بناتهم ، وأذكرك أيها المحب الكريم اذا تزوجت بشريفة أن تعلم انك متزوج من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تعرف انك كمسلم مدين بالحب والاحترام لاهل البيت ، فينبغى أن تعاشرها بمزيد الصبر والحلم على ما تلقاه من سائر النساء ، وانك ستجدها ان شاء الله وحسنت النية مهيأة ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم لامها الاولى فاطمة الزهراء رضى الله عنها كما قرانه سابقا عنها ، لان تكون لك بيتا نقيا نظيفا شريفا ان لم يات الخلل من جانب رعايتك لها ، ولا بد من الحزم فى لين ، ومن اللين فى يقظة وحذر ، كما هو الشأن فى مطلق المراة .

واليك مزيدا من الادلة ، اخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لكل بنى انثى عصبـة ينتمون اليه الا ولد فاطمة ، فأنا وليهم ، وأنا عصبتهم . واخرج الطبرانى ايضا عن ابى عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى فان عصبتهم لابيهم ما خلا ولد فاطمة فانى انا عصبتهم وانا أبوهم . وأخرج الطبرانى ايضا عن فاطمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل بنى انثى ينتمون الى عصبتهم الا ولد فاطمة فانى انا وليهم وانا عصبتهم وانـا ابوهم . واخرج الامام احمد والحاكم عن المسور ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ، ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة ، غير نسبى ، وسببى ، وصهرى .

واخرج البزار وابو يعلى والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النـــار .

وعن زيد بن أرقم ان نساءه صلى الله عليه وسلم من أهل بيته . واخذ من حديثه أنهن من أهل بيته بالمعنى الاعم دون الاخص ، وهو من حرمت عليه الصدقة . ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله رضى الله عنهم ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا »

وفى رواية اللهم هؤلاء اهل بيتى . وفى اخرى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله ، وانا ؟ فقال : وانت من اهل البيت العام . وكذا قال صلى الله عليه وسلم لواثلة ، لما قال : يا رسول الله وانا ؟ فقال : انت من اهلى . وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا اهل البيت . وفى رواية اسامة منا آل البيت ظهر البطن . وروى الامام احمد عن ابى سعيد الخدرى : ان الذين نزلت فيهم الآية : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة وابناهما رضى الله عنهم . وكذا اشتمل صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم وقال : يارب هذا عمى وصنو ابى ، وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت اى قالت آمين على دعائه صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات .

وحديث مسلم اصح من هذا ، واهل بيته فيه غير اهل البيت فى حديث العباس وبنيه المذكور ، وتبين من هذا ان لهذا الحديث اطلاقين : اطلاقا بالمعنى الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل والزوجات تارة ، ويشمل اخرى من صدق ولاؤه ومحبته كسلمان . فاتخذه لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه . واطلاقا بالمعنى الاخص ، وهم من ذكروا فى خبر الامام مسلم ، وخصه بذلك تصريح الامام الحسن فى حادثته ، وذلك انه بعد ما استخلف وثب عليه رجل من بنى اسد فطعنه بخنجر وهو ساجد لم يبلغ منه مبلغا ، ولذا عاش بعده عشر سنين ، فقال : يا اهل العراق اتقوا الله فينا ، فانا امراؤكم ، وضيفانكم ، ونحن اهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالوا ولانتم هم ؟ قال نعم .

## نسب ولد البنت لابيها من خصوصياته صلى الله عليه وسلم

وفى رواية لابى الجوزى : ان الله عز وجل ، جعل ذرية كل نبى فى صلبه ، وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب .

وقال جمع من ائمتنا المحققين ان دلالة هذه الاحاديث ظاهرة فى خصوصياته صلى الله عليه وسلم بأن اولاد بناته ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ، حتى لا يكافىء بنت شريف يعنى به بنات الحسنين ابن هاشمى



غير شريف . وأولاد بنات غيره ينسبون لآبائهم لا لاباء امهاتهم ، فتلك خصوصية ومزية له صلى الله عليه وسلم على جميع امته بأمر من الله تعالى . وكان سبب ذلك ان اعداءه من قريش يعيرونه ويلقبونه بالابتر ، فرد الله عليهم تعييرهم فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر » ومعنى السورة الكريمة : قد اعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين ، وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك ، فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل « الخازن » وقيل الكوثر هو نهر فى الجنة احلى من العسل ، واشد بياضا من اللبن ، وابرد من الثلج ، والين من الزبد ، حافتاه من الزبرجد ، وأوانيه من فضة . قد شرفك الله بهذا الاعطاء ، وصانك من منن الخلق مراغما لاعدائك فى النحر لاوثانهم ، ان شانئك هو الابتر ، وهو العاص بن وائل الذى سماك الابتر ، اذ هو المنقطع عن كل خير ، لا انت ، اذ كل ما يولد من ذريتك وذرية المومنين الى يوم القيامة فهم اولادك واعقابك ، وذكرك مرفوع على المنابر ، وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر ، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ، ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت وصف ، فمثلك لا يقال له الابتر ، انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة . فقال : قال له ذلك حين مات ولده القاسم بعد ما عاش نحو ستين — يوما — ، وقد كان عيش الولد الذكر له بأمر الله وقضائه ولمزيد شكره على قضاء الله وقدره ، عوضه الله عن ذلك بنعمة الولد من ذرية بنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، كما كان تزويجها من على بن ابى طالب بأمر من الله ايضا ، ووحى انزله جبريل عليه ، كما تقدم فى الكلام على زفافها من بيت على رضى الله عنهما ، وقد كان خطبها ابو بكر وعمر قبله من النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يجيبهما الى ذلك ، حتى نزل جبريل بالوحى بأنها زوجة على بن ابى طالب، فزوجها منه بأمر من الله تعالى ، وكان مباشرة الفعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أولادها الاربعة ابناءه صلى الله عليه وسلم بأمر من الله ، ونصا منه صلى الله عليه وسلم على ذلك اذ ما من شىء كان به اهتمام الامة الاسلامية فى تشريعاتها الا جاءها نصا منه صلى الله عليه وسلم ، رفعا لكل احتمال أو التباس قد يؤدى بها الى الوقوع فى خطا شنيع. وهو أمر قد سلمه الصحابة رضوان الله عليهم ثم من بعدهم من علماء الامة الاسلامية جيلا بعد جيل الى يومنا هذا ، ولم يتركوا للمجال فيه نزاعا ، فلم يبق بعد ذلك الا ظلام الجهل ، ونار الحسد تمزق أحشاء المعاندين

من الجاهلين والحاسدين المتكبرين ، أو الدساسين من المنافقين والكافرين ، ولذلك ترى القوم صرعى ظلموا انفسهم فاستوجبوا اللعنة من الله والخزى حتى ينالوا جزاء غضبه وعقابه ، وما هى الا ايام قلائل فى ايديهم ثم يكون حتفهم للقاء مصيرهم فسرعان ما يلقون سوء عواقب ذلك المرض الوبيل الذى تقضى على صاحبه قبل ان تصل اساءته الى غيره ، كما ذكر الله حكاية عن ابنى ءادم عليه السلام قال الله تعالى : اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين » ثم قال المحسود المظلوم للحاسد الظالم : انى اريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » ثم اصبح بعد ارتكاب جريمة القتل من النادمين على قتله ، وتلك هى عادة الحاسدين ثم يكون حسابهم على الله : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا » .

ومما يؤكد ما سبق من انتماء ابناء فاطمة لابيها عليه الصلاة والسلام زيادة على ما تقدم من نصوص الكتاب والسنة قوله تعالى : ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكرياء ويحيى وعيسى والياس » ( الانعام ) وقد جاء فى آية اخرى : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من المترين » ( آل عمران ) وقد سوى القرآن بينهما فى الخلق بأن كلا منهما مخلوق من قوله تعالى : كن فيكون » فيكون ما عدا ذلك انما هو سبب ووسيلة للخلق ، والعبرة بالغاية لا بالوسيلة .

ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى ان النسب يثبت لولد البنت اخذا من الآية الكريمة ، وذهب الامام مالك رحمه الله الى خلافه وقال : ان الولد يتبع اباه فى الدين والنسب ، ويتبع امه فى الرقية والحرية : فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

وناتى فى الموضوع بقصة مولانا الكاظم مع هارون الرشيد الخليفة العباسى لما سأله كيف قلتم : انا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتم ابناء على ؟ فتلى هذه الآية ، وهى قوله تعالى : ومن ذريته الاية ، ولما بلغ الى عيسى قال له : عطف على ابناء ابراهيم بواسطة امه ، وليس له اب ، ثم تلا قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم



نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم بعد مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين ، فكانا هما الابناء . وقد تقدم الكلام على الآية والاعتماد عليها فى هذا الموضوع حيث لا دليل عليه اقوى منها عند صاحب الكشاف .

واخرج الديلمى فى تفسير قوله تعالى : وقفوهم انهم مسؤولون » عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : وقفوهم انهم مسؤولون عن ولاية على . وكان هذا هو مراد المفسر الواحد بقوله : روى فى قوله تعالى : وقفوهم انهم مسؤولون » أى عن ولاية على واهل البيت ، لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعرف الخلق انه لا يسئلهم عن تبليغ الرسالة اجرا الا المودة فى القربى . والمعنى انهم يسئلون هل والهم حق الموالات كما اوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم ام اضاعوها واهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة ، وأشار بقوله كما أوصاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاحاديث الواردة فى ذلك وهى كثيرة .

منها حديث الامام مسلم عن زيد بن ارقم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد : أيها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك أن ياتينى رسول ربى عز وجل فأجيبه ، وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل ، وخذوا به ، وحث فيه ورغب فيه ، ثم قال : واهل بيتى اذكركم الله عز وجل فى اهل بيتى ثلاث مرات . فقيل لزيد اى ابن ارقم راوى الحديث ، من اهل بيته ؟ أليس نساؤه من اهل بيته ؟ قال بلى ، ان نساءه من اهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل على وآل جعفر وآل عقيل ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم . واخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، احدهما اعظم من الآخر ، كتاب الله عز وجل ، حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما . وقال : حسن غريب .

واخرج الامام أحمد فى مسنده بمعناه ولفظه : انى أوشك أن ادعى فأجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى ، وان اللطيف الخبير اخبرنى انهما لن يفترقا حتى

يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوانى فيهما ؟ وسنده لا بأس به .
وفى رواية ان ذلك كان فى حجة الوداع ، وفى اخرى ، يعنى كتاب الله ، كسفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومثلهم اى اهل بيته كباب حطة من دخله غفرت له الذنوب . وقال ابن الجوزى له طرق اخرى لم يستحفرها وفيه وهم اى غفلـــة .

وفى مسلم عن زيد بن أرقم راوى الحديث السابق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم غدير خم . وهو ماء بالجحفة ، وزاد اذكركم الله فى أهل بيتى ، قلنا لزيد من اهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها . أهل بيته وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

وفى رواية صحيحة انى تارك فيكم امرين : لن تضلوا ان تبعتموهما وهما كتاب الله واهل بيتى : عترتى . زاد الطبرانى انى سألت ذلك لهما ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم . وفى رواية كتاب الله وسنتى . وهى المـــراد مـــن الاحاديث المقتصرة على الكتاب لان السنة مبينة له ، فاغنى ذكره عن ذكرها .

وحاصل ما ذكره ان الحث وقع على التمسك بالكتـــاب والسنـــة وبالعلماء بهما من اهل البيت ، ويستفاد من ذلك بقاء الامور الثلاثة الـــى قيـــام الساعـــة .

ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طـــرقا كثيرة وردت عـــن نيف وعشرين صحابيا كما تقدم ، وتعدد طرقه مبسوطة فى حادى عشر الشبه ، وفى بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفى اخرى انه قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلات الحجرة بأصحابه ، وفى اخرى انه قال ذلك بغدير خم وفى اخرى انه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف ، ولا تنافى ، اذ لا مانع من انه كرر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة .

وفى رواية للطبرانى عن ابن عمر : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلفونى فى اهل بيتى . وفى اخرى عند الطبرانى وابى الشيخ أن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله لا دينه ولا آخرته ، قلت ما هن ؟ قال حرمة الاسلام ، وحرمتى وحرمة رحمى . وفى رواية للبخارى عن الصديق رضى الله عنه : يايها الناس ارقبوا محمدا فى اهل بيته ، اى احفظوه فيهـــم



فـــلا تـــوذوهم .

واخرج ابن سعد والملا فى سيرته ، انه صلى الله عليه وسلم قال : استوصوا بأهل بيتى خيرا ، فانى أخاصمكم عنهم غدا ، ومن أكن خصمه أخصمه اى أغلبه ومن أخصمه دخل النار ، وانه قال : من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا . وقد أخرج ابن سعد أيضا أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنة واغصانها فى الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا .

واخرج الملا أيضا حديثا : فى كل خلف من امتى عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين الا وان ائمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توفدون .

وأخرج الامام أحمد خبر الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة .

وفى خبر حسن الا ان عيبتى وكرشى : أهل بيتى والانصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . والمراد بالعيبة والكرش فى الحديث انهما موضع سر وأمانة ، ومعادن نفائس معارفه وحضرته ، اذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه ، مما به القوام والصلاح ، لان الاول لما يحرز فيه من نفائس الامتعة ، والثانى مستقر الغذاء الذى به النمو ، وقوام البنية ، وقيل هما مثلان لاختصاصهما بالامور الظاهرة والباطنة ، اذ مظروف العيبة ظاهر ، ومظروف الكرش باطن ، ولهذه المزايا جاءت الوصية غاية فى التعطف عليهم والاهتمام بأمرهم . ومعنى قوله وتجاوزوا عن مسيئهم ، اذا أخلوا بالآداب ، لا انه يسمح لهم فيما اقترفوه من جنايات على الغير فى نفسه أو متاعه . واستحقوا اقامة الحدود على ذلك ، فان الله لا يستحيى من الحق أن تقام عليهم وعلى غيرهم حتى لا تكون الامة المحمدية كبنى اسرائيل ، اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الوضيع اقاموا عليه الحد . الحديث وهذا أشنع الظلم وافظعه ، ولا يليق بأمة دينها الاسلام ، وكتابها القرآن ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم .

والعترة لغة الاهل والنسل والرهط الادنون ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته ثقلين ، لان الثقل كل نفيس خطير مصون . وهما كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والاسرار والحكم العلية والاحكام الشرعية ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتـــداء والتمسك بهما ، والتعلم منهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى جعل الحكمة فينا أهل البيت . وقيل سميا ثقلين : لثقل رعايتهما الواجبة ، والقيام بحقوقهما المرعية على الوجه الاكمل ، والاقتداء لا يكون

الا بالعالم الصالح منهم ، لانهم أئمة الارواح كما قال الامام زين العابدين رضى الله عنه لهشام بن عبد الملك : انا امام الارواح ، وانت امام الاجسام ، وقالوا ينبغى أن يزاد فى اكرام عالمهم وصالحهم · فقد روى أبو نعيم حديث : ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك الى درجة الملوك ·

والذين وقع الحث عليهم منهم انما هم العارفون بالله ، الحاملون لكتابه وسنة رسوله ، اذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض ، ويؤيدهم الخبر السابق ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء ، لان الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة · وفى أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت اشارة الى عدم انقطاع المتأهل منهم للتمسك به فى الامامة الروحية الى يوم القيامة ، ويصحبهم فى ذلك القرآن الكريم ، ولهذا كانوا أمانـــا لاهـــل الارض ·

ويؤيد ما تقدم خبر الصحيحين : اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم · وورد فى رواية الا الحدود . وفسرهم الامام الشافعى بأنهم هم الذين لا يعرفون الشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر ، وقيل من اذا أذنب تـــاب ·

وأخرج الثعلبى فى تفسير قول الله تعالى : واعتصموا بحبل اللـــه جميعا ولا تفرقوا » عن الامام جعفر الصادق : نحن حبل الله الذى قال الله فى كتابه : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » · وكان جده الامام على زين العابدين اذا تلا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » يقول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحـــوق بدرجـــة الصادقين ، والدرجات العلية ، وعلى وصف المحسن ، وما انتحلتـــه المبتدعة المفارقون لائمة الدين والشجرة النبوية ، ثم يقول : وذهب الآخرون الى التقصير فى امرنا ، واحتجوا لمتشابه القرآن ، فتأولوا بآرائهم واتهموا ماثور الخبر ، الى أن قال : فالى من يفزع خلف هذه الامة ؟ وقد درست معالم هذه الملة ، ودانت الامة بالفرقة والاختلاف ، يكفر بعضهم بعضا ، والله تعالى يقول : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » فمن الموثوق على ابلاغ الحجة ، وتاويل الحكم الى أهل الكتاب ؟ وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سدى من حجة ، هل تعرفونهم او تجدونهم الا من فروع الشجرة المباركة ، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،



وبراهم من الآفات ، وافترض مودتهم فى الكتاب ، وفى الاية من قوله تعالى : وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » اشارة الى أنهم امان لاهل الارض ، كما كان هو صلى الله عليه وسلم امانا لهم أى لاهل الارض · وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة : منها النجوم امان لاهل السماء ، وأهل بيتى امان لامتى · أخرجه جماعة وفى سنده ضعف ، ومثله أهل بيتى امان لاهل الارض ، فاذا هلك أهل بيتى جاء أهل الارض من الآيات ما كانوا يوعدون · وروى الامام أحمد فاذا ذهب النجوم ذهب اهل السماء ، واذا ذهب اهل بيتى ذهب أهل الارض ·

وفى رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين النجوم امان لاهل الارض من الغرق ، وأهل بيتى امان لامتى من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس ·

وجاء من طرق عديدة يتوى بعضها بعضا انما مثل أهل بيتـــى فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا · وفى رواية لمسلم من تخلف عنهـــا غرق . وفى رواية هلك ، وانما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى اسرائيل من دخله غفر له ، وفى رواية غفر له الذنوب ·

وفى صحيح مسلم ان الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبـــع سنين ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال حبة من خير أو ايمان الا قبضه ، فيبقى شرار فى خفة الطير واحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا · الحديث · قال : ويحتمل وهو الاظهر عندى ان المراد بهم سائر أهل البيت ، فان الله لما خلق الدنيا بأسرها من اجل النبى صلى الله عليه وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام اهل بيته لانهم يساوونه فى أشياء ذكرتها من قبـــل عن الفخر الرازى ، ولانه قال : اللهم انهم منى وانا منهم ، ولانهم بضعة منه بواسطة ان فاطمة الزهراء أمهم بضعته فأتيموا مقامه فى الامان · انتهى ملخصا ، ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر ، ان من أحبهم وقام بما يجب لهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم واخذا بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم ، وهلك فى مفاوز الطغيان ·

وقد مر فى خبر ان من حفظ حرمة الاسلام وحرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة رحمه حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لا فلا ·

وورد : يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين ·

ويشهد لذلك خبر : المرء مع من أحب .

وباب حطة هى باب أريحاء ، أو بيت المقدس ، وان الله جعل دخولها مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة ، وجعل لهذه الامة مودة اهل البيت سببا لها كما ياتى . وقال أبو جعفر اى محمد الباقر : وثابت البنانى فى قوله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » اى الى ولاية أهل البيت رضى الله عنهم . واخرج الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد الحسنين وقال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

ولفظ الترمذى وكان معى فى الجنة . وقال حسن غريب : ومعنى المعية هنا معية الشهود والقرب لا معية المكان والمنزل .

واخرج ابن سعد عن على خبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يارسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم . واخرج الحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى اهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم . وأخرج ابن عدى والديلمى عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اثبتكم على الصراط أشدكم حبا لاهل بيتى ولاصحابى . واخرج ابن عساكر عن على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله . واخرج الخطيب عن عثمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صنع صنيعة الى احد من خلف عبد المطلب فى الدنيا فعلى مكافأته اذا لقينى . واخرج أبو القاسم بن بشر عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى أن لا يدخل أحدا من أهل بيتى النار فأعطانى . واخرج الديلمى عن أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى .

وورد : انه صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينسأ فى أجله ، وأن يمتع بما خوله الله ، فليخلفنى فى أهل بيتى خلافة حسنة ، فمن لم يخلفنى فيهم بتر عمره ، وورد على يوم القيامة مسودا وجهه .

واخرج الحاكم عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

واخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان أول من أشفع



له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ، ثم الاقرب ، فالاقرب من قريش ، ثم الانصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الاعاجم ، ومن أشفع له أولا أفضل . وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ، وقال ويتفاوت الناس فى الايمان على قدر تفاوتهم فى محبتى الا لا ايمان لمن لا محبة له . فبمحبته صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وأخرج الدارقطنى أيضا عن المسيب قال : قال ابن عمر : تحببوا الى الاشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم السفلة فانه لا يتم شرف الا بولادة على رضى الله عنه ، وسعد من سعد حتى وصل الى درجة الكمال والحق بالاهل ، كسلمان رضى الله عنه الذى ورد فيه الحديث المتقدم فى قوله صلى الله عليه وسلم يا على سلمان منا أهل البيت .

وفى دلالة الاحاديث المتقدمة الحث الاكيد على مودتهم ، ومزيد الاحسان اليهم ، واحترامهم ، واكرامهم ، وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة ، كيف وهم أشرف بيت اختاره الله لنبيه ، وجعل فيه الهدى والنور المحمدى ، فهم يتوارثونه بينهم لا يشاركهم من سواهم الا بمودتهم والقيام بواجبهم ، وكان أفضلهم فيه من كان متبعا لسنة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعظيم جنابه جعل الله لحسنتهم ضعفين من أجر غيرهم ، ولسيئتهم ضعفين من الوزر كذلك . وقال عليه الصلاة والسلام الحسنة بالحسنة وهى من بيت الله أحسن والسيئة بالسيئة وهى من بيت الله أشين . وقال الله تعالى مخاطبا الزوجات الطاهرات : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » الى آخر ما تقدم فى هذا الموضوع .

ولهذا قال العلماء : الحسنة تعظم بحسب الزمان والمكان والشخص الصادرة عنه ، والمعصية كذلك تعظم بحسب الزمان ، والمكان والشخص ، ومن ثم جاء الوعيد العظيم ، والذم الشديد على معصية العالم ، لانه حامل لكتاب الله وسنة رسوله ، وكانت معصيته عظيمة لما فيها من الخطر اللاحق بالمجتمع بخلاف معصية الجاهل لهوان عضويته فى المجتمع ، لان نظرته الى العالم الحامل لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى من هو من البيت المشرف عند الله ليست هى النظرة الى الجاهل الوضيع القدر ، ولذلك كانت معصيته ومصيبته على نفسه أكبر منها خطرا على غيره بالنسبة الى المجتمع الذى يعيش به ، ومن أجل ذلك عظمت معصية

العالم والشريف ومن جمع بينهما ، ومن أجل هذا المعنى تفاوتت الاحكام والحدود بين الاحرار والعبيد والمسلم والكافر ، ومن ثم كان لا يرجم الكافر بالزنى فى ملتنا لان معصيته لدينا تساوى معصية كلب لا يلحق المجتمع الاسلامى منها أذى ·

## ترجمة الحسن السبط

فهو الحسن بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو محمد ولد فى النصف الثانى من رمضان ، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذنه اليمنى ، وأقام فى اليسرى من السنة الثالثة من الهجرة بالمدينة المنورة ، كان رضى الله عنه شبيها بالنبى صلى الله عليه وسلم فى خلقه واخلاقه ، وكان سيدا كريما حليما فصيحا مستحضرا مناظرا لسانه امضى من سيفه ، لا يكلمه احد فى غير صواب الا قلب عليه مجلسه ظلمة ، ورد عليه سروره حسرة ، ونعمته نقمة ، حتى كانت تهاب صولة لسانه الفصحاء والامراء ·

## حبه فى الله

أخرج أبو نعيم فى الحلية انه قال : انى لاستحيى من ربى أن القاه ولم امش الى بيته فحج عشرين حجة ماشيا ·

واخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه ·

## كرمه وسخاؤه

واخرج أبو نعيم : انه خرج عن ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ، وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها اليه ، وجاءه رجل يشكو اليه ما وصلت اليه حالته من قلة ذات يده وكان مثريا ، فأعطاه وقال : ما هذا حق سؤالك ، ان حالك يعظم لدى معرفتى بما يجب لك ويكبر على ويدى تعجز عن نيلك ما انت اهله ، والكثير فى ذات الله قليل ، وما فى ملكى وفاء لشكرك ، فان قبلت الميسور ورفعت عنى مؤونة الاحتفال والاهتمام لما اتكلفه فعلت ، فقال يا ابن بنت رسول



الله اقبل القليل واشكر العطية واعذر عن المنع ، فأحضر الحسن وكيله وحاسبه ، وقال هات الفاضل ، فأحضر خمسين الف درهم ، وقال : ما فعلت فى الخمسمائة دينار التى معك ؟ قال هى عندى ، قال احضرها ، فأحضرها فدفعها والخمسين الف درهم الى الرجل واعتذر ·

وكان مرة هو واخوه الحسين ، وابن عمه عبد الله بن جعفر فى بعض سفر لهم ، فاستضافتهم عجوز ، فأعطاها الف دينار ، والف شاة ، واعطاها اخوه الحسين مثل ذلك ، واعطاها عبد الله بن جعفر مثليهما الفى شاة والفى دينار ·

## حلمه ومجده

واخرج ابن سعيد عن عمير بن اسحاق انه لم يسمع منه كلمة فحش الا ما قال لبعض خصومه رغم انفه ، وارسل اليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسب عليا كل جمعة على المنبر ، فقال الحسن لرسوله ارجع اليه وقل له انى والله لا امحو عنك شيئا بأن ارد عليك ما سببت ، ولكن موعدى وموعدك الله ، فان كنت صادقا فجزاك الله خيرا بصدقك ، وان كنت كاذبا فالله اشد بأسا واشد تنكيلا ·

وقد اغلظ عليه مروان وهو ساكت ثم امتخط بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ، اما علمت ان اليمين للوجه ، والشمال للفرج والانف ، اف لك فسكت مروان ولما مات الحسن بكى مروان فى جنازته ، فقال له الحسين : اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : انى كنت افعل ذلك الى احلم من هذا ، واشار بيده الى الجبل ·

## ومن دعائه رضى الله عنه

وقد كانت اصابته شدة فى ظروف قاسية ، وكان عطاؤه كل سنة مائة الف ، فحبسها عنه معاوية وحصلت له شدة وضيق ، قال : فهممت ان اكتب الى معاوية ، فدعوت بدواة لاذكره حالتى ، ثم امسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال : كيف انت ياحسن ؟ فقلت بخير يا ابت ، وشكوت اليه حبس رزقى عنى فقال : ادعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ قلت نعم يارسول الله ، فكيف

اصنع ؟ فقال : قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك ، حتى لا ارجو احدا سواك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه علمى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسئلتى ، ولم يجر على لسانى مما أعطيت احدا من الاولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا أرحم الراحمين . قال : فو الله ما انجحت فيه اسبوعا حتى بعث الى بألف الف ، وخمسمائة الف . فقلت الحمد الذى لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه .

## ومـــن مناقبـــه انه كان مطلاقا للنساء

فقد كان رضى الله عنه مطلاقا للنساء ، وكان لا يطلق امراة الا وهى تحبه ، وكان فى حياة ابيه بالعراق تلقاه المراة ولا يعرفها انها كانت زوجة له واحصى له عدد الزوجات المطلقات فبلغت تسعين زوجة وقيل أكثر من ذلك ، ولما راى ابوه الامر قد تجاوز حدود الادب واللياقة من الحلال ، قام فى جمع من الناس يوما خطيبا فقال : ايها الناس ان الحسن رجـل مطلاق فلا تزوجوه بناتكم ، فقام رجل من همدان وقال : يا أمير المومنين انا لنزوجه والله ما شاء أن يتزوج منا ، فمن شاء امسك ومن شاء أطلق ، ثم قال الامام على كرم الله وجهه : فان ابيتم الا ذاك فأنتم وشأنكم . واخرج ابن عساكر انه قيل له : ان ابا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنـى ، والسقم احب الى من الصحة ، فقال : رحم الله ابا ذر . اما انا فأقول : من اتكل الى حسن اختيار الله لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختار الله له.

## خلافـــة الامـــام الحســـن

الامام الحسن احد الخلفاء الراشدين بعد ابيه كان رضى الله عنه صورة تحققت عليها احاديث جده المصطفى صلى الله عليه وسلم : الخلافة بعده ثلاثون سنة . للحسن منها ستة اشهر كانت تتميما لها . وكقوله صلى الله عليه وسلم اهل بيتى امان لامتى من الاختلاف . وكقوله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين . وكل ذلك كان السيد العظيم مثالا له .

ولى الخلافة بعد وفاة ابيه على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ولم تكن ولايته عن وصاية ابيه له ، كما كان ذلك رايا لبعض اصحابه ، قال له جندب بن عبد الله : لما دخل عليه بعد أن ضربه ابن ملجم ، ان فقدناك



ولا نفقدك يا أمير المومنين فنبايع الحسن ، فقال له ما آمركم ولا انهاكم أنتم أبصر . وبعد وفاة ابيه تقدم اليه أهل الكوفة بالبيعة ، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه قائلا له : ابسط يدك ابايعك ، على كتاب الله وسنة رسول الله وقتال المحلين ، فقـــال الحســن علـــى كتـــاب اللـــه وسنة نبيه فانهما ياتيان على كل شرط ، فبـــايعـــه الناس على ذلك فأتام بها ستة اشهر خليفة حق ، وامام عدل وصدق ، تحقيقا لما اخبر به جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله : الخلافة بعدى ثلاثون سنة فقد كانت الستة اشهر تتميما لها ، ومن أجل ذلك كانت خلافته منصوصا عليها غير انها محدودة الاجل . فقام معاوية ينازع الحق اهله ، وتحمل فى ذلك مسؤوليات جساما ، وكاد قيامه يزعزع اركان الدولة الاسلامية الفتية لولا تعقل السيد الحسن ويقظته واعتبـــاره لما ارتكبه خصمه فى سبيل الوصول اليها من خطوات لا تليق ان تكون من دين الله ، الامر الذى ادهش أهل ذلك العصر ولم يرضوه أن يكون فى أمة الاسلام فى عهد ابيه الامام على كرم الله وجهه ، ومعاوية على ما هو عليه مع الحسن فى طريقه الى الاستيلاء على الامة الاسلامية مهما كانت الوسائل، وبأى ثمن لما كان يراه من أن الغاية تبرر الوسيلة .

روى البخارى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : استقبل الحسن ابن على معاوية بكتائب امثال الجبال ، فقال مستشاره عمرو بن العاص لمعاوية : انى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانها ، فقال معاوية فكان والله خير الرجلين : اى عمرو — ان قتل هؤلاء ، هؤلاء ، وقتل هؤلاء ، هؤلاء من لى بأمور المسلمين ؟ من لى بنسائهم ؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبد الرحمن بن عامر ، فقال : اذهبا الى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا اليه ، ثم ذهبا حتى أتياه ، فدخلا عليه وتكلما ، وقالا له ، وطلبا اليه ، فقال لهم الحسن ابن على رضى الله عنهما : انا بنو عبد المطلب قد اصبنا من هذا المال ، وان هذه الامة قد عامت فى دمائها ، فقالا له : فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ، ويسألك ، قال من لى بهذا ؟ فقالا نحن لك به ، فما سألهما شيئا الا قالا نحن لك به فصالحه انتهى .

وفى رواية اخرى لغيره ، أن الحسن توجه الى حرب معاوية فى اربعين الفا فلما تراءا اى الجمعان علم الحسن انه لن يغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى ، فكتب الى معاوية انه ان جعل له الامر من بعده

وان لا يطلب احدا من اهل العراق والمدينة والحجاز بشىء مما كان فى ايام ابيه ، وعلى أن يقضى عنه ديونه ، واشكل الامر بين الطرفين فى عشر نقط ، لم تزل محل المفاوضة بين الطرفين ، ثم فاجأ معاوية الخليفة الحسن فبعث اليه برق ابيض عليه طابع الخلافة قائلا له فيه : اكتب ما شئت فانــى التــزمــه ·

وقد نص بعض المؤرخين على صورة كتاب ما كتبه الامام الحسن لمعاوية وهو : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بـن على معاوية بن أبى سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين ، وليس الى معاوية بن ابى سفيان ان يعهد الى احد من بعده عهدا بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى ان الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله تعالى فى شامهم وعراقهم وحجازهم ، وعلى ان اصحاب على وشيعته آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بن ابى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وان لا يبتغى للحسن بن على ، ولا لاخيه الحسين ، ولا لاحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف احدا منهم فى افق من الآفاق ، اشهد عليه به فلان وفلان وكفى بالله شهيدا ·

## تنــازل الامــام الحسن لمعاويــة

وبعد ما انبرم الصلح بين الطرفين وتم الاتفاق بينهما على الغرض منه ، والتزم معاوية العمل ببنوده ، التمس من السيد الحسن ان يتكلم فى جموع الناس ويعلمهم انه قد سلم الامر وبايع لمعاوية على شروط رآها — وتلى النص — مصالحة لجمع كلمة المسلمين ، فأجابه الى ذلك ، وصعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال : ايها الناس ان اكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور — الى ان قال قد علمتم ان الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقذكم من الضلالة ، وخلصكم من الجهالة ، واعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، ان معاوية نازعنى حقا هو لى دونه ، فنظرت لصلاح الامة ، وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتمونى على ان تسالموا من سالمنى وتحاربوا من حاربنى ، فرايت أن اسالم معاوية واضع الحرب بينى وبينه ، وقد بايعته ، ورايت ان حقن الدماء خير لى من سفكها ،



ولم ارد بذلك الا اصلاحكم وبقاءكم : وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى الى حين » وكان من جملة الاسباب التى حملته على المصالحة غدر أهل الكوفة به فى ساباط المدائن ، اذ طعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن دابته · ومما شرح الله به صدره فى هذا الصلح ظهور معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فى حق الحسن : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين · رواه البخارى . وكان نزوله عنها فى شهر ربيع الاول سنة ( 41 ) هجرية ، وقيل ربيع الثانى وقيــل جمــادى الاولى ·

## الامــام الحسن السياسى العظيم

ما أكثر صبرك ! ومــا أغــزر حلمــك ! ومــا اكبــر عقلك ! وما انفذ تبصرك ! وما الين طبعك ! لامتثال كلام من لا ينطق عن الهوى ، وما اعظم ايثار مصلحة المسلمين على مصلحة نفسك ! ضحيت بنفسك وبعشيرتك وانصارك فى سبيل مصلحة دينك وايمانك ابتغاء مرضاة ربك ، حتى تنازلت عن حق هو بيدك ، لالد اعدائك واعداء ابيك رجل قد اصبح متنكرا لما ابرمه بشهوده وامضاه بيده معاوية بن ابى سفيان الذى لا تعرف النصفة مع آل على الى قلبه سبيلا · فقد فعلت ذلك كله واقدمت على ما كنت عالما بعواقبه ابتغاء اصلاح ذات البين ، بين فئتين عظيمتين من المسلمين امتثالا لامر الله ، وتحقيقا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وما كدت تنزل عن منبر الخطابة حتى اخذت سهام الالسنة تسدد الى جانبك ، من طرف من الفوا الخوض فى الماء العكر ، دون أن يهمهم ما اهمك من شأن الاسلام والمسلمين ، فبدات تسمع بدل يا امير المومنين ، يا عار المومنين ، فتجيب فى رحب صدر وعظيم حلم « العار خير من النار » ويقول الآخر : السلام عليك يا مذل المومنين ، فتجيب فى مروءة ووقار ، « كرهت أن اقتلكم على الملك » وكثيرا ما تسمع وتجيب فى أدب · ثم ارتحل من الكوفة واختار المقام بالمدينة دار الهجرة والزهد فى الدنيا الى جانب قبر جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ·

وسمى ذلك العام « بعام الجماعة » لاجتماع كلمة المسلمين فيــه واجتماع الكلمة فى يد معاوية بحيث لم يعد له خصم يخشاه ، الا ما كان من أمر الخوارج · وبعد ما استتب الامر بيد معاوية جعل ينقض بنود الصلح

حتى نقض الكثير منها . ومن احسن ما يروى عنه فى عدله جوابه لعامله على الكوفة ، زياد بن أبيه ، فى قضية سعيد بن سرح احد شيعة على رضى الله عنه وصورتها : انه لما ارتحل الامام الحسن عن الكوفة واختار مقامـه بالمدينة ، خلا الجو بها لمعاوية وعماله فبدأوا بمطاردة شيعة الامام على رضى الله عنه فكانت مآسى كثيرة سجلها التاريخ بالدماء والدموع والاحزان ، منها قصة زياد بن ابيه عامل الكوفة ، لما طلب سعيد بن سرح من أجل تشيعه لعلى ففر والتحق بالحسن فى المدينة واستجار به ، فألقى زياد القبض على اخيه وولده وامرأته ، ونقض داره وصادر امواله ، ولما وصل ذلك الى السيد الحسن شق عليه ذلك وكتب من فوره الى زياد يامره بأن يعطى الامان لسعيد ، ويخلى سبيل عياله واطفاله ، ويشيد داره ، ويرد عليه امواله ، وهذا نص كتابه :

من الحسن بن على الى زياد اما بعد : فانك عمدت الى رجل مـن المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره ، واخذت ماله ، وحبست اهله وعياله ، فان اتاك كتابى هذا فابن له داره ، واردد عليه ماله وعياله ، وشفعنى فيه فقد أجرته والسلام .

ولما وصله الكتاب استشاط غضبا لان الحسن لم ينسبه الى أبـى سفيان — لانه ابن زنى — فأجابه زياد بما نصه : من زياد بن أبى سفيان الى الحسن بن فاطمة اما بعد : فقد اتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى ، وانت طالب حاجة وانا سلطان ، وانت سوقة ، وتامرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته كتبت الى فى فاسق آويته اقامة منك على سوء المراى ورضى منك بذلك وايم الله لا تستبقنى به ، ولو كان بين جلدك ولحمك ، فان احب لحم على ان آكله ، اللحم الذى انت منه ، فسلمه بجريرته الى من هو أولى به منك فان عفوت عنه لم اكن شفعتك فيه ، وان قتلته لم اقتله الا لحبه اباك والسلام وبعد ان وصل الجواب الى الامام الحسن كتب رسالة اخرى قصيرة ، نصها : من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سمية اما بعد : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام . وكتب اى معاوية بن ابى سفيان فى حل المشكل ، وارفق كتابه بجواب زياد عليه ، فلما بلغ معاوية ذلك غضب على زياد وكتب اليه كتابا نصه : اما بعد ؛ فان الحسن بن على بعث الى بكتابك اليه ، جوابا عن كتاب كتبه اليك فى ابن ابى سرح، فأكثرت العجب منك ،وعلمت ان لك رايين احدهما من أبى سفيان ، والآخر من سمية اما الذى من ابى سفيان فحلم



وحزم ، واما الذى من سمية فما يكون من راى مثلها ، من ذلك كتابك الى الحسن تشتم اباه وتعرض له بالفسق ، ولعمرى انك لاولى بالفسق مـن أبيه ، فاما ان الحسن بدأ بنفسه فارتفاعا عليك فان ذلك لا يضعك لـو عقلت ، واما تسلطه عليك بالامر ، فحق لمثل الحسن أن يتسلط ، واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك ، فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك ، واذا ورد عليك كتابى هذا فخل ما فى يدك لأى من متاعه لسعد بن ابى سرح ، وابن له داره ، واردد عليه ماله ، ولا تتعرض له ، فقد كتبت الى الحسن أن يخيره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان ، وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان ، والى اى أم وكلته لا ام لك ؟ أما علمت انها فاطمة بنت رسول الله ، فذلك افخر لـه لو كنت تعلمه وتعقله .

## مناظرة بين الامام الحسن ومناوئيـه

لم يكن فى الاسلام يوم فى مشاجرة قوم اجتمعوا فى حفل أكثر ضجيجا ولا اعلى كلاما ، ولا اشد مبالغة فى قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن ابى سفيان خمسة من مناوئى الامام الحسن ، ومن هم هؤلاء الخمسة ؟ هم عمرو بن العاص ، وعمرو بن عثمان بن عفان ، وعتبة بن أبى سفيان ، والوليد بن عقبة بن ابى معيط ، والمغيرة بن شعبة ، وقد تواطؤوا على أمر واحد ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : الا تبعث الى الحسن بن علـى فتحضره فقد احيا سيرة ابيه ، ان امر فأطيع ، وان قال فصدق ، وهذان يرفعان به الى ما هو اعظم منهما ، فلو بعثت اليه فقصرنا به وبأبيه ، وسببناه وسببنا اباه ، وصغرنا بقدره وقدر ابيه وقعدنا لذلك حتى نصدق لك فيـه .

فقال لهم معاوية : انى اخاف ان يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم ، والله ما رايته قط الا كرهت جنابه ، وهبت عتابه ، وانى ان بعثت اليه لانصفنه منكم ، قال عمرو بن العاص : اتخاف ان يتسامى باطله على حقنا ، ومرضه على صحتنا ، قال : لا ، قال : فابعث اليه اذا قال عتبة : هذا راى لا أعرفه ، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا اعظم مما فى انفسكم عليه ، ولا يلقاكم الا بأعظم مما فى نفسه عليكم ، وانه لمن اهل بيت خصم وجـدل .

ثم بعثوا الى الحسن ، فلما اتاه الرسول قال له : يدعوك معاوية ، قال : ومن عنده ؟ قال الرسول : عنده فلان وفلان ، وسمى كلا منهم باسمه فقال الحسن : ما لهم ؟ خر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » ثم قال : يا جارية ابلغينى ثيابى ، ثم قال : اللهم انى ادرا بك فى نحرهم ، واعوذ بك من شرورهم ، واستعين بك عليهم ، فأكفنيهم بما شئت وانى شئت من حولك وقوتك يا ارحم الرحمن ، وقال للرسول هذا كلام الفرج ، فلما اتى معاوية رحب به وحياه وصافحه ، فقال الحسن : ان الذى حييت به سلامة ، والمصافحة امنة ، فقال معاوية اجل ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى ليقرروك ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم بمثل ما يكلمونك ، ولا يمنعك مكانى من جوابهم ، فقال الحسن : سبحان الله البيت بيتك ، والاذن فيه اليك ، والله انى لاجبتهم الى ما ارادوا انى لاستحيى لك من الفحش ، ولئن كانوا غلبوك انى لاستحيى لك من الضعف ، فبأيهما تقر ؟ ومن ايهما تعتذر ؟ اما انى لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بنى هاشم ، ومع وحدتى هم اوحش منى مع جمعهم ، فان الله عز وجل ، لوليى اليوم وما بعد اليوم ، فليقولوا فأسمع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

فقال معاوية : انى كرهت ان ادعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعوناك لنقرر ان عثمان قتل مظلوما وان اباك قاتله ، فاسمع منهم ثم اجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم ان تتكلم بكل لسان ، (1) فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال : ما سمعت كاليوم ان بقى من بنى عبد المطلب على وجه الارض من احد بعد قتل الخليفة عثمان ، وكان — من — ابن اختهم ، والفاضل فى الاسلام منزلة ، والخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة ، فبيس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلبا للفتنة وحسدا ونفاسة ، وطلب ما ليسوا بأهل لذلك مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ، ومن الاسلام ، فياذلاه ان يكون « حسن » وسائر بنى عبد المطلب وقتلة عثمان احياء يمشون على مناكب الارض ، وعثمان مضرج بدمه ، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما ، بقتلى بنى أمية ببدر . ! (2) ثم تكلم عمرو بن العاص : فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : اىْ يا ابن ابى تراب بعثنا اليك لنقرك ان اباك سم ابا بكر الصديق ، واشترك فى قتل عمر الفارق وقتل عثمان ذى النورين مظلوما ، فادعى ما ليس بحق ، ووقع فيه — وذكر الفتنة وعيره بشأنها — ثم اضاف



انكم يابنى عبد المطلب لم يكن الله يعطيكم الملك ، فترتكبون فيه ما لا يحل لكم ، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن امير المومنين ، وليس عندك عقل ذلك ، ولا رايه ، فكيف وقد سلبته وتركت احمق فى قريش ، وذلك لسوء عمل ابيك ، وانما دعوناك لنسبك واباك ، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا ، ولا أن تكذبنا فى شىء به ، فان كنت ترى انا كذبناك فى شىء ، وتقولنا عليك بالباطل ، وادعينا خلاف الحق فتكلم ، والا فاعلم انك وأباك من شر ما خلق الله ، أما أبوك فقد كفانا الله قتله ، وتفرد به ، وأما أنت فانك فى أيدينا نتخير فيك ، والله ان لو قتلناك ما كان فى قتلك اثم عند الله ، ولا عيب عند الناس .

(3) ثم تكلم عتبة بن أبى سفيان ، فكان أول ما ابتدأ به أن قال : يا حسن ان أباك كان شر قريش لقريش ، اقطعه لارحامها ، واسفكه لدمائها ، وانك لمن قتلة عثمان ، وأن فى الحق أن نقتلك به ، وأن عليك القود فى كتاب الله عز وجل ، وانا قاتلوك به ، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله ، فكفاناه ، وأما رجاؤك للخلافة فلست منها لا فى قدحة زندك ولا فى رجحة ميزانك .

(4) ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، بنحو من كلام أصحابه فقال : يا معشر بنى هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان ، وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصا على الملك ، وقطيعة للرحم ، واستهلاك الامة ، وسفك دمائها حرصا على الملك ، وطلبا للدنيا الخسيسة وحبا لها ، وكان عثمان خالكم ، فنعم الخال كان لكم ، وكان صهركم ، فكان نعم الصهر لكم ، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ، ثم وليتم قتله ، فكيف رايتم صنع الله بكم .

(5) ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، وكان كلامه وقوله كله وقوعا فى على كرم الله وجهه ثم قال : يا حسن ، ان عثمان قتل مظلوما ، فلم يكن لابيك فى ذلك عذر برىء ، ولا اعتذار مذنب ، غير أننا يا حسن قد ظننا لابيك فى ضمه قتلته وايوائه لهم ، ودبه عنهم ، انه بقتله راض ، وكان والله طويل السيف واللسان ، يقتل الحى ويعيب الميت ، وبنو أمية خير لبنى هاشم ، من بنى هاشم لبنى أمية ، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية ، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وأجلب عليه قبل موته وأراد قتله ، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أتى به قودا ، ثم دس اليه فسقاه سما فقتله ،

ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبته ، فعمل فى قتله ، ثم طعن على عثمان حتى قتله ، كل هؤلاء قد شرك فى دمهم ، فأى منزلة له من الله يا حسن ، وقد جعل الله السلطان لولى المقتول فى كتابه المنزل ، فمعاوية ولى المقتول بغير حق ، فكان من الحق لو قتلناك واخاك ، والله ما دم على بخطر من دم عثمان ، وما كان الله ليجمع فيكم يا بنى عبد المطلب الملك والنبوة .

## جـواب الامـام الحسـن

فتكلم أبو محمد « الحسن » بن على رضى الله عنهما فقال :

الحمد لله الذى هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على سيدنا محمد نبى الله ورسوله وآله وسلم ، اسمعوا منى مقالتى ، واعيرونى فهمكم ، وبك أبدا يا معاوية ، انه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك ، وما هؤلاء شتمونى ولا سبنى غيرك ، وما هؤلاء سبونى ، ولكن شتمتنى وسببتنى فحشا منك وسوء راى ، وبغيا وعدوانا وحسدا علينا ، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم قديما وحديثا ، وانه والله لو كنت انا وهؤلاء يا أزرق ! مشاورين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحولنا المهاجرون والانصار ، ما قدروا ان يتكلموا بمثل ما تكلموا به ، ولا استقبلونى بما استقبلونى به ، فاسمعوا منى أيها الملأ المجتمعون المتعاونون على ، ولا تكتموا حقا علمتموه ، ولا تصدقوا بباطل نطقت به ، وسأبدأ بك يا معاوية ، فلا اقول فيك الا دون ما فيك ، أنشدكم بالله هل تعلمون ان الرجل الذى شتمتموه صلى الى القبلتين كلتيهما ، وأنت تراهما ضلالة ، تعبد اللات والعزى ؟ وبايع البيعتين كلتيهما : بيعة الرضوان وبيعة الفتح ، وانت يا معاوية بالاولى كافر ، وبالاخرى ناكث .

انشدكم بالله هل تعلمون ؟ انما اقول حقا ، انه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ومعه راية النبى ، ومعك يا معاوية راية المشركين تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله والمومنين فرضا واجبا ، ولقيكم يوم احد ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، ولقيكم يوم الاحزاب ومعه راية النبى ومعك يا معاوية راية المشركين ، كل ذلك يفلح الله حجته ؟ ويحقق دعوته ، ويصدق احدوثته ، وينصر رايته ، وكل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عنه راضيا فى المواطن كلها ؟ ثم انشدكم بالله هل تعلمون ؟ ان رسول الله حاصر بنى قريظة ،



وبنى النضير ، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين ، وسعد بن معاذ ومعه راية الانصار ، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحا ، وأما عمر فرجع وهو يجبن أصحابه ، ويجبنه أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرارا غير فرار ، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه ، فتعرض لها أبو بكر وعمر ، وغيرهما من المهاجرين والانصار ، وعلى يومئذ أرمد شديد الرمد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل فى عينيه فبرىء من الرمد فأعطاه الراية ، فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه وطوله ، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ورسوله ، فهل يسوى بين رجل نصح لله ورسوله ورجل عادى الله ورسوله ؟ ! ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد ، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس فى القلب ، ثم أنشدكم بالله أتعلمون ؟ ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك ، ولا أسخطه ذلك ولا كرهه ، وتكلم فيه المنافقون فقال : لا تخلفنى يا رسول الله ، فانى لم أتخلف عنك فى غزوة قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وصيى وخليفتى فى أهلى بمنزلة هارون من موسى . ثم أخذ بيد على ثم قال : أيها الناس من تولانى فقد تولى الله عز وجل . ومن تولى عليا فقد تولانى ومن أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع عليا فقد اطاعنى ، ومن أحبنى فقد احب الله ، ومن أحب عليا فقد احبنى . ؟ أنشدكم بالله اتعلمون ؟ أن رسول الله قال فى حجة الوداع : أيها الناس انى قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده ، كتاب الله ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتى وعترتى ووالوا من والاهم ، وانصروهم على من عاداهم ، وانهما لم يزالا فيكم حتى يردا على الحوض يوم القيامة ، ثم دعا عليا وهو على المنبر ، فاجتذبه بيده فقال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، اللهم من عادى عليا فلا تجعل له فى الارض مقعدا ، ولا فى السماء مصعدا ، واجعله فى أسفل درك من النار . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان رسول الله قال له : أنت الذائد عن حوضى يوم القيامة ، تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط ابله . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ انه دخل على رسول الله صلى الله فى مرضه الذى توفى فيه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على : ما يبكيك يارسول الله ؟ فقال : يبكينى انى أعلم : ان لك فى قلوب الرجال من أمتى ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك . أنشدكم بالله أتعلمون ! ؟ ان رسول الله حين حضرته الوفاة ، واجتمع أهل بيته قال :

اللهم هؤلاء أهلى وعترتى ، اللهم والى من والاهم وانصرهم على من عاداهم، وقال : انما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح ، من دخل فيها نجا ، ومن تخلف عنهـا غـرق ·

انشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلموا عليه بالولاية فى عهد رسول الله وحياته · انشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان عليا اول من حرم الشهوات كلها على نفسه من اصحاب رسول الله ، فأنزل الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مومنون » وكان عنده علم المنايا ، وعلم القضايا وفصل الخطاب ، ورسوخ العلم ، ومنزل القرآن وكان فى رهط لا نعلمهم يتمون عشرة نبأهم الله انهم به مومنون ، وأنتم فى رهط قريب مـن عدة اولائك ، لعنوا على لسان نبيه رسول الله ، فأشهد لكم واشهد عليكم انكم لعناء الله على لسان نبيه أهل البيت أى الحاضرين · وانشدكم بالله هـل تعلمون ! ؟ ان رسول الله بعث اليك لتكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد ابن الوليد ، فانصرف اليك الرسول ، فقال : هو ياكل ، فأعاد الرسول اليك ثلاث مرات ، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول : هو ياكل ، فقـال رسول الله : اللهم لا تشبع بطنه · فهى والله فى نهمتك واكلك الى يـوم القيامة . انشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ انما أقول حقا انك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر ، ويقوده أخوك هذا القاعد ، وهـذا يـوم الاحزاب ، فلعن رسول الله الراكب والقائد والسائق ، فكان أبوك الراكب وانت يا أزرق السائق ، واخوك هذا القاعد القائد ·

ثم انشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان رسول الله لعن أبا سفيان فى سبعة مواطن ، (1) حين ، خرج من مكة الى المدينة ، وأبو سفيان جاء من الشام فوقع فيه أبو سفيان فسبه ، وأوعده ، وهم أن يبطش به ، ثم صرفه الله عز وجل عنه (2) يوم العير حيث طردها أبو سفيان ، ليحرزها مـن رسول الله · (3) يوم أحد يوم قال رسول الله : الله مولانا ، ولا مولـى لكم ، وقال : أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم ، فلعنه الله وملائكتـه ورسوله والمومنون اجمعون · (4) يوم حنين يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن ، وجاء عيينة بغطفان واليهود ، فردهم الله عز وجـل بغيظهم لم ينالوا خيرا هذا قول الله عز وجل له فى سورتين كلتيهما يسمى أبا سفيان وأصحابه كفارا ، وانت يومئذ يامعاوية مشرك على رأى أبيك



بمكة ، وعلى يومئذ مع رسول الله وعلى رأيه ودينه · (5) قول الله عـز وجل : والهدى معكوفا أن يبلغ محله » وهددت أنت وأبوك ومشركوا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم · فلعنه الله لعنة شملته وذريته الـى يوم القيامة . (6) يوم جاء أبو سفيان يجمع من قريش ، وجاء عيينة بـن حصن بن بدر بغطفان ، فلعن رسول الله القادة والاتباع والساقة الى يوم القيامة ، فقيل يارسول الله ، أما فى الاتباع مومن ؟ فقال : لا تصيب اللعنة مومنا من الاتباع ، وأما القادة فليس فيهم مومن ولا مجيب ولا ناج · (7) يوم الثنية يوم شد على رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنى عشر رجلا ، سبعة منهم من بنى أمية ، وخمسة من سائر قريش فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله من حل الثنية غير النبى وسائقه وقائده · ثم انشدكم بالله هل تعلمون ! ؟ ان أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع فى مسجد رسول الله ، فقال : يا ابن أخى هل علينا من عين ؟ قال : لا ، فقال أبو سفيان : تداولوا الخلافة فتيان بنى أمية · فو الذى نفس أبى سفيان بيده مـا مـن جنـة ولا نـار ·

وانشدكم بالله اتعلمون ! ؟ ان أبا سفيان اخذ بيد الحسين حين بويع عثمان ، وقال يا ابن اخى اخرج معى الى بقيع الغرقد فخرج حتى اذا توسط القبور اجتره فصاح بأعلى صوته : يا أهل القبور ، الذى كنتم تقاتلوننا عليه صار اليوم بأيدينا وأنتم رميم ، فقال الحسين بن على قبح الله شيبتك وقبح وجهك ، ثم نتريده وتركه ، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده الى المدينة لهلك · ومن لعنتك يا معاوية : ان أباك أبا سفيان كان يهم أن يسلم فبعث اليه بشعر معروف مروى فى قريش وغيرهم ، تنهاه عن الاسلام وتصده عنه ، أوتنسى يا معاوية قولك لابيك :

| | |
|---|---|
| يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا | بعد الذين ببدر أصبحوا مـزقا |
| خالى وعمـى وعـم الام ثالثهم | وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا |
| لا تركنـن الـى أمـر تكلفنـا | والراقصات به فى مكة الخـرقا |
| فالموت أهون من قول العداة لقد | حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا |

ومن سيىء أعمالك ، ان عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به ، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون ، ثم أعظم من ذلك انك قاتلت عليا ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق وقد عرفت سوابقه وفضله وعمله ، على أمر هو أولى به منك ، ومن غيرك عند الله وعند الناس ، ولا دنية بل أوطأت الناس عشوة ، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخداعك

وكيدك وتمويهك ، فعل من لا يومن بالمعاد ولا يخشى العقاب ، فلما بلغ الكتاب أجله صرت الى شر مثوى ، وعلى الى خير منقلب ، والله لك بالمرصاد فهذا لك يا معاوية خاصة ، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل ، فهل تستطيع أن ترد علينا شيئا ؟ .

وأنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن حقيقا لحمقك أن تتبع هذه الامور ، فانما مثلك مثل البعوضة ، اذ قالت للنخلة استمسكى فانى أريد أن أنزل عنك فقالت لها النخلة : ما شعرت بوقوعك فكيف يشق على نزولك ؟ وانى والله ما شعرت انك تحسن أن تعادى لى ، فيشق على ذلك ، وانى لمجيبك فى الذى قلت ، ان سبك عليا ابنقص فى حسبه ؟ أو تباعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بسوء بلاء فى الاسلام ؟ او يجور فى حكم ، أو رغبة فى الدنيا ؟ فان قلت واحدة منها فقد كذبت ، وأما قولك : ان لك فينا تسعة عشر دما بقتلى مشركى قريش من بنى أمية ببدر ، فان الله ورسوله قتلهم ، ولعمرى ليقتلن من بنى هاشم تسعة عشر ، وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بنى امية تسعة عشر وتسعة عشر فى موطن واحد سوى ما قتل من بنى أمية لا يحصى عددهم الا الله .

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلا اخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباده خولا ، وكتابه دغلا ، فاذا بلغوا ثلاثمائة وعشرا حقت عليهم اللعنة ولهم ، فاذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ، فأقبل الحكم ابن أبى العاص وهم فى ذلك الذكر والكلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخفضوا أصواتكم فان الوزغ يسمع . وذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يملك بعده منهم أمر هذه الامة . يعنى فى المنام ، وساءه ذلك وشق عليه ، فأنزل الله عز وجل فى كتابه : ليلة القدر خير من الف شهر » فأشهد لكم واشهد عليكم ، ما سلطناكم بعد قتل على الا الف شهر ، التى أجلها الله فى كتابه .

وأما أنت يا عمرو بن العاص الناشىء اللعين الابتر ، فانما انت كلب ، أول امرك أن امك لبغية ، وانك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش ، منهم أبو سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان ابن الحار ثوالنضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل ، كلهم يزعم انك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش الامهم حسبا ، واخبثهم منصبا ، واعظمهم بغية ، ثم قمت خطيبا وقلت : انا شانىء محمد ، وقال العاص



ابن وائل : ان محمدا رجل ابتر ، لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ان شانئك هو الابتر » فكانت أمك تمشى الى عبد القيس لطلب البغية تاتيهم فى دورهم ورحالهم ، وبطون أوديتهم ، ثم كنت فى كل مشهد يشهد رسول الله عدوه اشدهم له عداوة ، واشدهم له تكذيبا ، ثم كنت فى أصحاب السفينة الذين اتوا النجاشى ، والمهرج الخارج الى الحبشة فى الاشاطة بدم جعفر بن ابى طالب ، وسائر المهاجرين الى النجاشى فحاق المكر السىء بك ، وجعل جدك الاسفل ، وابطل أمنيتك وخيب سعيك ، واكذب أحدوثتك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى — وكلمة الله هى العليا » وأما قولك فى عثمان فأنت يا قليل الحياء والدين الهبت عليه نارا ثم هربت الى فلسطين تتربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعثه دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولا نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبنى هاشم فى الجاهلية والاسلام ، وقد هجوت رسول الله فى سبعين بيتا من شعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انى لا أحسن الشعر ولا ينبغى لى أن أقوله ، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة . فعليك اذا من الله مالا يحصى من اللعن ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ، الست القائل : فى بنى هاشم ؟ لما خرجت من مكة الى النجاشى .

تقول ابنتى أين هـذا الرحيل ... وما السير منى بمستنكر »
فتبوا الوليد منزل كفر ... وعلى تبوا الايمانا »
ليس من كان مومنا يعبد الله ... كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعلى الى الجزاء عيانا
فعلى يجزى هناك جنانا ... وهناك الوليد يجزى هوانا

وما أنت وذكر قريش ، وانما أنت ابن عليج من أهل صفرية يقال له ذكوان وأما زعمك انا قتلنا عثمان ، فو الله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلى بن أبى طالب ، فكيف تقوله أنت ! ؟ ولو سألت أمك من أبوك ؟ اذ تركت ذكوان ، فألصقتك بعقبة بى أبى معيط ، اكتست بذلك عند نفسها سناء ورفعة ، مع ما اعد الله لك ولابيك ولامك من العار والخزى فى الدنيا والآخرة ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أنت يا وليد — والله اكبر فى السن ممن تدعى له النسب فكيف تسب عليا ؟ ولو اشتغلت بنفسك لبينت نسبك الى أبيك لا الى من تدعى

له ، ولقد قالت لك أمك : يا بنى ابوك — والله الام وأخبث من عتبة ·

واما انت ياعتبة بن ابى سفيان ، فو الله ما انت بحصيف فأجاوبك ولا عاقل فأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يخشى ، وما كنت لو سببت عليا لاغار به عليك ، لانك عندى لست بكفء لعبد عبد على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فأرد عليك وأعاتبك ، ولكن الله عز وجل لك ولابيك وامك واخيك بالمرصاد ، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال : عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » واما وعيدك اياى بقتلى ، فهلا قتلت الذى وجدته على فراشك مع حليلتك ، وقد غلبك على فرجها ، وشارك فى ولدها ، حتى الصق بك ولدا ليس لك ، ويلا لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديرا وبذلك حريا ، اذ تسومنى القتل ، وتوعدنى به ، أما تستحيى من قول نصر بن الحجاج فيك ! ؟ :

| | |
|---|---|
| يا للرجال وحادث الازمان | ولسبة تخزى أبا سفيان |
| نبئت عتبة هيأته عرسه | لصداقة الهذلى من اللحيان |
| الفاه معها فى الفراش فلم يكن | فحلا وأمسك خشية النسوان |
| لا تعتبن يا عتب نفسك حبها | ان النساء حبائل الشيطان |

ولا الومك ان تسب عليا ، وقد قتل أخاك مبارزة ، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب فى قتل جدك ، حتى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنم ، واذاقهما العذاب الاليم ، ونفى عمك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم · واما رجائى الخلافة فلعمر الله لئن رجوتها فان لى فيها لملتمسا ، وما انت بنظير اخيك ولا خليفة أبيك ، لان أخاك اكثر تمردا على الله ، واشد طلبا لاراقة دماء المسلمين ، وطلب ما ليس له بأهل ، يخادع الناس ويمكرهم ويمكر الله ، والله خير الماكرين · واما قولك ان عليا كان شر قريش لقريش ، فو الله ما حقر مرحوما ، ولا قتل مظلوما ·

واما انت يا مغيرة بن شعبة ، فانك لله عدو ، ولكتابه نابذ ، ولنبيه مكذب وانت الزانى وقد وجب عليك الرجم ، وشهد عليك العدول البررة الاتقياء فأخر رجمك ، ودفع الحق بالباطل ، والصدق بالاغاليط وذلك لما أعد الله لك من العذاب الاليم ، والخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ، وانت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتى ادميتها ، والقيت ما فى بطنها ، استذلالا منك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة منك لامره ، وانتهاكا لحرمته ، وقد قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم



انت سيدة نساء اهل الجنة · والله مصيرك الى النار ، وجاعل وبال ما نطقت به عليك ، فلاى الثلاثة سببت عليا ؟ انتصا فى حسبه ، ؟ أم بعدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ام سوء بلاء فى الاسلام ؟ أم جورا فى حكم ؟ ام رغبة فى الدنيا ؟ ان قلت بها فقد كذبت ، وكذبك الناس ، أتزعم ان عليا قتل عثمان مظلوما ؟ فعلى والله اتقى وانقى من الائمة فى ذلك ، ولعمرى ان كان على قتل عثمان مظلوما فو الله ما انت من ذلك فى شىء ، فما نصرته حيا ، ولا نصبت اليه ميتا ، وما زالت الطائف دارك ، تتبع البغايا ، وتحيى أمر الجاهلية وتميت الاسلام حتى كان فى أمس ما كان ، وأما اعتراضك فى بنى هاشم وبنى امية ، فهو ادعاؤك الى معاوية ، وأما قولك فى شأن الامارة وقول اصحابك فى الملك الذى ملكتموه ، فقد ملك فرعون مصر اربعمائة سنة ، وموسى وهارون نبيان رسولان ، يلقيان ما يلقبان ، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر ، وقال الله عز وجل : وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » وقال : واذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » انتهى ·

ثم قام الحسن فنفض ثيابه رضى الله عنه وهو يقول : الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات » هم والله يا معاوية انت واصحابك هؤلاء وشيعتك · والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولائك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة واجر كريم » هم على بن ابى طالب واصحابه وشيعته ، ثم خرج وهو يقول : ذق وبال ما كسبت يداك ، وما جنيت ، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزى فى الحياة الدنيا والعذاب الاليم فى الآخرة · وهذا الذى ذكرنا انما هو زاوية من بعض شمائله المنطوية عليها بطون الكتب لمن أراد ان يتعرف على ذلك ومنها كتاب كلمة الامام الحسن ·

فقال معاوية لاصحابه : وانتم فذوقوا وبال ما قد جنيتم ، فقال له الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا الا كما ذقت ، ولا اجترا الا عليك ، فقال معاوية : الم اقل لكم انكم لن تنتصفوا من الرجل ، فهل أطعتمونى اول مرة ؟ او انتصرتم من الرجل اذ فضحكم ؟ والله ما قام حتى اظلم على البيت ، وهممت ان اسطوبه ، فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم ·

وسمع مروان بن الحكم بما لقى معاوية واصحابه المذكورون من الحسن ابن على رضى الله عنهما ، فأتاهم فوجدهم عند معاوية فى البيت ، فسألهم ما الذى بلغنى عن الحسن وزعله ؟ قالوا قد كان ذلك ، فقال لهم مروان : فهلا احضرتمونى ذلك ، فو الله لاسبنه ولاسبن اباه واهل البيت سبا تغنى

به الاماء والعبيد ، فقال معاوية والقوم لم يفتك شيء ، وهم يعلمون من مروان بذء لسان وفحش ، — فقال مروان : فارسـل اليه يا معاويـة ، فأرسل معاوية الى الحسن ، فلما جاءه الرسول ، قال له الحسن : ما يريد هذا الطاغية منى ؟ والله لئن اعاد الكلام لاوقرن مسامعه ، ما يبقى عليه عاره وشناره الى يوم القيامة ٠

ثم اقبل الحسن عليه السلام ، فلما ان جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التى تركهم عليها ، غير أن مروان قد حضر معهم ، فمشى الحسن حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص ، ثم قال الحسن : لمعاوية ، لم أرسلت الى ؟ فقال لست انا ارسلت اليك ، ولكن مروان هو الذى ارسل اليك فقال مروان : انت يا حسن السباب رجال قريش ! فقال : وما الذى أردت ؟ قال : والله لاسبنك واباك واهل بيتك ، سبا تغنى به الاماء والعبيد ، فقال الحسن : اما انت يا مروان ، فلست انا سببتك ولا سبب تاباك ، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن اباك واهل بيتك وما خرج من صلب ابيك الى يوم القيامة ، على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا مروان ما تنكر انت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ولابيك من قبلك ، وما زادك الله يا مروان بما خوفك الا طغيانا كبيرا صدق الله وصدق رسوله اذ يقول : والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا » وانت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة فى القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه السلام وقال : يا ابا محمد ما كنت فحاشا ، فنفض الحسن ثوبه وقام وخرج فتفرق القوم عن المجلس بغيظ وحزن وسواد الوجوه ٠ انتهى ٠

## بيت الامـام الحسـن ( ض )

يشتمل بيت الامام الحسن السبط رضى الله عنه على ما ياتى من الاولاد الذكور ، وهم : (1) الحسن المثنى امه خولة بنت منظور بن زيان ابن حيان الفزارى وامها مليكة بنت خارجة بنت سنان المرية ٠ (2) زيـد ، الشهير ، ولم نعثر على اسم امه ولعلها لم تكن حرة ، وزيد هذا هـو الذى يقول فيه الشاعـر :

وزيد ربيع الناس فى كل شتـوة ... اذا اختلفت انواؤهـا ورعودها

حمـول لانسان الديات كانـه ... سراج الرجا اذ قارنته سعودها



وفيه يقول قدامة احد بنى جمح :

فان يكن زيد عالت الارض شخصه ... فقد بان معروف هناك وجود »

و (3) حسين الاكرم ، وشقيقه الآتى امهما واحدة وهو فى الترتيب ٠ (4) المسمى عبد الله و (5) أبو بكر ، وشقيقتاه الآتيان وهما فى الترتيب ٠ (6) عبد الرحمن و (7) القاسم ، امهـم أم ولـد ، ولا بقيـة لهـم ٠ (8) طلحة امه ام اسحاق بنت طلحة بن عبد الله الانصارى ، وامها بنت قسامة الطائية (9) عمر امه ثقفية ، وهى ام عبد الله تزوجها على بن الحسين الملقب زين العابدين ، ويقال أم ولد ٠ وزاد ابن حزم فى جمهرته : محمدا ، وجعفرا ، وحمزة ، وعليه فهم اثنا عشر ذكرا ومن الحسـن وزيد رضى الله عنهما العقب الكثير ، والبيت العامر ، والعدد الوافر ، وأما عبد الله والقاسم وأبو بكر فانهم ماتوا فى معركة الحسين بكر بلاء ، ولهم اخوة بنات لا حاجة لذكرهن ٠ وكان الحسن المثنى وصى ابيه ، وولى صدق على على بن الحسين زين العابدين ، وكانا يعاصران من الامويين ( عبد الملك بن مروان ) ولذلك سال الحجاج بن يوسف الثقفى لما كـان عاملا على المدينة عمه عمر بن على بن ابى طالب ، فى الوصية فأبى ، ولما الح عليه فى ذلك ، ذهب الى دمشق ودخل على الخليفة عبد الملك بـن مروان ، فرحب به ، وكان الامام الحسن المثنى قد اسرع اليه الشيب ، فقال له عبد الملك : لقد اسرع اليك الشيب فقال كاتبه يحيى بن الحكم شيبته امانى العراق الذين يقدمون عليه كل عام يمنونه الخلافة ، فقال له : ليس كما قلت ! اننا اهل البيت يسرع الينا الشيب ، فسأله عمـا قدم له ، فأخبره بما سأله الحجاج ، فكتب له أن يمسك عنه ووصله ، ثم لقى يحيى بن الحكم ، فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ قال : النظر لك ، والله لولا خوفه منك ما قضى حاجتك ، وكان الحسن هو الـذى ياخذ عطايا اهل البيت ويوزعها عليهم ٠ وسيأتى الكلام على بيته بعد الكلام على الجناح الاول الحسينى من أعقاب السبطين رضى الله عنهما ٠

## حادثـة قتـل الامـام الحسـن

كان سبب وفاة الامام الحسن ما كان يخشاه يزيد بن معاوية من رجوع الامر الى الحسن بعد موت ابيه معاوية ، وكانت المعاهدة المتقدمة كفيلة برجوع الامر اليه ، وقد كان فى علمه ان عليها طابع معاوية الخليفة وامضاءه وكل ذلك كان تحت يد الامام الحسن حسبما أبرم بين الطرفين

عند عقد الصلح ، وكان يزيد لا يتمتع بسمعة طيبة فى الاوساط الشعبية ، عكس الامر الذى عليه خصمه الامام الحسن · ومن اجل ذلك دس يزيد لبعض زوجات الامام الحسن ، وهى زوجه ، جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى ، وعاهدها ومناها انها ان فعلت وقتلت الامام الحسن انه يتزوجها، وبذل لها مائة الف درهم فأطعمته سما فمرض ( 40 ) يوما وتوفى ، وبعد موته بعثت اليه تطلب منه الوفاء بما وعدها ، فقال لها : لم تصنعى الخير مع ابن رسول الله ومن هو خير منى فكيف تصنعينه معى ! وكان جزاء الخيانة والغدر ان باعت بالحرمان من كل ما منتها نفسها الماكرة بابـــن رســـول اللـــه ·

ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه الناس وقال : أيهـــا الحاضرون ، اسمعوا وانصتوا لما اقول لكم الآن : هذا الحسين اخى امام بعدى فلا امام غيره ، الا فليبلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، والحر العبد ، والذكر الانثى وهو خليفتى عليكم ، لا احد يخالفه منكم ، فمن خالفه فقد كفر ، نحن ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيدا شباب اهل الجنة ، فلعن الله من يتقدم ، او يقدم علينا احدا ، وانى ناص عليه كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امير المومنين على رضى الله عنه ، وكما نص ابى على ، وهو الخليفة بعدى من الله ورسوله ، ثم اوصيك يا اخى بأهلى وولدى خيرا ، واتبع ما اوصى به جدك عليه السلام ، وابوك وامك رضوان الله عليهما ، ثم التفت الى اخيه محمد بن الحنفية ، وقال له : يا محمد بن على ، اما علمت ان الحسين بن على بعد وفاة نفسى ، ومفارقة روحى جسمى ، امام من بعدى ، وعند الله فى الكتاب الماضى وراثة النبى اصابها فى وراثة ابيه وامه ، علم الله انكم خير خلقه ، فاصطفى منكم جدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، واختار محمد عليا ، واختارنى على للامامة واخترت انا اخى الحسين لها ، ثم قال له : يا اخى ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت السم ، ولم اسقه مثل مرتى هذه ، وانا ميت من يومى وجهد به اخوه يخبره بمن سقاه السم ، فلم يخبره بمن سقاه ، وقال له : الله اشد نقمة ان كان الذى اظن ، والا فلا يقتل بى والله برىء ، وفى رواية اخرى : يا اخى قد حضرت وفاتى ، ودنا فراقى لك ، وانى لاحق بربى واجد كبدى تتقطع ، وانى لعارف من اين دهيت ، فأنا اخاصمك الى الله تعالى ، فبحقى عليك لا تكلمت فى ذلك بشىء ، فاذا انا قضيت نحبى فغسلنى وقمصنى ، وكفنى ، واحملنى على سريرى الى قبر جدى



رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجدد به العهد ثم ردنى الى قبر جدتى فاطمة بنت اسد ، وفى رواية ثم اصرفنى الى امى فاطمة ، ثم ردنى وادفنى بالبقيع هناك ، واقسم عليك بالله أن لا تريق فى أمرى بجة دم · وفى رواية ابن عبد البر ، انى يا اخى : سقيت السم ثلاث مرات ، لم اسقه مثل هذه المرة ، فقال : من سقاك ؟ قال : ما سؤالك عن هذا ؟ تريد ان تقاتلهم ؟ اكل أمرهم الى الله · وفى رواية أخرى ، لقد سقيت السم مرارا ، ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت طائفة من كبدى ، فرايتنى اقلبها بعود ، فقال له الحسين : اى اخى من سقاك ؟ قال : وما تريد اليه ؟ تريد ان تقتله ؟ قال : نعم · قال لئن كان الذى اظن فالله اشد نقمة ، وان كان غيره فلا يقتلن بى برىء ، وراى فى منامه كأنه مكتوب بين عينيه قل هو الله أحد · فاستبشر به هو واهل بيته ، فقصوها على ابن المسيب فقال : ان صدقت رؤياه فقل ما يبقى من اجله ثم قال فى آخر وصاياه : حفظكم الله . استودعكـم الله ــ خيـر خليفـة مـن بعدى عليكم ، وكفـى به خليفة ، وانى منصرف عنكم ، ولاحق بجدى وابى وامى واعمامى ، ثم قال : عليكم السلام ياملائكة ربى ورحمة الله تعالى وبركاته · فلفظ آخر انفاسه من الدنيا · وفى رواية وصلى عليه سعيد بن العاص ، لانه كان واليا على المدينة من قبل معاوية ، ودفن عند جدته فاطمة بنت أسد بالبقيع، ولا قبة اليوم به ، توفى سنة ( 46 ) قمرية من الهجرة · والاصح ان عمره ( 47 ) سنة ، عاش منها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ( 8 ) اعوام ، وعاش مع أبيه على ( 38 ) وستة أشهر ، وستة اخرى خليفة بعد ابيه رضى الله عنهما وحاصله : انه عاش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ( 8 ) سنوات وفى حياة ابيه على رضى الله عنه ( 29 ) سنة ، وفى حياة معاوية رضى الله عنه ( 10 ) سنين ، فسنه رضى الله عنه يتراوح بين ( 47 ) أو ( 48 ) ســنـة ·

اقول : لو قدر الله وجود الامام الحسن فى احدى دولة مـن دول العالم ، لعدوه من كبار الساسة ولعظموه ولاكرموه ، ولكتبوا تاريخه بماء الذهب ، نظرا لما ضحى به من حقه الذى كان بيده فى سبيل المصلحـة العامة وجمع كلمة المسلمين ، حتى سمى العام عام الجماعة وقد كـان فى وسعه ان يغامر ويخاطر بحياة الكثير من المسلمين ، اما الى قمة النصر والسعادة الدنيوية ، واما الى اسفل الثرى والاستراحة من الحياة المريرة تحت رحمة من كان يراهم من الاوباش ، وليسوا بأهل لتقليد منصب خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذا عساه أن يلحقه من مكر علـى

ايديهم بسبب تنازله عن حق كان بيده لاصلاح ذات البين بين جماعة المسلمين ولكنه رضى الله عنه آثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة وتحمل ما قد تحمله ، فتنازل عن حقه لله ورسوله امتثالا وتحقيقا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغاء رضوان الله ، ورضى لان يكون سيدا لشباب أهل الجنة فى الجنة . وفى سبيل ذلك قد تحمل محتسبا من اهانات قومه ما تدك له الجبال الشوامخ ، وما كاد ينزل عن منبر الخطابة بعد التنازل والبيعة لمعاوية حتى تلقاه من كانوا على غير رأيه بألفاظ لا يستطيع تحملها من كان له ادنى شرف فى قومه ، كمثل : السلام عليك يامذل المومنين، وهو يجيب تارة ، كرهت أن اقتلكم على الملك وكمثل السلام عليك يا عـار المومنين ، فيجيب : العار خير من النار . هذا بالاضافة الى اهانة بنود المعاهدة ووقوع الخفر فى الكثير منها . وما لحق ذلك من الانتقام الشنيع باهله وشيعته ، وكل ذلك قد تحمله وعاشه حياته هذا السياسى العظيم ، ولو قدر مسلمو عصره فمن بعدهم موقفه حق قدره لاقاموا له ذكريات فى محافل السياسيين فى مختلف انحاء الدنيا ، افتخارا بالسياسيين الروحيين فى الاسلام الخاضعين لمشيئة الدولة فى سبيل النفع العام ، ولكان ذلك قليلا فى حقه ، ولكنه تخليدا لمجد السياسيين الروحيين فى الاسلام ، وليس من الغريب تاريخا قتل هذه الروح من طرف اعداء الاسلام فى مثل الامام الحسن الكنز الصامت ، وقد دلت التجارب على أن الطنين لا يكون الا للطبل ولكل شىء أجوف ، لا للكنز الصامت ، وذلك الصمت سنة موروثة فى اهل البيت الكرام رضوان الله عليهم .

فالسياسة عند فلاسفة اليونان : سقراط وتلميذيه افلاطون وارسطو هى ترويض النفس ترويضا يجعل الفرد اقدر على النفع فى معالجة الشؤون العامة ، واشترط فى رجل السياسة سمو الاخلاق والاقدام على التضحية فى سبيل النفع العام ، والخضوع الصادق لمشيئة الدولة . اقول واقـول صادقا لم توجد هذه الصفات فى احد من ساسة العالم عبر تاريخ البشرية ، لا فى القديم ولا فى الحديث من عصر افلاطون الى الآن وما بعد الان ، وقد كان الامام الحسن مثالا فذا لها ، ولو لم يكن الامام الحسن مثالا لهـا لبقى كلام الفلاسفة حبرا على ورق مجردا عن المعنى والمفهوم ، اذ مفهوم السياسة عند حكماء البشر لم يجد له محلا الا فى هذا العصر الاسلامى ، وفى شخص الامام الحسن على الخصوص ، لان واقع ساسة العالم يشهد عليهم انهم كلهم أعرضوا وتباعدوا عن هذا النوع من السياسة لانه لا يخدم اغراضهم ومصالحهم الخاصة . واخذوا بسياسة حكم الضب بين الثعلب



والارنب لما تحاكما اليه فى جحره الا وهى قوله لهما : « كل لنفسه بغـى الخير » ثم قال الارنب احكم بيننا قال فقد حكمت . لما انطوى عليه هذا النوع الاخير من الاستبداد السياسى الكفيل بتقديم المصلحة الخاصة ، لانه حكم ضب أصدره من داخل جحره لما فيه من المساواة بين الظالم والمظلوم ولذلك لقى القبول ورحب به كل ساسة العالم ، وتبـارزوا فيـه فتجلت الاسبقية لمن كان بارعا فى حبك الحيل عن طريق المكر والخداع ، والعمل على التفنن المتفوق فى ذلك فأصبحت البشرية منذ العهد القديم خاضعة لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وصار الحق الى جانب القوى ، والباطل الى جانب الضعيف ومن ثم قيل « ويل للضعيف » لانه أصبح كبشا سمينا بين يدى القوى . ومن اجل هدم هذا الشر واعطاء البشرية سعادتها جاء الدين الاسلامى فأسس معالم الحق عن طريق التشريع السماوى وعرف البشرية حقها وسعادتها ، واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تطبيق ما تلقاه عن ربه حياته ، وتبعه على ذلك رجال الحق والعدل الذين اجمعت الامة على فضلهم فأدوا الامانة كما يجب ، وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين كان آخرهم الامام الحسن ، فمرت بالاسلام هزات عنيفة كادت تأتى على كيانه لولا تنازل الامام الحسن ، فتسلم زعامة الامة الاسلامية أولائك الذين رجعوا به الى سياسة المكر والخداع ، وتقديم تشريع الغاب على التشريع السماوى الذى جاء لمساواة البشر فى سياسة العدل ، وسعادة الحياة ، فوضعوه بجانبهم كرصيد تاريخى للعلم والعرفان ، وتقدموا فى تطبيق شريعة الغاب وراء هواهم ، كأن هذه البشرية لا تصلح الا لتشريع الغاب وسياسة الثعلب ، وحجتهم فى ذلك ان العالم كله على هذا : والله من ورائهم محيط » وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وكان اختيار معاوية لسياسة المكر والخداع فى محاربة على وابنه الحسن لعلمه بأنهما لا يشاركانه فى ذلك ، وكان على رضى الله عنه على علم بما هو عليه خصمه معاوية ، ولذلك قال لهم يوم صفين لما رفعت المصاحف على الرماح انها مكيدة ، غير أن قواد الجند لم يطاوعوه على متابعة الحرب ، وكان تطبيق التشريع السماوى اكبر عائق فى وجه الامام على من الخروج الى سياسة المكر والخداع الذى كان يعلمه على خصمه ، وهو الذى كان يمنعه من أن يكون أدهى سواس العالم ، لانه كان فى أحواله السياسية يرى انه كلما اشتدت الحال الى ارتكاب مالا يحل من هذه السياسة الماكرة لربح المعركة كان يقول رضى الله عنه : الكلمة المأثورة عنه ، وهى : « لولا التقى لكنت أدهى العرب » ويوخذ من هذه الكلمة أن تقوى الله والخوف منه على حقوق

عباده ، هو الذى كان يحول بينه وبين أن يكون داهيا من دهاة العرب ، وبموته وموت ابنه الحسن رضى الله عنهما سدت الباب على هذا النوع من السياسة الدينية السقراطية فى ذلك العهد ، ومن ثم لم يعمل بها احد الى اليوم وما بعد اليوم · لا بين المسلمين ولا بين غيرهم ، لانهم ذهبوا بالاجماع الى استحسان الدهاء فى اسلوب الحيل عن طريق الغدر والمكر والخداع ودابوا على العمل به ولم يلتفتوا الى سواه ، معتمدين فى ذلك على رأى واحد ، وهو قولهم : « الغاية تبرر الوسيلة » ·

وقد كان تنازل الامام الحسن فاتحة خير على الاسلام والمسلمين فى اجتماع كلمتهم على معاوية ، رضى الله عنه وتوحيد قوتهم ، وبذلك رجعت للاسلام قوته ومجده ، فرأى الخليفة أن لا مناص من استخدام هذه القوة فى افتتاح الاقطار المجاورة وغيرها ، ثم شرع فى تنظيم تلك القوى وبعثها ففتحت البلدان شرقا وغربا وشمالا ، وسرعان ما اكتسح الاسلام ما يقرب من نصف القارة الاسيوية ، ثم كانت نهاية الدولة الاموية سنة ( 131 ) هجرية ، فجاء بعدها دور الدولة العباسية وكان ابتداؤها سنة ( 132 ) هجرية ، وبعد ان مركزت نفسها واخذت مكانتها ووحدت كلمتها شرعت فى تنظيم الجيوش وتوجيهها فى افتتاح البلاد شرقا وغربا وسرعان ما استولت على ما يقرب من نصف الكرة الارضية ، من آخر نقطة فى بلاد ما وراء نهر جيحون ، واذربجان ، وتركيا واربا وافريقيا الى ما وراء نهر السند الى جزر اندنيسيا والفلبين والصين ، كل ذلك فى مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان ، ولم يكن الفتح الاسلامى فى ذلك كله معتمدا على قوة السلاح والقهر والغلبة ، وانما كان معتمدا على توحيد البشر باسلوب الاقتناع تحت راية القرآن الكريم ، ليعيش كل البشر على التساوى فى طاعة الله وعدالة القرآن ، بدلا من ظلم الانسان لاخيه وطاعة الشيطان ، وتلك هى غاية تنازل الامام الحسن رضى الله عنه وصبره وحنكته السياسية ، وتبصره الحكيم ، حيث فاز بان صدق عليه تعريف السياسة لاعظم فيلسوف عرفه الشرق والغرب والعرب والعجم ، « سقراط » الذى يقرأ العالم اليوم كتبه على وجه الاستطلاع ، ومعرفة ما كان عليه القوم فى حياتهم ·

## مصير الحسين بعد أخيه الحسن

لبث الامام الحسين رضى الله عنه وصيا واماما لاهل البيت مدة عشر سنوات فى خلافة معاوية رضى الله عنه الا ان يزيد لم يكن مرتاح



البال من جهته بسبب التأييد الذى يلقاه من طرف شيعته وشيعة اخيه وابيه ، الا أن أباه معاوية وضع له تصميما قبل موته ، وقد تجلى فى وصية أوصاه بها ، وهذا نصها : لست اخاف أن ينازعك فى هذا الامر الا اربعة من قريش : (1) الحسين بن على ، وهو رجل خفيف ، ولن يتركه اهل العراق حتى يخرجوه ، فان خرج وظفرت به فاصفح عنه ، فان له رحما ماسة ، وحقا عظيما ، وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم · و (2) عبد الرحمن بن ابى بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثله ليس له همة الا فى النساء واللهو · و (3) عبد الله بن عمر فانه وقذته العبادة ، فاذا لم يبق أحد غيره بايعك · و (4) عبد الله بن الزبير وهو الذى سيجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك هو ابن الزبير ، فان هو فعلها وظفرت به ، فاقطعه اربا اربا · واحقن دماء قومك ما استطعت ، وبهذا نص على هؤلاء المخالفين الذين خاف منهم الخروج على ابنه يزيد ، وقد كان ذلك كله كما أوصى به رضى الله عنه والامر يومئذ لله ·

## نهاية الامام الحسين

كانت حادثة قتله من معجزاته صلى الله عليه وسلم اذ اخبر بها قبل وقوعها وهى من قبيل الاخبار عن المغيبات التى اطلعه الله عليها ، لقوله تعالى : فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول » ولا ريب ان الله تعالى ارتضاه واطلعه على ما شاء من غيبه ، والممنوع عليه هو أن يطلع على الغيب من غير اطلاع الله له عليه · كما اخبر عن قتل ابيه واخيه ، وكان هو رضى الله عنه تبعا لهما ، فان كل واحد من هؤلاء الائمة الثلاث كان عالما بمقتله عن النبى صلى الله عليه وسلم : وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وقد نفذ ذلك كله على مرأى ومسمع ممن كان يعلم منهم ذلك : من ذلك ما اخرجه البغوى فى معجمه من حديث أنس : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : استاذن ملك القطر ربه أن يزورنى فاذن له ، وكان فى يوم ام سلمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة ، احفظى علينا الباب لا يدخل احد ، فبينما هى على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ، أى يقبله ، فقال له الملك : اتحبه ؟ قال : نعم قال : ان امتك ستقتله ، وان شئت أريك المكان الذى يقتل به ، فاراه ، فجاء بسهلة — بكسر السين — رمل خشن ، أو تراب احمر

فأخذته أم سلمة فجعلته فى ثوبها ، قال ثابت : كنا نقول : انها كربلاء . وروى أن الملك جبريل ، وزاد فيها انه صلى الله عليه وسلم شمها وقال : ريح كرب وبلاء . وفى رواية اخرى لابن احمد فى زيادة المسند ، قالت ثم ناولنى كفا من تراب احمر ، وقال : ان هذا من تربة الارض التى يقتل بها ، فمتى صار دما فاعلمى انه قد قتل ، وقالت أم سلمة : فوضعته فى قارورة ، وكنت اقول : ان يوم يتحول دما ليوم عظيم . وفى رواية عنها فأصبته يـوم قتل الحسين وقد صار دما . وفى رواية اخرى ، ثم قال : اى جبريل : الا أريك تربة مقتله ؟ فجاء بحصيات ، فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قارورة ، قالت أم سلمة : فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائـلا يقـول :

| | |
|---|---|
| ايهـا القـاتلـون حسينـا | ابشروا بالعـذاب والتـذليـل |
| قد لعنتم على لسان ابـن داو | د ومـوسى وحامـل الانجيـل |

قالت فبكيت وفتحت القارورة ، فاذا الحصيات جرت دما . اه

وفى رواية اخرى ان عليا رضى الله عنه مر بكر بلاء فى مسيـره الى صفين وحاذى نينوى ، قرية الرجل الصالح يونس بن متـى ، على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الارض ، فقيل كربلاء فبكى ، ثم قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك يا رسول الله قال : كان عندى جبريل آنفا واخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطىء الفرات ، بموضع يقال له : كربلاء ، ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى اياه فلم املك عينى أن فاضتا . ورواه الامام احمد مختصرا عن على قا ل: دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث . وروى غيره ان عليا مر بمشهد الحسين فقال : ها هنا مناخ ركابهم ، وها هنا موضع رحالهم ، وها هنا مهراق دمائهم ، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة ، تبكى عليهم السماء والارض . وهناك روايات اخرى فلسنا فى حاجة الى استقصائها وكان سبب موته رضى الله عنه انه لما مات معاوية فى فاتح رجب سنة ( 60 ) هجرية وقد كان قبل موته اخذ البيعة لابنه يزيد ، بطريق القهر والجبروت ، أمر بجمع عام حضره كبار الصحابة ، فجاء مما قال فيه معاوية : أيها الملا المجتمعون للبيعة انى احببت أن أتقدم اليكم ، وانه قد أعذر من انذر * انى كنت اخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبنى على رئوس الناس فأحمل ذلك فأصفح ، فانى قائم بمقالة ، فأقسم بالله لئن رد على احد منكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتـى



يسبقها السيف الى راسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال اقم على راس كل رجل من هؤلاء رجلين ، مع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على كلمـة بتصديـق او تكذيب فليضرباه بسيفيهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ولا يبتز أمر دونهم ، ولا يفضى الا عن مشورتهم ، وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله ، فبايع الناس ، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر . ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة ثم منها الى الشام ، وهكذا نقض العهد معاوية الذى كان بينه وبين الامام الحسن ، وعليه طابع الخلافة وامضاؤه ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر فى وجه معاوية ، قد جعلتها هرقلية يموت هرقل ويخلفه هرقل آخر . وتخلف عن البيعة من كبار الصحابة عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين بن على ، وكل هؤلاء فى المدينة المنورة . وبعد أن تولى يزيد شؤون الخلافة بعث الى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبـى سفيان كتابا يقول له فيه ، أما بعد : فخذ حسينا ، وعبد الله بن عمـر وعبد الله بن الزبير اخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

فأرسل الى الحسين فجاءه ، فلما أخبره بموت معاوية ، وعرض عليه البيعة ليزيد ، ترحم على معاوية وقال له ان مثلى لا يبايع سرا ، ولا يجتزا منى بها سرا ، فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم الى البيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحدا ، فقال له الوليد وكان يفضل العافية انصرف أما ابن الزبير ففر الى مكة ، وظل يتنسك بها ، وقال انى لائذ بالبيت أما ابن عمر وابن عباس فبايعا لما بايع الناس ، وتبعهم محمد بن الحنفية وأما الحسين فخرج بمن معه من أهله واخوانه وأبناء عمه ممن كانوا على رأيه ، وقصد مكة ، فكان أهلها يختلفون اليه ، وكذلك من بها من المعتمرين واهل الآفاق ، فكان الحسين بها أثقل خلق الله على ابن الزبير لانه كان يريدها لنفسه ، وكان أهل الكوفة يكرهون يزيد ، واجتمعت الشيعة الى منزل كبيرهم ، سليمان بن صرد الخزاعى ، واتفقوا أن يكتبـوا الى الحسين يستقدمونه ليبايعوه فكتبوا اليه نحوا من ( 150 ) رسالة ولما راى كثرة الصحف عنده كتب اليهم ، أما بعد : فقد فهمت كل الذى اقتصصتم ، وقد بعثت اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل ، وأمرته ، أن يكتب الى بحالكم وأمركم ورأيكم ، فان كتب الى انه قد اجتمع رأى

ملاكم وذوى الحجا منكم على مثل ما قدمت به رسلكم اقدم اليكم وشيكا ان شاء الله ، فلعمرى ما الامام الا العامل بكتاب الله والقائم بالقسط ، والدائن بدين الحق والسلام · ثم وجه اليها مبعوثه مسلم بن عقيل ، فأحدث توجهه الى الكوفة ضجة كبرى فى الدوائر الحكومية بالكوفة وكان عاملها الصحابى الجليل النعمان بن بشير رضى الله عنه ، وكان يفضل العافية ، فصعد المنبر وقال : اما بعد : فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فانها فيها تهلك الرجال ، وتسفك الدماء ، وتغصب الاموال ، ثم قال : انى لا أقاتل الا من يقاتلنى ، ولا اثب على من لا يثب على ، ولا انبه نائمكم ، ولا أتحرش بكم ، ولا آخذ بالقرن ، ولا بالظنة والتهمة ، ولكنكم ان أبديتم صفحتكم ، ونكثتم بيعتكم ، وخالفتم امامكم ، فو الله الذى لا الاه الا هو لاضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ، ولم يكن منكم ناصر ولا معين · فكتبوا ليزيد بورع النعمان ، فعزله عن الكوفة وضمها الى البصرة وجعلها تحت ولاية عبيد الله بن زياد بن أبيه المعروف بابن سمية ، فلما سمع مسلم بن عقيل بابن زياد استجار بابن هانىء المرادى فصارت الشيعة تجتمع اليه هنالك ، فبعث اليه ابن زياد واستقدمه فلما قدم عليه قال له : وما ذاك ؟ قال له ابن زياد : جئت بمسلم فأدخلته دارك وجمعت اليه السلاح والرجال ، وظننت ان ذلك يخفى علينا ، وطلب اليه أن يسلمه مسلم بن عقيل ، فامتنع ، خوف السبة والعار ، فأمر به فضرب وسجن فى القصر ، ولما علم بذلك مسلم نادى فى أصحابه بشعارهم « يا مصور » وقد كان بايعه ثمانية عشر الفا وحوله اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثيرون فعبأهم وذهب بهم الى القصر ، فأحاط به وامتلا السوق والمسجد من الناس ، ولم يكن مع ابن زياد الا ثلاثون رجلا من الشرطة ، وعشرون من الاشراف · فبعث ابن زياد كثير بن شهاب الحارثى وأمره أن يخرج فى جماعة من أصحابه ويخذل الناس ، وبعث محمد بن الاشعث بمثل ذلك ، ويرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ، وأمر بمثل ذلك غيرهم من الاشراف ، فجعلوا يخذلون الناس ، فمنعوا أهل الطاعة وخوفوا أهل المعصية ، فشرع أصحاب مسلم بن عقيل يتفرقون حتى لم يبق معه فى المسجد الا ثلاثون رجلا ، فاختفى ، فأرسل اليـه محمد بن الاشعث فجاء به فقتله ابن زياد ، وقتل صاحبه هانىء بن عروة المـرادى ·





ولكن هل يغنى حذر من قدر ؟ لا ننسى ان أول من نصح الحسين اخوه الامام الحسن فى مرض موته ، اذ قال له : ان أباك قد استشوف لهذا الامر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، ثم استشوف لها ، وصرفت عنه الى عمر ، ثم لم يشك فى وقت الشورى انها لا تعدوه فصرفت عنه الى عثمان ، فلما قتل عثمان بويع بها ، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له ، وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوءة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك ؟ ·

والثانى عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال له : بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك ! أن تاتى بلدا فيه عماله ، وأمراؤه ، ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدرهم والدينار ، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن انت أحب اليه ممن يقاتلك معه ، فجزاه الحسين خيرا ·

والثالث حبر الامة وعالمها عبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما · قال له : قد أرجف الناس انك تريد العراق فخبرنى ما أنت صانع ؟ فقال : قد اجمعت اى عزمت المسير فى أحد يومى هذين ، فقال له أعيذك بالله من ذلك ، خبرنى رحمك الله ، اتسير الى قوم قتلوا أميرهم ؟ وضبطوا بلادهم ؟ ونفوا عدوهم ؟ فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبى البلاد ، فانما دعوك الى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلـوك ويستنفروا اليك ، فيكونوا أشد الناس عليك · فقال الحسين : انى أستخير الله وانظر ما يكون ، ثم جاء بن عباس فى ثانيته فقال : يا ابن العم انـى اتصبر ولا أصبر ، انى اتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، ان أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم أقم بهذا البلد ، فانك سيد أهل الحجاز ، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم ، فلينفوا عاملهم ، ويقتلوا عدوهم ، ثم اقدم عليهم فان أبيت الا أن تخرج فسر الى اليمن ، فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ، ولابيك بهـا شيعة ، وانت عن الناس فى عزلة ، فتكتب الى الناس وترسل ، وتبث دعاتك ، فانى أرجو أن ياتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية ثم قال له : فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ، فلم يفد كلامه شيئا ·

## آخـر مشهـد الحسـين ( رض )

بعد ما قضى الامام الحسين مناسك حجه سنة ( 60 ) من الهجرة ، واتصل بأهل العراق ، والحجاج من اهل الآفاق ، وكان جميع المسلمين فى هذا العهد يجلون النفوذ الروحى ، ولم يروه كامل الخلال الا فى بيت النبوة وكانت مكانة الحسين رضى الله عنه من بيت النبوة هى ما قد علمت من انه ابن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ولهذا كان الحسين يرى انه احق من غيره بهذا الامر ، اضف الى هذا ان النفوس الابية تأبى أن يتودها من هو ادون منها ، ومن اجل هذا وذاك ان الحسين رضى الله عنه كـان ينظر الى حياته كأنه بين نارين ، نار هى الحياة الذليلة ، وذاك مالا يرضاه من كان من بيت النبوة مثل الحسين ، ونار هى حتمية الموت على كل أحد فى هذه الحياة ، وقد فضل الامام الحسين رضى الله عنه الجانب الاخير على حياة الذل والخنوع للمكر السافر ، لمن يعتبره ليس بكفء كيزيد وكل ضحايا البيت النبوى العلوى صارت على هذا المنوال عبر عصور التاريخ .

## خوض المعركـة الشرقيـة الحاسمـة

ومن اجل ذلك عقد الامام الحسين العزم الفولاذى على الخـروج المحفوف بالمخاطر رغم نصح الناصحين ، فخرج بأهل بيته ومن معه من فرسان اهل بيته وانصاره لخوض المعركة الفاصلة بينه وبين اعدائه ، ولا عليه فيما وراء ذلك وبينما هو فى بعض طريقه الى العراق اذ لقيـه الفرزدق الشاعر محب آل البيت فسأله الامام الحسين عن خبر الناس ؟ فقال له : قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية ، والقضاء ينزل مـن السماء ، والله يفعل ما يشاء ثم تابع السير بأهله وشيعته ، ثم وافاه كتاب من امير المدينة فيه الامان ، يطلبه الرجوع ، مع كتاب لابن عمه عبد الله ابن جعفر قسم له فيه بالله ويناشده الرجوع ، فأبى الا أن يتابع السير ، ثم لقيه عبد الله بن مطيع فسأله ؟ ولما تيقن منه العزم على المضى ، قال له : اذكرك الله يا ابن رسول الله ، وحرمة الاسلام ان تنتهك ، انشدك الله فى حرمة العرب ، فو الله لئن طلبت ما فى أيدى بنى امية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون احدا بعدك ، والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش، وحرمة العرب فلا تفعل ولا تاتى الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبنى امية ، فأبى الا ان يتابع السير ، ولما كان بموضع يدعى الثعلبية جاءه خبر مقتل



طليعته الى العراق ابن عمه مسلم بن عقيل ، ثم قال له بعض شيعته : ننشدك الله الا ما رجعت من مكانك ، فانه ليس لك بالكوفة شيعة ولا ناصر ، بل نتخوف أن يكونوا عليك ، كل هذا والامام الحسين رضى الله عنه مصمم العزم على خوض المعركة بمن معه من أبطال قومه وشيعته ، انها المعركة التى يرى فيها نهايته ، ثم جعل يخرج عنه من دخله الرعب من شيعته لما تحققوه من خسارة موقفهم معه ، ولم يبق معه الا بعض أنصار شيعته وأبناء عمه ، ثم لما دنا من ارض المعركة جعل يفكر فى الرجوع ، فلما علم بذلك بنو عقيل ، اخوة مسلم الطليعة الهالك ، وثبوا عليه وقالوا له : والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا ، أو نتذوق ما ذاق مسلم ، فسار حتى نزل « بطن العقبة » على ثلاث من القادسية ، وهناك تقدم اليه رجل ، وهو ابن يزيد التميمى من العرب فقال له : انشدك الله الا ما انصرفت ، فو الله ما انت قادم الا على الاسنة وحد السيوف ، ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مئونة القتال ، ووطنوا لك الاشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأيا ، فاما على هذه الحال التى تذكر فلا أرى أن تفعل . ولما انصرف عن « شراف » اسم موضع لقيته فيه خيل ابن زياد لم يكن معهم أمر بقتاله ، وعددهم الف فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد التميمى ، فقال لهم الحسين : أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم ، انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكـم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى . فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى اقبلنا منه ، فلم يجيبوه على شىء من ذلك ، ! ثم قال له الحر : انا أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد — المتعطش لدماء أهل البيت — فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ، ثم امر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك ، فقال الحسين ثكلتك أمك ما تريد ؟ فقال : أما والله لو غيرك من العرب قالها ما تركت ذكر أمه بالثكلى كائنا من كان ، ولكنى والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن مما نقدر عليه .

ثم صار الحر يراقبه حتى لا يتمكن من الانصراف ، فترك الحسين فى اتجاهه شمالا الى أن وصل « نينوى » وهناك قدم عليهم جيش القتـال المبعوث من طرف عبيد الله بن زياد بن سمية المعروف هو وأبوه بالتعطش لدماء أهل البيت ، وعلى رأسه عمر بن سعد بن أبى وقاص عدده ( 19 ) الفا فلما قدم أرسل الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به ؟ فقال الحسين

كتب الى اهل مصركم هذا أن أقدم عليهم ، فاما اذا كرهونى فانى أنصرف عنهم ، فكتب عمر الى ابن زياد بذلك ، فأجابه قائلا : الآن اذ عرضت مخالبنا به يرجو النجاة ، ولات حين مناص ! . وكتب له أن يعرض البيعة على الحسين ، فاذا قبل ذاك رأينا رأينا فيه ، وأن يمنعه هو ومن معه الماء وعرضوا عليه أن ينزل على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى ، فنظر الى من معه من المقاتلين ، فلم يبق معه الا ( 81 ) رجلا ، فنشب القتال بين الفريقين ، وجعل الامام الحسين ينشد ويقول :

أنا ابن على الحبر من آل هاشم ... كفانى بهذا مفخرا حين أفخر
وجدى رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله فى الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد ... وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

فالتحمت المعركة بين الفريقين ، وصارت القتلى تسقط من الجانبين فجعل الابطال من شرذمة الحسين يصرعون الاقران عن اليمين والشمال فحال جيش زياد بينهم وبين الماء ، ولما طلب الحسين الماء وجده قد حالوا بينه وبينه ، فكر على الماء فضربه رجل منهم بسهم فأصابه فى حنكه فقال : اللهم اظمئه . ولما بلغت القتلى ( 50 ) رجلا من أصحابه صاح الحسين أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ خرج يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر أعداء الحسين راكبا فرسه ، وقال يا ابن رسول الله لان كنت أول من خرج عليك ، فأنا الآن من حزبك لعلى أنال بذلك شفاعة جدك ، ثم قاتل بين يديه حتى قتل ، ولما كاد القتال ياتى على جميع أصحابه ويبقى بمفرده حمل عليهم حملته الاخيرة فقتل كثيرا منهم ، ثم حمل عليه جمع كثير من أعدائه ، وكانت مكيدتهم الاخيرة أن حالوا بينه وبين الماء ، ومنعوا حريمه النساء والاطفال منه ، فصاح عليهم كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال ، فكفوهم ، ثم لم يزل رضى الله عنه يقاتل حتى قتل وبعد أن اثخنوه بالجراح وسقط على الارض ، طلع على صدره الشقى المسمى ( شمر ) بعد ما وطئه بحافر فرسه ، فقال له : رضى الله عنه لقد رقيت مرقى عظيما يارويعتى الغنم ، ، فحز رأسه ثم حملوها الى ابن زياد مع السبايا ، ولما أحصيت القتلى من الجانبين ، وجدوا الى جانب الحسين من أصحابه ( 72 ) قتيلا ، بقيت جثثهم بكربلاء طعمة للوحوش والسباع ، الا الحسين فان جثته دفنت بكربلاء ، وبقى قبره مزارة يتبرك بها الى زمن الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة ( 237 ) هجرية وأحصيت قتلى أعدائه فوجدت ( 88 ) تزيد على قتلاهم بستة



عشر قتيلا وقتل معه من بنى اخوته وبنى عمه وبنى أخيه الحسن من أولاد جعفر وعقيل نحو ( 19 ) قتيلا شابا ، وقيل : ( 21 ) .

قال الحسن البصرى رضى الله عنه ما كان على وجه الارض يومئذ لهم شبيه . وصادفت الوقعة اليوم (10) من المحرم وهو يوم عاشوراء من سنة ( 61 ) هجرية ، ومما يحمل على العجب ان هذا الجيش لم يكن فيه أحد من أهل الشام ، بل كان كله من أهل العراق ، الذين هم شيعة على وابنائه وبعد انتهاء المعركة حملوا رأس الامام الحسين وبعض رءوس أصحابه على الرماح الى ابن زياد ، ومعها النساء والصبيان من بنات الحسين واخوته وفيهم على بن الحسين الملقب زين العابدين صغير مريض ، ولما وضعت الرأس الشريفة بـ ين يدى ابن زياد ، جعلت فى طست ، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول : ـــ به فى أنفه ـــ ما رأيت مثل هذا حسنا ان كان لحسن الثغر . وفى صحيح البخارى ، حدثنا جرير عن محمد عن أنس ابن مالك رضى الله عنه اتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على عليهما السلام فجعل فى طست فجعل ينكث ، وقال فى حسنه شيئا ، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مخضوبا بالوسمة .

وروى ابن أبى الدنيا انه كان عنده زيد بن أرقم رضى الله عنه فقال له : ارفع تضيبك ، فو الله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل ما بين الشفتين . ثم جعل زيد رضى الله عنه يبكى ، فقال ابن زياد : ابكى الله عينيك ! لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك ، فنهض وهو يقول : أيها الناس ، أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وامرتم ابن مرجانة ، والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم ، فبعدا لمن رضى بالذلة والعار ، ثم قال يا ابن زياد لاحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى ، وحسينا على فخذه اليسرى ، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : اللهم انى استودعك اياهما وصالح المومنين . فكيف كانت وديعة النبى صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ؟ . ثم أمر ابن زياد بالرءوس والسبايا من بيت الحسين من النساء والاطفال بغير وطاء فى ذل وانكسار ، والرءوس على الرماح ، الى يزيد بن معاوية بدمشق . وورد لما دخلوا دمشق برأس الحسين ابن على عليهما السلام ، أخرجت زينب بنت الحسين رأسها من الخباء وهى ناشرة شعرها وواضعة يدها فى كمها على رأسها وهى

تبكـى وتقــول :

مـــاذا تقولون ان قال النبى لكم ... مـاذا فعلتم وانتم آخــر الامــم

بعترتى وباهلـــى بعـــد مفتقدى ... منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم ... ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

ولما وضعت الرءوس والسبايا بين يدى يزيد كان عنده انس بن مالك رضى الله عنه قيل : انه ترحم على الحسين ، وتنكر لابن زياد ، وارسل براسه وبقية بنيه الى المدينة وقال سبط ابن الجوزى وغيره : المشهور انه جمع اهل الشام ، وجعل ينكث الراس بالخيزران · وجمع بأنه اظهر الاول واخفى الثانى ، بقرينة انه بالغ فى رفعة ابن زياد حتى ادخله على نسائه ، قال ابن الجوزى : وليس العجب الا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب ، وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين فى الحبال ، والنساء مكشوفات الرءوس والوجوه ، وذكر اشياء من قبيح فعله · واصح الاقوال ان الراس الشريف وضع فى خزانة يزيد ، وروى ان سليمان بن عبد الملك راى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يلاطفه ويبشره فسأل الحسن البصرى عن ذلك ، فقال له : لعلك صنعت الى آله معروفا ، قال : نعم ، وجدت راس الحسين فى خزانة يزيد ، فكسوته خمسة اثواب ثم صليت عليه مع جماعة من اصحابى واقبرته ، فقال له الحسن ، ذلك هو سبب رضاه عنك · ثم امر للحسن المثنى الذى كان وصيا على اهل بيته من طرف ابيه الحسن السبط بجائزة سنية .

وبعد مرور سنين نقل الراس الشريف الى مصر واقبر فى مدينة القاهرة ثم بنى عليه مشهد عظيم ، وبداخله على الراس الشريف قبة من خشب مغلفة بالفضة الخالصة مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم بحروف مجسمة بارزة فاخرة من الذهب الخالص · تقدر قيمة ذلك بنحو ثمانية ملايين جنيه استرلينى ، بعثت بها الحكومة العراقية فى عهد الملك فيصل الى مصرفى عهد الملك فاروق تحت حراسة شديدة ، ثم صنعت بأيد تقنية صنعا محكما حتى جاءت فى شكل مروع ، ويحيط بذلك سياج من حديد يبعد عنه بنحو المتر حتى لا تصل اليه يد الساقطين من الزائرين ، ويوجد لدى الضريح المذكور حراسة مستمرة دائمة ، حدثنى به بعض الاخوان المصريين · وقد عير يهودى المسلمين عند ما راى فهلهم بالامام الحسين ، وقال لهم بينى وبين داود عليه السلام سبعون ابا وان اليهود تعظمنى وتحترمنى وانتم قتلتم ابن نبيكم بعدما نفضتم يدكم من تراب دفنه ·



واما مصير الجثة الشريفة التى تركت بين الجثث الشهيدة نهبا للطيور والسباع بكربلاء ، قيل : قد ذهب اليها بعض الشيعة ودفنوها هناك ، وبنو عليها بيتا والى جانب البيت مسجد للصلاة ، ودور للزائرين ، ومع مرور الايام صار الناس يقصدونها للتبرك بها من كل مكان ، ويقيمون حولها لقضاء حاجاتهم ، كما كانوا يقيمون ذكرى لصاحب الضريح تحت اسم مأساة كربلاء كل سنة الى زمن المتوكل سنة ( 237 ) هجرية ، ويعرف المتوكل ببغضه للبيت العلوى وآل على ، وكان عليهم اشد ممن مضى من اسلافه ، ويكره من اسلافه من كان يرى له عطفا على البيت العلوى · كالمامون ، والمعتصم ، والواثق وياخذ عليهم فى محبتهم لعلى وآل بيته . وكان ينادمه جماعة على ذلك فكانوا بطانة سوء عليه ، وكانوا يخيفونه اكثــر مــن البيت العلوى ويشيرون عليه ببغض آل البيت العلوى وابعادهم ، والاعــراض عنهم ، والاساءة اليهم ، ثم حسنوا له الوقيعة فى اسلافهم ، الذين يعتقد الناس علو منزلتهم فى الدين ، ومن آثار تلك الكراهة انهم حسنوا له هدم قبر الامام الحسين بكربلاء وبتره كلية ، حتى لا يصير الناس مجتمعين عليه ذاكريــن لتاريخه ، وقد اعطى اوامره لعامله على الكوفة بأن يمنع كل من اراد زيارته والاجتماع حوله ، فنادى صاحب الشرطة فى الاقليم والنواحى من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثناه للمطبق فهرب الناس خوفا على انفسهم مــن لقاء العقاب ، وفى السنة المذكورة بعث لهدم الضريح الشريف بكربلاء وهدم ما حوله من المسجد ومنازل الزوار ، وامره بسقى الارض وحرثها وزرعها ، فصارت أرض مزرعة ، ولم يبق اثر للحسين بالعراق الا من جانب احفاده رضى الله عنهم ، وكان امام الامامية فى عهد المتوكل « ابو الحسن علــى الهادى » بن محمد الجواد بن على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن أمير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنهم ، فسعوا به الى المتوكل فاستقدمه مــن المدينة الى سامرا معسكر جيشه ، ووضعه هناك تحت الاقامة الجبرية ( 20 ) ســنــة ·

## انتقام الله العاجل لاحبائــه وأوليائــه

وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رض ىالله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب · الحديث اى أعلمته انه محارب لى، ومن حارب الله اهلكه . اخى

المستبصر فى العواقب عافانا الله واياك من الوقوع فى معاداة أولياء الله تعالى ، فان السعيد من اتعظ بغيره ، قال تعالى : فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ولبعضهم : يغمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن انظر واعتبر فان لم يكن الحسن والحسين وابوهما أولياء الله ، فمن يكون وليا لله ؟ لانهم رضى الله عنهم تشرفوا على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بنزول القرآن فيهم ، وورود السنة المطهرة فى فضلهم ، فصار الايمان بفضلهم من جملة الايمان بالله ورسوله ، ولله تعالى غيرة على أوليائه ، لانه هو الذى يتولى رعايتهم ، ومحاربة من عاداهم · ومعاداتهم تكون ببغضهم وحسدهم ، وظلمهم واغضابهم ، والدس لهم بالقول والفعل ، وكل ما يؤذيهم من مثل هذه الاشياء واحرى قتالهم وقتلهم ، وكل من آذاهم بشىء من ذلك · فهو مؤذ لله ورسوله ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها ، ويغضبنى ما يغضبها · كما تقدم فى فضلها . واستثنى من ذلك الخصومة معه فى نحو حق خفى وجهه ·

وسياتى تعريف من هو الولى فى الكلام على الاولياء ، وقيل : كما تدين تدان والمرء مقتول بما قتل به ، وكن يقظا فيما سيعرض عليك من مصير أعداء الامام الحسين الذين خذلوا فحاق بهم الهلاك واحدا تلو الآخر ، وهو ما ستراه واقعا بأولائك المخذولين العتاة من أهل الشقاق والنفاق الذين انتهكوا حرمات الله بما أوتوه من قوة عز ، وسلطة بأس ، واستعملوا جميع ذلك فيما يغضب الله ورسوله ، مسوقين وراء شهواتهم الشيطانية غير مكترثين بما يوقعهم فى غضب الله ورسوله عليهم مستعجلين لانفسهم الجزاء من جنس العمل : وجزاء سيئة سيئة مثلها » لقد أثاروا غضب الله ورسوله عليهم بانتهاك حرمة الامام الحسين رضى الله عنه ، وبارتكابهم ما ارتكبوا أعماهم الله وشتت شملهم ، وخيب املهم وامانيهم وافسد رأيهم فأظلم امامهم طريق الرشاد وانقلبوا على انفسهم وحبب اليهم الانتقام ، وجعل بعضهم يقتل بعضا قبل أن يغسلوا أيديهم من دم الامام الحسين رضى الله عنه حتى هلكوا عن آخرهم فى وقت قليل وها انا ابين لك مصارعهم ، لتعلم أن وعد الله حق » وانه انتقام الله منهم بفساد رأيهم وجعل كيدهم فى نحرهم ، حتى هلكوا عن آخرهم ·

وكان أولهم هلاكا عدو الله الشقى المسمى — شمر — الذى طلع على صدر الامام الحسين واحتز راسه ، ولما وضع الراس الشريف بين يدى



الملعون عبيد الله بن زياد ، جعل ينشد ويقول بطرا أشرا :

املأ ركابى فضة وذهبا ... فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلى القبلتين فى الصبا ... وخيرهم اذ يذكرون النسبا
قتلت خير الناس أما وأبا

فأغضبت هذه الابيات ابن زياد ، وقال له : اذا علمت ذلك فلم قتلته ؟ والله لا نلت منى خيرا ، ولا لحقنك به ثم أمر به فى الحال فضرب عنقه ، بعد أن وطىء ظهره وصدره بحافر الخيل ، فكانت المجازات بالمثل القائل المرء مقتول بما قتل به ، وكما تدين تدان ، وهذه أمثال ضربت فى الجزاء من جنس العمل وكان قائد الجيش فى وقعة كربلاء ، المختار ابن أبى عبيد ودونه عمر بن سعد بن أبى وقاص ، عامل البصرة يومئذ ، ثم ثار المختار على ابن زياد ، وقتل عامل البصرة عمر بن سعد المذكور ، وهو الصريع الثانى ، وفر ابن زياد من بطش المختار الى الشام ، وشكر الناس المختار على ذلك ، ثم تنبأ المختار أخيرا عن خبث قبيح ، حتى زعم انه يوحى اليه ، وان محمد بن الحنفية هو المهدى المنتظر ، ويسمى المختار فى هذا العهد ، رجل الفتنة الكبير ، ثم تحركت فتنة أخرى يتودها رئيس الشيعة سليمان ابن صرد ، وكان من الذين تمالئوا على قتال الامام الحسين لكنهم ندموا على خذلانه ، وسموا انفسهم بالتوابين ، ورأوا انهم لا يخرجون من هذا الذنب حتى ياخذوا بثأر الامام الحسين فجمعوا الرجال والسلاح وخرجوا يطلبون بدم الامام الحسين ، وذلك بعد موت يزيد بن معاوية سنة ( 65 ) هجرية ، فالتقوا بجيش الشام يقوده عبيد الله بن زياد ، كان متوجها الى العراق ليخرجها من يد مصعب بن الزبير ، أخى عبد الله بن الزبير أمير مكة والحجاز يومئذ ، بموضع يعرف بعين وردة فكان بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها سليمان بن صرد ، الذى كان خرج تائبا ، وقتل معظم من كان معه ولم ينج منهم الا القليل ، وهذه هى الضحية الثالثة من أعداء الامام الحسين رضى الله عنه ، وكانوا ستة آلاف ، وكانت بلاد العراق منقسمة على نفسها بين ثلاث فرق ، فرقة خوارج ، وفرقة زبيرية ، وهم الذين بايعوا عبد الله بن الزبير أمير مكة والحجاز ودخلوا فى طاعته ، وفرقة شيعية وهم من قد علمتم وقتل مع سليمان رئيسان عظيمان للفتنة ، وهما عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وائل البكرى ، وكان الصريع الرابع يزيد الملعون بن معاوية الذى استحل حرمات الله ، خرج عليه أهل المدينة المنورة ، فبعث اليهم مسلم بن عقبة المرى ، وقال له يزيد ادعهم

ثلاثا ، فان ابوا فابحها لهم ثلاثا ، فكان ما فيها من مال او دابة او سلاح فهو للجند ، فحارب المدينة وتغلب عليها ، واباحها للجند ثلاثا ، وهى البلد الحرام ، فكان يزيد أول من احل ما حرم الله . ودارت عليها معركة شديدة تعرف بمعركة الحرة ، انتهت بهزيمة اهل المدينة بعد قتل ساداتها ، وكان ذلك فى ( 28 ) حجة ، سنة ( 63 ) هجرية .

ثم ان مسلما لما انتهى من أمر المدينة تحول عنها وذهب الى مكة ، وبعد ان وصل اليها حاصرها وقاتل اميرها عبد الله بن الزبير ، ثم لما استمر فى حصار مكة اصابه داء الشلل فهلك منه ، واستخلف على الجند الحصين بن نهير ، كما أمر يزد بذلك ، فواصل حصين بن نهير حصار مكة ، وكان ذلك فى ( 26 ) محرم الحرام فاتح ( 64 ) هجرية فخرج اميرها عبد الله بن الزبير ، للقاء اهل الشام فحاربهم فانهزم جنده ، ورجع الى مكة ، فقدم عليه نجدة بن عامر الحنفى الخارجى يمنع مكة وبقى القتال متواصلا بين الطرفين ، حتى رموا البلد الحرام بالمنجنيق ( 37 ) يوما حتى أتاهم نعى يزيد الملعون ، وهذا احلال ثانى لما حرم الله ، والثالث احلال دم عترة النبى صلى الله عليه وسلم . فتوقف القتـــال ، فخرق اليزيد حرمة البلـــد الحرام ، وحرمة الشهر الحرام ، وسفك الدم الحرام ، وهذا غاية ما يكون فى تهتيك حرمات الله بالاضافة الى حرمات أعراض أهل المدينة التى اباحها ثلاثا للجند وقد توج هذه الحرمات بقتل الامام الحسين رضى الله عنه ، من قبل ، وبهذا انتهت حياة هذا التعس اللئيم ، ولم يمكث الا ثلاث سنوات و (64) يوما كلها شرور وخزى وعار وكان هلاكه موافقا 10 نوفمبر سنة 683 ميلاديـــة .

ثم نرجع الى امر المختار بن ابى عبيد الثقفى ، وكان وثوبة على دعوته باسم محمد بن الحنفية ، زاعما انه هو الذى ارسله للاخذ بثار الامام الحسين رضى الله عنه ، وكان خروجه فى ( 14 ) ربيع الاول ، سنة ( 66 ) هجرية ، بعد موت مروان بن الحكم ، الخليفة الاموى الثالث فى رمضان سنة ( 65 ) هجرية ، وكان تولى الخلافة فى ( 3 ) ذى القعدة الحرام سنة ( 64 ) هجرية ، ولم يمكث فيها الا ( 11 ) شهرا ، ثم وليها بعده ابنه عبد الملك ، فبويع بالخلافة بعد موت ابيه سنة ( 65 ) هجرية . وبقى فيها الى منتصف شوال سنة ( 86 ) هجرية ، وكانت مدة خلافته ( 21 ) سنة . وهو الذى صفا له الجو بعد ما تكدر بموت الامام الحسين ، مدة ( 13 ) سنة وكان المختار يود فى خروجه أن يتبعه ابراهيم بن الاشتر ،



لقوة بطشه وسمو شرفه وبعد قليل دخل ابراهيم بن الاشتر تحت بيعة المختار ، فكان من أمره أن وثب وثار على الكوفة ، وهى يومئذ فى طاعة ابن الزبير صاحب مكة والحجاز ، فدخلها وكانوا ينادون بثار الحسين ، فبايعه أهل الكوفة ، وكانت بيعتهم له على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء اهل البيت ، وقتال المحلين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلهم ، ومسالمة من سالمهم ، ثم بعث العمال على الامصار وهو بالكوفة يومئذ لا يهمه الا تعبئة الجيش ، وانتخاب رجاله ، ثم تتبع قتلة الحسين ، فقضى على من بقى منهم ، وهذه هى الضحية ( 5 ) وكان محمد بن الحنفية ومن معه بالبصرة ، فجعل اهل البصرة يبايعون المختار ، فلما احس عاملها مصعب بمبايعة اهل البصرة المختار ، دعا محمدا ابن الحنفية ومن معه من اهل بيته ، وطلبهم بالبيعة لامير مكة فأبـــوا عليه ، فأمر بهم الى السجن فسجنوا فأرسل اليهم المختار من خلصهم من السجن ، ثم ان المختار لا زال منهمكا فى تعبئة الجيش وجمع العدة ، واختيار الرجال لمحاربة عبد الملك بن مروان الذى هو بدوره يستعد كذلك لفتح بلاد العراق ، وتصفيتها من الاقطاع فبعث جيشا من الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ، فخرج اليه المختار وجعل قائده على الجيش ابراهيم ابن الاشتر ، فسار حتى التقى بجنود الشام ، على نهر الخزر فكان بين الفريقين موقعة هائلة انتصر فيها ابن الاشتر ، أمير الاقطاع . وقد قتل فى هذه المعركة المباركة عدو الله وعدو الامام الحسين عبيد الله بن زياد .

## قتـــل عبيـــد الله بـــن زيـــاد

قتل عبيد الله بن زياد بن سمية الملعون ، وكان هو الكبش السمين الثمين من هذه الضحايا المتقدمة ، سنة ( 69 ) هجرية ، ثم اتى رجال من اشراف الكوفة لم يرضوا بالمختار ، الى مصعب بن الزبير بالبصرة ، وطلبوا اليه أن يخلصها من يد المختار فأجابهم الى ذلك ، ووجه اليهـــم مصعب جيشا عظيما قاده بنفسه ، ومعه أشراف المصرين ، فسار نحو الكوفة ، فخرجت اليه جنود المختار ، فالتقى الفريقان عند المذار فانهـــزم جيش المختار ، وتابعه مصعب حتى وصل الكوفة ، وقاتل بها أصحاب المختار حتى قهرهم ثم خرج المختار من القصر مستقتلا فقتل ، وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبرا . وهذا هو الضحية السابع من اعداء الامام الحسين رضى الله عنه ثم جعل مصعب يعبىء الجيش وينتقى الرجال والسلاح

لمواجهة عبد الملك بن مروان ، ثم خرج عبد الملك فى جيش متوجها الى العراق يقوده بنفسه فتجهز له مصعب بن الزبير بجيش جرار ، وجعل على رأسه ابراهيم الاشتر فتقابل الجيشان « بمسكن » فانهزم أهل العراق ، وقتل ابراهيم الاشتر وهو الضحية ( 8 ) وبقى ابن الزبير فى قليل من المخلصين فأنشد :

وان الاولى بالطف من آل هاشم      تاسوا فسنوا للكرام التاسيا

ثم تابع مصعب القتل حتى قتل ، سنة ( 72 ) هجرية · وبقتله دخل العراق فى يد عبد الملك ، ورجع الامر فيه الى بنى أمية ، ولم يبق له الا الحجاز ومكة ، فى يد عبد الله بن الزبير ، فجهز له عبد الملك جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى ·

وأخرج الحاكم من طرق متعددة انه صلى الله عليه وسلم قال : قال جبريل : قال الله تعالى : انى قتلت بدم يحيى بن زكرياء سبعين الفا ، وانى قاتل بدم الحسين بن على سبعين الفا · ولم يذكر ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات ، وليس معنى الحديث ان هذا العدد كله اشترك فى قتل الحسين ، بل تبع قتله تدهور فى العقول ، وفساد فى الراى ، وفتنة ادت الى قتال طويل ، يمكن أن يكون وفى بهذا العدد وزاد عليه ، ولم تستقر الاوضاع حتى قتل أمير مكة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه سنة ( 73 ) هجرية ، ثم بعد ذلك توحد أمر الامة الاسلامية لعبد الملك بن مروان ، وكانت عمالة الحجاج على يديه لاهل العراق خاتمة عقد لما سبق كما سياتى الكلام على ذلك · ثم عاش عبد الملك بن مروان بقية حياته فى استقرار وأمن ، واطمئنان نفس ، فى الشؤون الداخلية للدولة الاسلامية ، الامر الذى ساعده على القيام بأعمال خارجية ، فجهز الجيوش وبعثها فى الفتوحات ، ففتحت على يده بلدان شاسعة الاطراف من شمال المملكة وجنوبها فى القارة الاسيوية من بلاد خراسان شرقا الى شمال افريقيا غربا ، ومنها الى غرب أوربا بما يعرف ببلاد الاندلس ، ولن يزال آثار ذلك شاهدا بعظمة ما كان عليه القوم الى اليوم ، ولن يزال اثر ذلك من كل بلد اسلامى لا يسع أحدا انكاره · ولن يمضى على الدولة الاسلامية نصف قرن حتى اكتسح الاسلام نصف الكرة الارضية ، فى الفتوحات الاموية ·

ومن غريب الاتفاق ما رواه عبد الملك بن عمير قال : دخلت قصر الامارة بالكوفة على ابن زياد ، والناس عنده سماطان ، ورأس الحسين



على ترس عن يمينه ، ثم دخلت على المختار فيه ، فوجدت رأس ابن زياد عنده ، وعنده الناس كذلك سماطان ، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فوجدت عنده رأس المختار عنده كذلك ، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك فأخبرته بذلك ، فقال : لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدم القصر ، ثم بعد ذلك استعمل عبد الملك بن مروان على العراق الحجاج بن يوسف الثقفى جزار البشرية الشهير وقد نص المؤرخون ان قتلى الحجاج بين الرجال والنساء يفوق السبعين الفا فكان فريد دهره فى سفك الدماء البشرية ، واشتهاره بذلك عبر عصور التاريخ بين الخاصة والعامة ، وقد تحققت بذلك فيه دعوة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما هاله أمر العراق ، فقال فيهم : أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ، اللهم عجل فيهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم حكم الجاهلية ، لا يرحم صغيرهم ولا يوقر كبيرهم وهذا من مكاشفات عمر ، واجابة دعائه ·

ثم مرت فترة على أهل البيت العلوى أخذوا فيها شيئا من الراحة ، ابتداء من زمن عبد الملك بن مروان سنة ( 65 ) هجرية ، وانتهاء بمروان الثانى ( 13 ) من الخلفاء الامويين سنة ( 127 ) الا ما كان من خروج زيد بن على زين العابدين بن الامام الحسين ، قتله وصلبه هشام بن عبد الملك ، وقد كان سبب خروجه ظلم وطغيان يوسف بن عمر عامل المدينة ، فخرج بالكوفة فى نحو ( 15 ) الف ، وقيل أربعون من مبايعيه ، وقد نصحه بعض أبناء عمه بأن الكوفة لا يعتمد عليهم ولا يعول على قولهم فى الخروج خشية أن تتكرر مأساة جده الحسين ، فأبى الا أن يخرج ، فخانه الحظ فلقى نفس المصير والامر لله وحده · وقد كان اتفق مع شيعته على اليوم الذى يخرج فيه فلم ياته الا مائتا مقاتل ، فقاتل حتى قتل ، ودفنه أصحابه ، فدل على قبره ، ثم نبشوه وأخرجوه وصلبوه بباب الكناسة من الكوفة وسيروا رأسه الى هشام بن عبد الملك ، فصلبه على احدى أبواب دمشق والذى يبعث على الاسف الشديد ، ان ابنه يحيى خرج من بعده فلقى نفس مصير أبيه ، فانا لله وانا اليه راجعون » من هذه الحياة التى هى أشبه بالجحيم على هؤلاء حتى جعلتهم يذهبون ضحايا مآسى الظلم والطغيان الواحد تلو الآخر ولا حول ولا قوة الا بالله ·

واثر هذه الحوادث دخل الانهيار فى دولة بنى أمية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وهو الذى تناظر مع بعض شيعته فرفضوا نظريته

فسماهم الرافضة ، وهذه هى الشيعة المتطرفة ، ولا تزال طائفة منها موجودة بالعراق الى الآن ، وكان سبب تسميتهم بهذه الكلمة انهم رفضوا امامة الشيخين « أبى بكر وعمر » رضى الله عنهما ، وعدوهما غاصبين لحق على كرم الله وجهه ومن الشيعة الزيدية طوائف باليمن ، وهم سنيون.

## بيت على من السبطين لـه جناحـان

ثم ان بيت أمير المومنين على كرم الله وجهه من السبطين تفرع الى جناحين جناح أغلب أحفاده بالمشرق ، وهم ذرية الامام الحسين السبط رضى الله عنه وجناح اغلب ذريته بالمغرب وهم ذرية الامام الحسن السبط رضى الله عنه وذرية هذين الامامين هى المقصودة عندنا بالبحث فى أهل البيت من هذا الكتاب وقد تدمنا الكلام فيه على جناح اهل المشرق لنتفرغ للكلام على جناح أهل المغرب لتوحيدهما فى المآسى والاحزان ومن الجناح الاول .

## الائمـة الاثنـا عشريـة

اتجهت فرق الشيعة الى الاهتمام بهؤلاء الائمة ، وخصوصا الائمة الاثنا عشرية منهم ، ومن بين تلك الفرق الفرقة التى أطلق عليها اسم الامامية ، وهؤلاء الائمة هم : (1) الامام على بن أبى طالب ، وصى النبى صلى الله عليه وسلم و (2) الامام الحسن السبط وصى على كرم الله وجهه و (3) الامام الحسين السبط ، وصى الامام الحسن رضى الله عنهما . وكل واحد من هؤلاء الائمة الثلاث ذكرنا عنه ما يكفى فى التعريف به . و (4) ابنه الامام على زين العابدين ، ولم يخلف الامام الحسين شهيد كربلاء سواه ، ولم تقصر درجته فى الفضل عن درجة أبيه ، فكان رضى الله عنه عالما عابدا زاهدا ، وكان اذا توضأ اصفر لونه ، فقيل له فى ذلك : فقال : الا تدرون بين يدى من أقف ؟ ، وحكى عنه انه كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ، ومن شعره :

فان تكن الدنيا تعد نفيسة ... فان ثواب الله أعلى وانبل
وان تكن الارزاق قسما مقدرا ... فقلة حرص المرء فى الكسب اجمل
وان تكن الابدان للموت انشئت ... فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل
وان تكن الاموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل



ولـه أيضـا :

يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثن
ولاستحل رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما ياتونه حسنا
انى لاكتم من علمى جواهره ... كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتن

وحكى ابن حمدون عن الزهرى ان الخليفة عبد الملك بن مروان حمله مقيدا من المدينة بأثقلة من حديد ، ووكل به حفظة ، فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى ، وقال : وددت انى مكانك ، فقال : أتظن ان ذلك يكربنى ؟ ولو شئت لما كان ، وانه ليذكرنى عذاب الله ، ثم أخرج رجليه من القيد ، ويديه من الغل ، ثم قال : لاجرين معهم على هذا يومين من المدينة ، وبعد مضى يومين فقدوه حين طلع الفجر ، وهم يحرسونه ، فطلبوه فلم يجدوه ، قال الزهرى فقدمت على عبد الملك فسألنى عنه فأخبرته فقال : قد جاءنى يوم فقده الاعوان ، فدخل على فقال : ما أنا وانت ؟ فقلت اقم عندى فقال : لا احب ، ثم خرج ، فو الله لقد امتلا قلبى منه رعبا . ثم كتب عبد الملك ابن مروان للحجاج بن يوسف ، أن يتجنب دماء بنى عبد المطلب وأمره أن يكتم ذلك ، فكوشف به الامام زين العابدين ، فكتب اليه انك كتبت للحجاج يوم كذا سرا فى حقنا بنى عبد المطلب بكذا ، اى اجتنب دماء بنى عبد المطلب وقد شكر الله لك ذلك ، وبعث به اليه ، فلما أطلع عليه عبد الملك ، وجد تاريخه موافقا لتاريخ الكتاب ، ومخرج الغلام موافقا لمخرج رسول عبد الملك الى الحجاج ، فتفطن عبد الملك ان عليا زين العابدين كوشف بأمره ، فسر به ، وارسل اليه مع غلامه بوقر راحلة دراهم وكسوة ، وسأله أن لا يخليه من دعائه .

واخرج أبو نعيم والسلفى انه لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة أبيه لم يمكنه أن يصل الى الحجر الاسود من شدة الازدحام ، فنصب له منبر الى جانب زمزم وجلس ينظر الى الناس ، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام ، فبينما هو كذلك ، اذ اقبل زين العابدين ؛ فلما انتهى الى الحجر تنحى به الناس حتى استلم ، فقال أهل الشام لهشام ، من هذا ؟ قال لا أعرفه ، وقد فعل ذلك هشام حتى يخفيه عليهم ليلا يعظم شأنه فى أعينهم ، فتقوى رغبتهم اليه فسألوا الفرزدق ، فقال أنا أعرفه ثم أنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها : ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم

| | |
|---|---|
| ينمى الى ذروة العز التى قصرت | عن نيلها عرب الاسلام والعجم |
| هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله | بجده انبياء الله قد ختموا |
| فليس قولك من هذا ؟ بضائره | العرب تعرف من انكرت والعجم |
| كلتا يديه غياث عم نفعهما | يستوكفان ولا يعروهما عدم |
| سهل الخليقة لا تخشى بوادره | يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم |
| حمال اثقال اقوام اذا امتدحوا | حلو الشمائل تحلو عنده نعم |
| ما قال : لا ، قط الا فى تشهده | لولا التشهد كانت لاءه نعم |
| عم البرية بالاحسان فانقشعت | عنها الغياهب ، والاملاق والعدم |
| اذا راته قريش قال قائلها : | الى مكارم هذا ينتهى الكرم |
| يغضى حياء ويغضى من مهابته | فما يكلم الا حين يبتسم |
| بكفه خيزران ريحه عبق | من كف اروع فى عرينه شمم |
| يكاد يمسكه عرفان راحته | ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم |
| الله شرفه قدما وعظمه | جرى بذاك له فى لوحه القلم |
| اى الخلائق ليست فى رقابهم | لاولية هذا اوله نعم |
| من يشكر الله يشكر اولية ذا | فالدين من بيت هذا ناله الامم |
| ينمى الى ذروة الدين التى قصرت | عنها الاكف وعن ادراكها القدم |
| من جده دان فضل الانبياء له | وفضل امته دانت له الامم |
| مشتقة من رسول الله نبعته | طابت مغارسه والخيم والشيم |
| ينشق ثوب الدجى عن نور غرته | كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم |
| من معشر حبهم دين وبغضهم | كفر وقربهم منجى ومعتصم |
| مقدم بعد ذكر الله ذكرهم | فى كل بدء ومختوم به الكلم |
| ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم | او قيل «من خير اهل الارض» قيل هم |
| لا يستطيع جواد بعد جودهم | ولا يدانيهم قوم وان كرموا |
| هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت | والاسد اسد الشرى والبأس محتدم |
| لا ينقص العسر بسطا من اكفهم | سيان ذاك ان اثروا وان عدموا |
| يستدفع الشر والبلوى بحبهم | ويسترب به الاحسان والنعم . |

وهى تسعة وعشرون بيتا .

فلما سمعها هشام غضب وحبس الفرزدق بعسفان ، ولما وصل الخبر زين العابدين وصله باثنى عشر الف درهم ، قائلا له : اعذر لنا لو كان عندنا اكثر لوصلناك به فقال : انما مدحت لله لا لعطاء ، فرد العطية ، فقال زين العابدين انا اهل البيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، ثم قبلها



الفرزدق متشكرا ثم هجا هشاما فى السجن ، ولما وصله ذلك أمر باطلاقه .

وكان من اخلاقه رضى الله عنه الاعراض عن الجاهلين ، فقد بالغ رجل فى سبه ، وهو متغافل عنه ، فقال له : اياك اقصد ، فقال : وعنك اعرض ومن كلامه رضى الله عنه ما يسرنى بنصيبى من الذل حمر النعم .

توفى رضى الله عنه سنة ( 97 ) هجرية ، بعد موت الحجاج بن يوسف فى خلافة يزيد الثانى بن عبد الملك بن مروان ، وعمره ( 57 ) سنة ، عاش سنتان منها مع جده على بن ابى طالب ، كرم الله وجهه ، ثم عشرة اعوام مع عمه الامام الحسن ، ثم ( 11 ) سنة مع ابيه الحسين ، ثم ( 34 ) بعدهم ، وقيل مات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع بجنب عمه الامام الحسن ، وخلف من الاولاد ( 11 ) ذكرا واربع اناث فجميع اولاده رضى الله عنه ( 15 ) ولدا ، فكان وارثه فى الفضل والعلم ، والعبادة، والزهد ، والمعرفة بالله ولده « الباقر » .

## أبو جعفر محمد الباقر

فهو الامام « محمد » بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، وكنيته أبو جعفر ، ولقبه الباقر ، ولقب به للوصف الذى قام به ، واشتقاقه من بقر الارض اذا شقها ، واثار مخابئها ومكامنها ، أطلق عليه لما اظهره من مخبئات كنوز الاسرار والمعارف وحقائق الاحكام ، والحكم واللطائف ، وقد أثير عنه من ذلك مالا يخفى الا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه ، ومشهره ورافعه ، صفا قلبه ، وزكى علمه وعمله ، وطهرت نفسه وشرف خلقه ، فعمر أوقاته بطاعة ربه ، وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف ليس هذا مقامها وكفاه شرفا ان ابى المدينى روى عن جابر انه قال له : وهو صغير ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام وهو من كراماته رضى الله عنه ، فقيل لجابر فى ذلك : فقال : كنت جالسا عنده ، والحسين فى حجره ، وهو يداعبه ، فقال يا جابر ، يولد له مولود اسمه على اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم زين العابدين فيقوم ولده ، أى على ثم يولد له ولد ، اسمه « محمد » فان أدركته يا جابر فاقرئه منى السلام.

ومن مناقبه الاخبار بملك العباسيين ، توفى رضى الله عنه سنة (113)

هجرية ، وتوفى فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وقد خلق ولابيه ( 17 ) سنة ، وعلى هذا فتكون حياته رضى الله عنه ( 58 ) سنة ، وقيل مات مسموما كأبيه على زين العابدين رضى الله عنه وهو علوى من جهة أبيه وامه ، ودفن بالبقيع الى جانب عميه الحسن والعباس رضى الله عنهم وخلف ستة أولاد ذكور ، افضلهم واكملهم وارثه فى ذلك ولـده الامـام « جعفـر » ابنه ( 6 ) .

## جعفــر الصــادق

فهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، امه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهم ، ومن ثم كان خليفته ووصيه . ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر صيته فى جميع البلدان وروى عنه الائمة الاكابر ، كيحيى ابن سعيد ، وابن جريج ، ومالك ، والسفيانين وأبى حنيفة ، وشعبة وايوب السختيانى ، وروى ابن ابى الدنيا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن ابيه على زين العابدين عن جده على بن ابى طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ، ومن الكتاب الا رسمه ، مساجدهم عامرة ، وهى خراب من الهدى . وفى رواية اخرى لغيره ، وقلوبهم خراب من الهدى ، علماؤهم اشر ممن هو تحت اديم السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود .

ومن مناقبه ما روى فيه ، انه سعى به عند ابى جعفـر المنصور العباسى ، ولما حج المنصور اراد ان يتحقق من القضية ، فأمر باحضار جعفر الصادق فحضر ، وعند المنصور الساعى به ، ليشهد ، فقال جعفر الصادق : للشاهد اتحلف ، ؟ قال : نعم ، فحلف بالله العظيم كما هـو اليمين ، فقال جعفر الصادق : احلفه يا أمير المومنين بما اراه ، فقال له : لك ذلك ، فقال جعفر الصادق للشاهد الساعى به ، قل : برئت من حول الله وقوته والتجأت الى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا ، وقال : كذا وكذا ، فامتنع الرجل فأجبر على الحلف من قبل الامير فحلف جبرا ، وروى انه ما أتم حلفه حتى هلك مكانه . فقال أمير المومنين لجعفر لا بأس عليك ، أنت مبرأ الساحة ، المامون الغائلة . ثم انصرف فلحقته الربيـع بجائزة حسنة ، وكسوة سنية .



ومنها ما روى عنه أيام ضعف بنى أمية ، وتضعضع سلطانهم ، أنه طلب منه المبايعة ابن عمه عبد الله الكامل ، « الامام محمد » النفس الزكية ، واخوه يحيى ، فامتنع ، واتهم بأنه يحسدهما ، فقال : والله ليست لى ولا لكما ، وانها لصاحب القباء الاصفر ، ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم ، وكان أبو جعفر المنصور حاضرا وقريبا ، وعليه قباء أصفر ، فبلغه الحديث فما زالت كلمة جعفر الصادق محط أمله حتى ملكوا ، وسبق جعفر الى ذلك والده محمد الباقر ، فانه أخبر المنصور بملك الارض شرقها وغربها ، وطول مدته، فقال ، أى المنصور له : وملكنا قبل ملككم ؟ قال : نعم ، قال : فمدة بنى أمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم ، وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة ، هذا ما عهد الى أبى . فلما أفضت الخلافة للمنصـور بملك الارض تعجب من قول الباقر رضى الله عنه ، ومنها انه كان مجاب الـدعـوة .

فقد اخرج أبو القاسم الطبرى ، من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث بن سعد يقول : حججت سنة ( 146 ) هجرية ، فلما صليت العصر فى المسجد ، اى مسجد المدينة ، رقيت أبا قبيس ، فاذا رجل جالس يدعو فقال : يارب ، حتى انقطع نفسه ثم قال : ياحى ، ياحى ، ياحى ، حتى انقطع نفسه ، ثم قال : الاهى انى اشتهيت العنب ، فاطعمنيه اللهم وان بردای قد خلقتا فاكسنى ، قال الليث : فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنبا ، وليس على وجه الارض يومئذ عنب ، واذا ببردتان موضوعتان لم أر مثلهما ، فى الدنيا ، فأراد أن ياكل ، فقلت أنا شريكك ، فقال : وبم ؟ فقلت لانك دعوت وكنت أؤمن ، فقال تقدم وكل ، فتقدمت وأكلت عنبا لم آكل مثله قط ، وما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ، ولم تتغير السلة ، فقال ، لا تدخر ولا تخبىء منه شيئا ، ثم اخذ أحد البردين ودفع الى الآخر ، فقلت انا فى غنى عنه ، فاتزر بأحدهما وارتدى بالاخر ، ثم أخذ برديه الخلقتين ، فنزل وهما بيده ، فلقينى رجل بالمسعى فقال : اكسنى يا ابن رسول الله مما اكساك الله ، فانى عريان ، فدفعهما اليه فقلت من هذا ؟ فقال جعفر الصادق فطلبته فلم أجده ، واردتان أسمع منه شيئا فلم أقدر عليه . وتوفى فى سنة ( 184 ) هجرية مسموما أيضا على ما حكى والله أعلم ، وعمره ( 68 ) سنة ، ودفن بالبقيع عند قبر أبيه واهله، وخلف ستة ذكور ، وبنت فورثه فى الفضل منهم موسى .

و (7) ابنـه :

## موســى الكاظــم

فهو موسى بن جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولقب بالكاظم لكثرة حلمه وصبره ، وتجاوزه ، وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، فهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والمعرفة بالله ، والكمالات الاخلاقية ، فهو رضى الله عنه لشهرته عند أهل الشرق والغرب غنى عن التعريف به، وكان اتقى اهل زمانه ، وأكثرهم علما وعبادة ، واكرمهم يدا ، واحسنهم خلقا وخلقا ، ومن مناقبه ان الرشيد سأله ، كيف قلتم انا ذرية رسول الله ؟ صلى الله عليه وسلم ، فتلى قوله تعالى : ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين وزكريــاء ويحيى وعيسى » فقال : وليس له اب ، وأيضا قال تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غيرهم بعد ما دعا عليا وفاطمــة والحسن والحسين فهما الابناء ، ومن بديع كراماته ومناقبه ما حكاه ابن الجوزى والهرمزى وغيرهما عن شقيق البلخى انه خرج حاجا سنة ( 149 ) هجرية ، فرآه بالقادسية منفردا عن الناس ، فقال فى نفسه : هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس ، لامضين اليه ولاوبخنه ، فمضى اليه ووبخه ، فقال : ياشقيق ، اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » فأراد أن يحالله فغاب عن عينه ، فما رآه الا بواقصة يصلى ، واعضاؤه تضطرب ، ودموعه تتحادر ، فجاء اليه ليعتذر ، فخفف فى صلاته وقال : قال الله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » ولما نزلوا زمالة ، رآه على بير ، فسقطت ركوته فيها ، فدعا ، فطفا المــاء له حتى أخذها ، ثم توضأ وصلى أربع ركعات ثم مال الــى كثيب رمــل فطرح منها فيها وشرب ، وقال له : اطعمنى من فضل ما رزقك الله تعالى فقال : ياشقيق ، لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ، فناولنيها فشربت منها ، فاذا هو سويق وسكر ، ما شربت والله الذ منه ، ولا اطيب ريحا ، فشبعت ورويت ، واقمت أياما لا اشتهى شرابا ولا طعاما ، ثم لم اره الا وهو بمكة ، وهو بغلمان وغاشية ، وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق ولما حج الرشيد سعى به اليه ، وقيل له : ان الاموال تحمل اليه ، من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار ، فقبض عليه وانفذه



الى اميره بالبصرة ، عيسى بن جعفر بن المنصور ، فحبسه سنة ثم كتب اليه الرشيد فى دمه ، فاستعفى واخبر انه لم يدع على الرشيد ، فكتب الى الرشيد بذلك ولما بلغه الكتاب كتب الى عامله السدى بن ساهيك بتسليمه ، وأمره فيه بأمر ، فجعل له سما فى طعامه ، فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام ، وعمره ( 35 ) سنة · وذكر المسعودى : ان الرشيد رأى عليا فى النوم ، ومعه حربة ، وهو يقول : افرج عن الكاظم ، والا نحرتك بهذه ، فاستيقظ فزعا ، وارسل فى الحال والى شرطته اليه يطلقه ، وبعث اليه بثلاثين الف درهم ، وانه يخيره بين المقام عنده مكرما ، أو الذهاب الى المدينة ، فاختار الذهاب الى المدينة · فقال له الرشيد رايت عجبا ! قال : وما ذاك ؟ قال له : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وعلمنى كلمات ، فقلتها ، فما فرغت منها الا وجاءنى رسولك بالامر بالافراج عنى · وقيل قد كان سجنه موسى الهادى أخو هارون الرشيد فى خلافته ، ثم امر باطلاقه ، لانه وقف عليه الامام على كرم الله وجهه مناما وهو يقرأ عليه هذه الآية : فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولائك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم » فانتبه وعرف انه المراد فأمر باطلاقه ليلا · ومن جوابه للرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة بعد ما قال له : انت الذى تبايعك الناس سرا ؟ فقال : انا امام القلوب وانت امام الجسوم ، ولما اجتمعا امام القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد : السلام عليك يا ابن العم ، يا رسول الله ، سمعها من حوله ، فقــال : الكاظم :السلام عليك يا أبت ، فتغير وجه الرشيد ، فكانت سببا لالقــاء القبض عليه ، وحمله معه الى بغداد ، ثم أمر بسجنه ، فلم يخرج منه حتى مات مقيدا وهذا السبب غير السبب الاول ، ويحمل على ان السبب الاول كان سنجه بأمر موسى الهادى ، والسبب الثانى كان سجنه بأمر هارون الرشيد ، وليس ذلك ببعيد على من تأمل حياة هؤلاء العباقرة الاماجد ، رضى الله عنهم ، ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد ، وخلف من الاولاد سبعة وثلاثين ذكرا وانثى واحدة والذى ورث مقام ابيه منهــم أجلهــم وانبههــم علــى ·

و ( 8 ) ابنــه :

## علــى الــرضــى

فهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على

ابن ابى طالب كرم الله وجهه وهو الذى ورث سر ابيه فى العلم والدين والمعرفة بالله ، فكان اعلم اهل زمانه ، واحسنهم خلقا وخلقا ، وكـان يعاصر من الخلفاء العباسيين المامون ، ولذلك قربه أليه ، واختاره لنفسه ، واحله محل مهجته ، وأنكحه ابنته ، وأشركه فى مملكته حتى فوض اليه أمر خلافته ، وكتب بيده كتابا سنة ( 201 ) هجرية نص فيه على ان عليا الرضى ولى عهده ، واشهد عليه جمعا كثيرا غير انه توفى قبل المامون ، ويقال : اسف عليه أسفا شديدا ، واخبر قبل موته انه ياكل رمانا مبثوثا ويموت ، وان المامون يريد دفنه خلف ابيه هارون الرشيد ، فلم يستطع ولكن لا تنسى ان ذلك لوجه على الرضى فيهم لانك تعلم الحالـة الداخلية فى عهد المامون من استبداد قواده عليه ، وطغيان أمر شيعة العلويين ، الذين كانوا يجعلونهم هدفا لاغراضهم ، أو يعرضوهم للموت بسبب دفعهم والتستر وراءهم ، وفى سنة ( 199 ) هجرية ، قد استفحل امرهم فخرج منهم على المامون محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسـن المثنى بن الحسن السبط ، بالكوفة وقام بأمره رجل من شيعته ، وهو ابو السرايا السرى بن منصور الشيبانى فاستولى على الكوفة من يد عاملها سليمان بن ابى جعفر المنصور ، الا أن محمدا فاجأه الحمام فولى أبو السرايا بدله غلاما أمرد حدثا ، وهو محمد بن محمد بن زيد بن على زين العابدين فكانت الامور كلها بيد أبى السرايا ، والشاب الحدث ، الذى قدمه عليه انما هو للتبرك به فقط ، ثم ازداد الامر تفاقما بخروج ابراهيم بن موسى الكاظم باليمن ، ولما سمع عامل صنعاء اسحاق بن موسى بن عيسى بقدوم ابراهيم ترك صنعاء وانصرف مقلدا عمه داود بن عيسى فى مكة ، فاستولى ابراهيم على اليمن ، وكان يقال له الجزار ، لكثرة من قتل باليمن ، مـن الناس سنة ( 200 ) هجرية ، ولم تطل هذه الفتن حتى اخمدت هـذه السنة بانهزام القائمين معا ، فنرى المؤرخين يتعامون عن الحقيقة ، وينسبون عيوبها ، ويحملون مسؤوليتها العلويين وحدهم ، ويسكتون على المحركين الحقيقيين لها الذين كانوا من وراء حجاب ، يدفعونهم من الوراء لتحقيق اغراضهم ، ولذلك لم ينج المامون من تهمة قتل صهره ، زوج ابنته الشريف على الرضى رضى الله عنه مسموما ، ولكن سياسة المكر هى هى فى كل زمان ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » حيث ان اسباب ذلك واضحة، وهى أن أبناء عم المامون الاقربين ، كانوا ينقمون عليـه تقربـه وتودده للعلويين ، وابرزهم على الرضى ، وقد يكون ذلك من فعل الباطنية المامونية ليخففوا عن المامون ما هو فيه من اضطراب ابناء عمه العباسيين عليه ،



حتى خرج عليه منهم عمه ابراهيم ، حتى يخلصوه ويستريحوا مما يعتقدونه شرا عليهم وهو خوفهم على خروج الخلافة من أيديهم الى آل على ، ويؤكد هذا ان المامون كتب بعد موت على الرضى فورا الى بنى العباس ، والموالى واهل بغداد يعلمهم بموت على الرضى ، لما كان بطوس ، وكانت وفاة على الرضى رضى الله عنه سنة ( 202 ) هجرية ، وكان العباسيون اجتمعوا للنظر فى أمر المامون ، قالوا نولى بعضنا ونخلع المامون ، واتفقوا أخيرا على مبايعة عمه ابراهيم بن المهدى عامل بغداد وخلع المامون ، وكان ذلك فى اول المحرم سنة ( 202 ) وكان المامون قد زوج محمد بن على الرضى ، المعروف « بالجواد » ابنته الاخرى ، وعلى الجملة فان المامون كان يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقاده فيهم ، لان البرامكة ربوه على موالاتهم ، واليهم يرجع الفضل فى ذلك ومن مواليه معروف الكرخى أستاذ السرى السقطى ، لانه أسلم على يده ومن مناقبه انه قال لرجل يا عبد الله ، ارض بما يريد الله ، واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيـام ، رواه الحاكم · وروى الحاكم ايضا عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال : رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى المنزل الذى ينزل فيه الحجاج ببلدنا فسلمت عليه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحانى فناولنى منه ثمانى عشرة ، فتأولت أن اعيش مدتها ، فلما كان بعد عشرين يوما قدم أبو الحسن على الرضى من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه · فمضيت نحوه فاذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت فيه النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فيه ، وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى ، فسلمت عليه فاستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر ، فعددتها فاذا هى بعدد ما ناولنى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت زدنى ، فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك · وقال الشيخ ابو العباس السوسى فى وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى ، ما نصه : وفى تاريخ نيسابور ان عليا الرضى بن موسى الكاظم ، لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورا بالسفلاط ، وهو المظلة التى يستعملها الملوك على بغلة شهباء ، وقد شق سوق نيسابور ، فتعرض له الامامان الحافظان : أبو زرعة الرازى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، ومعهما خلائق لا يحصون عددا من طلبة العلم والحديث واهل الرواية والدراية ، فقال له : أيهـا السيد الجليل ، ابن السادات الائمة بحق آبائك الاطهرين ، وأسلافك الاكرمين ، الا ما اريتنا وجهك المامون ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكرك به · فاستوقف البغلة ، وأمـر

غلمانه بكشف المظلة ، واقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة ، فكانت له دؤابتان مدليتان على عاتقه ، والناس كلهم على اختلاف طبقاتهم ناظرون اليه ، وهم ما بين صارخ وباك ، ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته ، وعلا الضجيج ، فصاح الائمة والفقهاء والعلماء ، معاشر الناس اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم ، ولا توذوننا بكثرة صراخكم وبكائكم ، وكان المستملى ابو زرعة الرازى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، فقال الامام على الرضى حدثنى ابى موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر ، عن ابيه على زين العابدين ، عن ابيه الحسين سيد شباب اهل الجنة ، وشهيد كربلاء ، عن ابيه أمير المومنين على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حدثنى جبريل قال : سمعت رب العزة يقول : لا الاه الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى . ثم أرخى الستر على القبة وسار ، قال ابو زرعة : فعد اهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على ( 20 ) الفا ، قال الاستاذ ابو القاسم القشيرى : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب ، واوصى أن يدفن معه فى قبره ، فرىء فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى بتلفظى بلا الاه الا الله ، وبتصديقى بأن محمدا رسول الله . وذكر الجمال الدرنى فى كتابه معراج الوصول : ان الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن اهل البيت المذكورين الى على بن ابى طالب سيد الاولياء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الانبياء ، حدثنى جبريل سيد الملائكة قال : قال الله تعالى : اننى انا الله لا الاه الا انا فاعبدونى » فمن جاء منكم بشهادة ان لا الاه الا الله بالاخلاص دخل حصنى ، ومن دخل حصنى امن من عذابى . قال : وفى رواية غير ابى نعيم ، قال الله تعالى : لا الاه الا الله حصنى الحديث ، ثم نقل ما قاله الاستاذ القشيرى ، وزاد عقب قوله وتصديقى بأن محمدا رسول الله ، وكتابة هذا الحديث بالذهب تعظيما له واحتراما .

وقال الحافظ جمال الدين ابو نعيم : قال ابو الليث عبد السلام بن صالح الهروى كنت مع على الرضى بن موسى الكاظم ، وقد دخل نيسابور ، وهو على بغلة شهباء فعدا فى طلبه العلماء من اهل البلد ، وهم احمد بن حرب ، وابن النضر ، ويحيى بن يحيى وعدة من اهل العلم ، فتعلقوا بلجامه فى المربعة ، وقالوا له بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك فقال : حدثنى ابى العبد الصالح موسى بن جعفر الصادق قال :



حدثنى ابى جعفر الصادق بن محمد قال : حثنى ابى محمد الباقر علم الانباء قال : سمعت ابى سيد العابدين على بن الحسين قال : حدثنى ابى سيد شباب أهل الجنة الحسين بن على قال : سمعت ابى سيد العرب على بن أبى طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الايمان معرفة بالقلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان . قال الامام احمد ابن حنبل رضى الله عنه لو قرات هذا الاسناد على مجنون لبرىء من حينه .

توفى الامام على الرضى رحمه الله بعد خروج المامون لطوس فى شهر عيد الفطر ، وله من العمر ( 55 ) سنة وخلف من الاولاد خمسة ذكور وبنتا فكان اجلهم ووارثهم لسر ابيه هو محمد .

و ( 9 ) ابنــه :

## محمــد الجــواد

فهو محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وهو وارث سر أبيه فى العلم والمعرفة بالله ، وكان فى الفضل يعد آية بينة فى زمانه ، وستراه يناظر العلماء بحضرة المامون لم تطل حياته أكثر من ( 25 ) سنة ، ومن مناقبه ما اتفق له مع المامون بعد موت ابيه بسنة انه وجده واقفا والصبيان يلعبون فى أزقة بغداد ، فبينما هم على ذلك ، اذ راوا المامون مارا بهم ففروا وبقى محمد مكانه لم يتحرك وعمره ثمان سنوات ، فلما وصل اليه المامون دعاه وسأله عن عدم فراره مع اصحابه فقال له : يا غلام وما منعك أن تنصرف مع اصحابك ؟ فقال له مسرعا يا أمير المومنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لى جرم فأخشاك ، والظن بك حسن انك لا تضر من لا ذنب له ، فوقع كلامه منه موقع الاعجاب ، فتعجب من حسن صورته وأدبه مع صغر سنه وسأله من انت ؟ فقال محمد بن على الرضى فقال المامون نعم الولد ، ثم ساق جواده وكان معه بازة للصيد ، فلما بعد عن العمار أرسل الباز وراء دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفى منقاره سمكة صغيرة وبها بقية من الحياة ، فتعجب من ذلك ، ثم رجع والزمان لم يطل كثيرا ، فوجد الصبيان على حالهم ، فلما راوه فروا على عادتهم وبقى محمد للمرة الثانية مكانه ، فلما وصل اليه الخليفة دنا منه وسأله عما فى يده فقال : يا أمير المومنين ان الله خلق فى بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة اهل بيت المصطفى ، فقال له : أنت ابن الرضى حقا فأخذه

معه واحسن اليه واكرمه ، وبالغ فى اكرامه ، فلم يزل موضع حظ من عنايته بعد ما عرف فضله وعلمه وكمال عقله ، وظهور برهانه مع صغر سنه ، حتى عزم على زواجه بابنته ام الفضل ، ولما علم بذلك ابناء عمه العباسيون حاولوا الوصول الى أن يحولوا بينه وبين تنفيذ رغبته ، وذلك خوفا من أن يعهد اليه كما عهد الى ابيه من قبل · ولما ذكروه واظهروا له رغبتهم أجابهم بأنه انما اختاره لفضله وعلمه ، وكمال عقله ، وتمييزه بذلك على سائر أقرانه ، فنازعوه بأن يكون لمحمد بن على هذا الشأن مع صغر سنه ، ثم تواعدوا مع الخليفة على ان يعقدوا معه ومحمد بن على مناظرة بمحضر الخليفة ، فلما حضروا الى الخليفة ومعهم محمد بن أكثم ، وخواص الدولة ، أمر المامون بتشييد قاعة للمناظرة ، واختاروا لمحمد مكانا رفيعا منها ، فأجلسه فيه ، فسأله يحيى عن مسائل اجاب عنها احسن جواب وأوضحه فقال الخليفة : احسنت ! ابا جعفر فان أردت ان تسأل يحيى ، ولو مسألة واحدة فقال محمد : ما تقول ؟ فى رجل نظر الى امراة اول النهار حراما ، ثم حلت له ارتفاعا ثم حرمت عليه عند الظهر ، وتزوجها للعصر ، ثم حرمت عليه للمغرب ، ثم حلت له للعشاء ثم حرمت عليه لنصف الليل ، ثم حلت له للفجر . فقال يحيى : لا ادرى ، فقال محمد هى امة نظر اليها اجنبى بشهوة ، وهى حرام ، ثم اشتراها ارتفاع النهار ، فأعتقها للظهر ، وتزوجها للعصر ، وظاهر منها للمغرب ، وكفر للعشاء ، وطلقها رجعيا لنصف الليل ثم راجعها للفجر ، فعند ذلك قال المامون لابناء عمه : قد عرفتم ما كنتم تنكرون ، ثم زوجه فى ذلك المجلس ابنته ام الفضل ، وبعد أن دخل بها ذهب بها الى المدينة المنورة ، وفى بعض الايام بعثت الى ابيها تشتكى منه انه تسرى عليها فبعث اليها ابوها بالجواب ، انا لم نزوجك له لنحرم عليـه الحلال ، فلا تعودى لمثله ، ومات المامون فى ( 18 ) رجب الفرد سنة ( 218 ) هجريـــة · ثم بعد وفاته قدم محمد الجواد بزوجه ام الفضل بغداد بأمر من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة ( 220 ) هجرية ، ثم توفى محمد بعد ذلك بيومين ودفن بالجانب الغربى من ظاهر بغداد بمقبرة قريش ، الـى جانب جده موسى الكاظم ، وعمره ( 25 ) سنة ، ويقال انه مات مسموما ايضا ، وحملت زوجة ام الفضل الى دار المعتصم ، وخلف ذكرين وبنتين ، اجلهما وارث سر ابيه على ·

و ( 10 ) ابنــه :



## علـى الهـادى العسكـرى

فهو على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فهو وارث سر ابيه فى العلم والعبادة ، والمعرفة بالله والدين والفضل وهو عاشر ائمة الامامية وسمى بالعسكرى لسكناه تحت المراقبة العسكرية وكان سبب ذلك انه لما سعى به لدى المتوكل ارسل اليه ، ووضعه تحت الاقامة الجبرية بمدينة « سر من رأى » العسكرية ، وكانت على مرحلة من بغداد ، وتسمى اليوم عند المؤرخين سامرا ، وهى الآن خراب من المدن الاثرية من ذلك العهد لانه لا فائدة فى سكناها بعد جلاء القوات العسكرية عنها ، وكانت تسمى العسكر ايضا ، وكان زاهدا جواد الكفين يعطى بكلتا اليدين ، ومن مناقبه فى الكرم : ان أعرابيا من اعراب الكوفة جاءه وقال له : انى من المتمسكين بولاء جدك ، وقد ركبنى دين اثقلنى حمله ، ولم اقصد لقضائه سواك ، فقال : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فقال طب نفسا بقضائه ان شاء الله ، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه ، اى المتصدق ، وقال له : ايتنى به فى المجلس العام للعلم وطالبنى بما فيها ، واغلظ على فى الطلب ففعل الرجل كما طلب اليه ، فاستمهله ثلاثة ايام ، فبلغ ذلك المتوكل ، فأمر له بثلاثين الفا فلما وصلته أعطاها الاعرابى كلها ، وقال يا ابن رسول الله ان العشرة اقضى بها اربى ، فأبى ان يسترد من الثلاثين شيئا ، فولـى الاعرابى وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالاته » ومن مناقبه ان امراة زعمت انها شريفة بحضرة المتوكل فسأل من يخبر بأمرها ، فدل على على الهادى العسكرى فجىء به واجلسه معه على السرير وسأله فقال : على العسكرى ان الله حرم لحم أولاد الحسنين على السباع ، فلتلق للسباع ، فعرض عليها ذلك فاعترفت بكذبها · ثم قالت البطانة للمتوكل الا تجرب فيه ذلك ، فأمر بثلاثة من السباع فجعلت فى صحن قصره ، ثم دعاه فلما دخل بابه اغلق عليه ، والسباع قد أصمت الاسماع بزئيرها ، فلما دخل فى الحصن يريد الدرجة مشت اليه وقد سكتت وتمسحت به ودارت حوله ، وهو يمسحها بكمه ، ثم ربضت فصعد للمتوكل ، وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه ثانية كما فعلت فى الاولى ، ثم خرج فأمر المتوكل بجائزة عظيمة فالحق بها ، فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه ، وقال لهم : أتريدون قتلى ؟ ثم أمرهم ان لا يفشوا ذلك ثم سعى به الى المتوكل ، فأقدمه مـن المدينة المنورة مثوى الآباء والاجداد الى سامرا ، وقد ظل مقيما بها تحت

الاقامة الجبرية نحو ( 20 ) سنة ، ولم تنتطع السعايات عنه ، وهو مقيم فى المعسكر ، فقيل للمتوكل ان بمنزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته ، فوجه اليه ليلا من هاجمه فى منزله وهو غافل ، فوجده فى بيت وحده ، عليه مدرعة من شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصا وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو يقرأ ويدعو فحمل الى المتوكل فى جوف الليل ، فمثل بين يديه وهو يشرب الخمر فأجلسه الى جنبه ، وعرض عليه الخمر ، فاستعفى فأعفاه ، ثم قال له : انشدنى شعرا فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم … علب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم … فأودعوا حفرا يا بيسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا … اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة … من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم … تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا … فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا تحصنهم … ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا … فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
فأضحت منازلهم قفرا معطلة … وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته ، ثم أمر برفع الشراب ، وأمر له بأربعة آلاف دينار ، ورد الى منزله مكرما ، ثم سعى به بعد ذلك فأمر بقتله فألقى فى بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن اكله ، ولاذت بجانبه ، وهابت الدنو منه ثم بنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى حتى توفى رضى الله عنه بسامرا فى جمادى الاخيرة سنة ( 254 ) هجرية ، ودفن بداره ، وعمره ( 40 ) سنة فيكون ميلاده ( 214 ) فى خلافة المامون ، وخلف من الذكور أربعة وانثى واحدة ، والذى ورث سر ابيه منهم اجلهم واكرمهم الحسن .

و ( 11 ) ابنه :

## الحسن الخالص العسكرى

فهو الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فكان رضى الله عنه وارث ابيه فى العلم والعرفان ، والعبادة والدين والفضل والجود



وكمال العقل وهو طفل ، ومن مناقبه ما رواه ابن خلكان أن بهلولا وجده يبكى وهو صبى فظن انه يبكى لما رآه فى يد الصبيان وهم يلعبون فقال له : انشترى لك ما تلعب به ؟ فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا ! فقال له : ولماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة ، فقال له : من اين لك هذا ؟ قال من قول الله تعالى : افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات لم ينقلها الحفاظ ثم خر مغشيا عليه ، فلما افاق قال له بهلول ما نزل بك وانت صغير لا ذنب لك ، فقال : اليك عنى يا بهلول ، انى أرى والدتى توقد النار بالحطب الكبير فلا تتقد الا بالصغير ، وانى أخشى أن اكون من صغير حطب نار جهنم ، وسعى به لدى المعتمد على الله بن المتوكل فسجنه فقحطوا تلك السنة قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد أن يخرج الناس للاستسقاء فخرجوا واستسقوا ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب فمد يده وجعل يدعو وسرعان ما انتشر الغيم وهطلت السماء ، ثم فى اليوم الثانى وقع مثل ذلك ، فشك بعض الجهلة وارتد فشق ذلك على الخليفة ، فأمر باطلاق الحسن ، ثم دعاه وقال له : ادرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تهلك ، فالتمس منه الحسن أن يخرجوا فى يوم الغد ، وكلم الخليفة فى اطلاق أصحابه من السجن ، فخلى سبيلهم ، فلما خرجوا وجعل الراهب يدعو رافعا يديه الى السماء ، وهو فى وسط النصارى ، فغيمت السماء فى الحين وجعل المطر ينزل ، فطلب الحسن من الامير أن يؤتى بالراهب فأمر بفتشه فوجد معه عظم آدمى كان يتوسل به فأخذوه منه وقالوا له بعد ذلك ادع وتوسل بما كنت تتوسل به ، واطلب المطر فتوسل وارتفع ما كان موجودا من الغيم ، وصحت السماء ، وظهرت الشمس فعجب الناس من ذلك ! فسأل الخليفة الحسن وقال له : يا أبا محمد ما هذا ؟ قال هذا عظم نبى من الانبياء ظفر به هذا الراهب من بعض القبور فجعل يتوسل به الى الله ، وما توسل بعظم نبى الا استجيب له ، وهطلت السماء مطرا فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال : وزالت الشبهة عن الناس ، ورجع الحسن مشكورا مكرما عند الخليفة ، فأقام فى داره والخليفة يصله فى كل مناسبة صلة الى أن مات بسامرا سنة ( 260 ) هجرية ، وكان ميلاده فى ( 232 ) وله من العمر ( 28 ) سنة فى خلافة المعتمد على الله ودفن بها عند أبيه وعمه ، ويقال : انه مات مسموما أيضا ولم يخلف غير ولده ووارث سره محمد .

و ( 12 ) ابنه :

## الامـام محمـد الحجـة

فهو محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بـن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، وكان له من العمر عند وفاة ابيه خمس سنوات ، وهو آخر الائمة الاثنى عشرية ، للشيعة الامامية ، ويسمى عندهم القاسم المنتظر وفيه اقوال عندهم ، فقيل ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ؟ ومن ثم يعتقدون انه المهـدى المنتظر ، وقد بسط محب اهل البيت ابن حجر الهيثمى الكلام على ذلك فى الفصل الاول من كتابه الصواعق المحرقة ·

وقد بسطت الكلام عليه فى تأليفى العقيدة الناصعة للمسلم والمسلمة ، وما ورد من الاحاديث فى ذلك ، منها ما له طرق الصحيح ، ومنها ما هـو ضعيف ، وترجع الحقيقة فى ذلك لله وحده لا رب سواه والله أعلم بغيبه واحكـامـه .

## الشيعـة والتشيـع لاهـل البيـت

كثيرا من الناس يجهلون ما هو التشيع ، ومن هم الشيعة ، وسأبينه لك لغة وعرفا وحقيقة ، فمن الوجهة اللغوية معناه فى هذا الموضوع التبعية والمرافقة ماخوذ من شاعكم السلام ، وشاعكم الله بالسلام ، اى رافقكم السلام ، واتبعكم الله بالسلام ، فهو من الثلاثى ومن الرباعى المعدى بالالف والمضعف ، ومنه شيع الرجل اى قواه ، وياتى من شايع الرجل اى تابعه وقواه وولاه على أمر ، ويقال : تشيع الرجل ادعى دعوة الشيعة ، والامام الحسن السبط رضى الله عنه هو الذى يفسر لنا كلمة الشيعـى والمحب ، قال له رجل يا ابن رسول الله من شيعتكم فقال له عليه السلام : يا عبد الله ان كنت لنا فى أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد فى ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها ، لا تقل انا من شيعتكم ولكن قل انا من مواليكم ومحبيكم ، ومعادى اعدائكم وانت فى خير والى خير ، ومن كلامه رضى الله عنه ، صور الله عز وجل على بن ابى طالب فى ظهر ابى طالب على صورة محمد فكان على بن ابى طالب اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الحسين اخى اشبه الناس بفاطمة بنت رسول الله ، وكنت انا اشبه الناس بخديجة ام المومنين رضى الله عنها ، نحن الآخرون ونحن الاولون ، ونحن النـور ، وبنـور



الروحانيين ننور من نور الله ، ونروح بروحه · فينا مسكنه ، والينا معدنه ، الآخر منا كالاول ، والاول منا كالاخر ، ان الله اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه ، وانزل علينا وحيه ، وان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا ، ونحن نفس محمد ورهطه ، وأهل بيته فو الذى بعث محمدا بالحق لا ينقص من حقنا — أهل البيت — أحد الا نقصه الله حقه مثله من عاجل دنياه وآخرته ، ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة : ولتعلمن نبأه بعد حين » والله لا يحبنا عبد ابدا ولو كان اسيرا فى الديلم الا نفعه حبنا ، وان حبنا لساقط الذنوب من بنى آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر نحن الابرار ، كل ما فى كتاب الله عز وجل ، ان الابرار ، فو الله ما أراد به الا على بن ابى طالب وفاطمة واياى والحسين أخى ، لاننا نحن الابرار ، بآبائنا وأمهاتنا وقلوبنا علت بالطاعات والبر ، وتبرأت من الدنيا وحبها ، وأطعنا الله فى جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته ، وصدقنـا برسولـه .

وأخرج الطبرانى بسند فيه ضعف ، ان عليا أتـى يوما بالبصرة بذهب وفضة ، فقال : أبيض أصفر غرا غيرى غرا أهل الشام غدا اذا ظهروا عليك ، فشق قوله ذلك على الناس ، فذكر ذلك له ، فأذن فى الناس فدخلوا عليه ، فقال : ان خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا على : انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضابا متمحين ، ثم جمع يده الى عنقه يريهم الاقماح ، وشيعته هم أهـل السنة الذين أحبوهم كما أمر الله ورسوله ، وأما غيرهم فأعداؤه على الحقيقة لان المحبة اذا لم تكن موافقة للشرع ولم تكن جارية على سنن الهدى ، تلك هى العداوة الكبرى ، ولهذا كانت محبة مبتدعة أهل العراق سببا لهـلاك جلهم كما مر آنفا . وعن على رضى الله عنه بسند رجاله ثقات انه قال : على المنبر هلك فى رجلان : محب غال — تبين انهم الشيعـة الروافض وأصحاب عبد الله بن سبا — ومبغض قال : تبين أنهم هم الخوارج · وروى فيهم الامام احمد وغيره : انهم كلاب أهل النار . فقيل للصحابى : الازارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بل الخوارج كلها ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلك مثل عيسى بن مريم ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، واحبته النصارى حتى تركوه بالمنزلة التى ليست له . ثم قال هلك فى رجلان : محب مطر مفرط بما ليس فى ، ومبغض مفتر يحمله شنئانى على أن بهتنى ، الا انى لست بنبى ، ولا يوحى الى ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم بطاعة الله فحق عليكم طاعتى ، فيما

احببتم وكرهتم . وقد اخرج صاحب المطالب العلية عن على كرم الله وجهه ، انه مر على جمع فأسرعوا اليه قياما فقال : من القوم ؟ فقالوا من شيعتك يا أمير المومنين ، فقال لهم خيرا : ثم قال : يا هؤلاء ، مالى لا أرى فيكم سيمة شيعتنا ، وحلية احبتنا ، فأمسكوا حياء فقال له من معه : نسألكم بالذى اكرمكم ــ أهل البيت ــ وخصكم وحباكم ، لما نبأتنا بصفة شيعتكم ، فقال رضى الله عنه : شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب ماكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، نجعوا لله بطاعته ، وخضعوا اليه بعبادته ، مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، رامقين اسماعهم على العلم بربهم ، نزلت منهم انفسهم فى البلاء ، كالتى نزلت منهم فى الرخاء ، رضوا عن الله تعالى بالقضاء ، فلولا الآجال التى كتب الله تعالى لهم : لم تستقر ارواحهم فى اجسادهم طرفة عين ، شوقا الى لقاء الله والثواب ، وخوفا من اليم العقاب عظم الخالق فى انفسهم ، وصغر ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها واهلها على أرائكها متكئون ، وهم والنار كمن رآها واهلها فيها معذبون ، صبروا اياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، أما الليل فصافون اقدامهم تالون لاجزاء القرآن ترتيلا يعظون انفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة وتارة ، يفترشون جباههم واكفهم ، وركبهم ، واطراف أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يمجدون جبارا عظيما ، ويجئرون اليه فى فكاك رقابهم هذا ليلهم ، أما نهارهم فحكماء بررة ، علماء اتقياء ، براسهم خوف باريهم ، فهم كالقداح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم فاذا أشفقوا من ذلك بادروا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية ، لا يرضون بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، ترى لاحدهم قوة فى دين وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا على علم ، وفهما فى فقه ، وعلما فى حلم ، وكسبا فى قصد ، وقصدا فى غنى ، وتحملا فى فاقة ، وصبرا فى شفقة وخشوعا فى عبادة ورحمة لمجهود ، واعطاء فى حق ، ورزقا فى كسب ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، واعتصاما فى شهوة ، لا يغره ما جهله ، ولا يدع احصاء ما عمله ، يستبطىء نفسه فى العمل ، وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الشكر ، ويمسى وهمه الشكر ، يبيت حذرا من سنة الغفلة ، ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ورغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى قد



قرن العلم بالعمل ، والعلم بالحلم دائما نشاطه ، بعيدا كسله ، قريبا أمله ، قليلا زلله ، متوقعا أجله ، عاشقا قلبه شاكرا ربه ، قانعا نفسه ، محرزا دينه ، كاظما غيظه ، آمنا منه جاره ، سهلا أمره ، معدوما كبره ، بينا صبره ، كثيرا ذكره ، لا يعمل شيئا من الخير رياء ، ولا يتركه حياء أولائك شيعتنا ، واحبتنا ، ومنا ، ومعنا ، الا هؤلاء شوقا اليهم ، فصاح بعض من معه ، وهو همام بن عباد بن خيثم ، وكان من المتعبدين صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فاذا هو فارق الدنيا ، فغسل وصلى عليه أمير المومنين ومن معه .

فتأمل وفقنا الله واياك لطاعته ، وأدام علينا وعليك سوابغ نعمته ووقانا واياك من كيد الشيطان بعصمته ، وحمانا بحمايته ، هذه الاوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة ، تعلم انها لا توجد الا فى أكابر العارفين بالله من الائمة الوارثين الواصلين . اما الشيعة من غير هؤلاء الموصوفين بمحامد الصفات ، فهم منقسمون حسب أهوائهم وأفكارهم الى ما يأتى : فمنهم الشيعة الروافض ، وفيها مذاهب ، وكلها مبتدعة ، وهى اخبث الفرق الشيعية ، وسموا بهذا الاسم لانهم رفضوا امامة الشيخين : أبى بكر وعمر ، كما رفضوا كذلك امامة الشيخ المبتلى عثمان بن عفان ، الذى كانت تستحيى منه ملائكة الرحمن رضى الله عنهم ، واعتبروهم غاصبين لحق على كرم الله وجهه فى الخلافة ابتداء ، وهذا أمر ينكره على كرم الله وجهه ولا يراه لنفسه ولا احد من ابنائه ، ولا يراه أهل السنة والجماعة التى فيهما عصمة الامة ، الذين أخلصوا العمل لله ولرسوله من قادة ائمة المسلمين ، وانما هو وحى شيطانى أوحت به النفوس الخبيثة الامارة بالسوء ، ومحكوم عليه بأنه اعتقاد فاسد وأهله خارجون به عن طريق اهل السنة والجماعة ، الا انه ذنب لا يوجب كفرهم عندهم ، وان اقدحوا فى امامة الاشياخ الثلاثة ، وسبوهم علانية فهم مبتدعون فاسقون ، وأول من سماهم الرافضة سيدنا زيد بن على زين العابدين بن الحسين وكان سبب ذلك محاورة جرت بينه وبينهم بعد مبايعتهم له فى الكوفة على خروجه على ظلم يوسف بن محمد عامل الكوفة فى عصر هشام بن عبد الملك وهو القائم الثانى بعد جده الامام الحسين فى عصر الامويين ، ومن المؤسف انه لقى نفس مصير جده ، ولما عزم على الخروج نصحه بعض بنى عمه بأن اهل الكوفة لا يعتمد عليهم فى الخروج سيما وقد تكرر غدرهم لاهل البيت ، فأبى الا أن يخرج مفضلا الانتحار فى المعركة على الحياة التعسة تحت سلطة من كن يراه من سقطاء الاوباش ، فخرج ، وقتل ، وصلبت

جثته على باب الكناسة من ابواب الكوفة ، وصلب رأسه على احدى أبواب دمشق ، والامر لله وحده ولا يغنى حذر من قدر ، وقبل خروجه جاءه وفد من شيعة العراق يناظرونه فقالوا له : ما قولك فى أبى بكر وعمر ؟ قال : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت احدا من أهل بيتى يقول فيهما الا خيرا ، وان احق ما اقول فيما ذكرتم : انا كنا أهل حق بسلطان ما ذكرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا ، وقد ولوا فعدلوا فى الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة · ثم قالوا له : فلم يظلمك هؤلاء ، اذا كان أولائك لم يظلموك فلم تدع الى قتالهم ؟ فقال لهم : ان هؤلاء ليسوا كأولائك ، هؤلاء ظالمون لى ولكم ولانفسهم ، وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيى ، والى البدع أن تموت ، فان أجبتمونا سعدتم ، وان أبيتم فلست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا سبق الامام يعنون أخاه محمدا الباقر ، وكان قد توفى سنة ( 117 ) فسماهم رافضة .

ومما يزيد الاسى اسفا أن ابنه يحيى خرج على اثره فلقى نفس مصير أبيه وجده رضى الله عنهم وكانت هذه الحوادث بعد ولاية يوسف بن عمر الثقفى على العراق سنة ( 120 ) هجرية ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية ، وهم كثيرون باليمن الى الآن . ومنهم الشيعة الامامية ، ومنهم الشيعة الفاطمية ، ومنهم الشيعة الكيسانية ، وينسبون الى كيسان ، وهو لقب للمختار بن أبى عبيد داعية محمد بن الحنفية الذى تقدم الكلام عليه وصاحب فتنة الكوفة بعد وقعة كربلاء ومنهم من تولى ابنه عليا زين العابدين ويرى الخلافة حقا له ، الا أنه مغصوب فيما هو حق له ، ويرون ان الخلافة محصورة فى أولاد على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومنهم الشيعة الاسماعلية ، نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويرون ان الامام بعد أبيه بالنص ، وفائدة النص عندهم بقاء الامامة فى عقبه ، وهم متفقون فى الرأى مع الامامية الاثنى عشرية ، القائلين بأنه لا بد للناس من امام معصوم يبلغهم الشريعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشريعة لا توخذ بالرأى ، ويتفقون معهم على امامة الستة ، الى جعفر الصادق ، وينفرد الآخرون بقولهم : بالائمة الاثنى عشرية ، وهؤلاء يقولون ان الحسين هو الذى قتل دون الخلافة فهى فى عقبه ، وعلى زين العابدين هو الذى بقى من عقبه بعد وقعة كربلاء ، وان عليا أمير المومنين هو الوصى أوصى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة ، ثم الامام من بعده ، الحسن ثم الحسين ، ثم ابنه على زين العابدين ، ثم محمد الباقر ، ثم



جعفر الصادق ، ثم موسى الكاظم ، ثم على الرضى ، ثم محمد الجواد ، ثم على الهادى العسكرى ، ثم الحسن الخالص العسكرى ، ثم أبو القاسم محمد الحجة . وقد تقدمت تراجم هؤلاء الائمة ، وأشرت الى أحوالهم وحياتهم فى عصر الخلفاء ، ليطلع كل واحد على أهل الفضل وما لقوه من بلاء على يد معاصريهم ، تعرفا عليهم وتبركا بهم لانهم كانوا عباقرة أهل زمانهم فى الفضل والتقوى والاستقامة الكاملة · رضى الله عنهم ، وهذه الفرق كلها سنية ما عدا الروافض فمبتدعون فاسقون ، لان فرقتهم انفردت برأيها ودعوتها فى الاشياخ الثلاثة رضى الله عنهم وقد نفى الامام على كرم الله وجهه بكلامه الشيعة الرافضة المبتدعين ومن يرون رأيهم ، فانهم اخوان الشياطين ، واعداء الدين ، وسفهاء العقول ، ومخالفوا الفروع والاصول · ومنتحلوا الضلال ومستحقو عظيم العذاب والنكال ، فهم ليسوا بشيعة لاهل البيت الذين هم من كل ما ادعوه مبرءون ومن قبيح الاثم والرجس مطهرون ، وحتى من شوائب النقص والدنس منزهون ، فانهم قد أفرطوا وفرطوا فى جنب الله · فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين فى مهالك الضلال والاشتباه ، وانما هم شيعة ابليس اللعين ، وحلفاء أبنائه المتمردين · فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين · فكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط بأخلاقهم ، ولا عمل فى عمره بقول من أقوالهم ، ولا تأسى فى دهره بفعل من أفعالهم ، ولا تأهل لفهم شيء من أحوالهم ليست هذه محبة فى الحقيقة ، بل هى بغضة عند أئمة الشريعة والطريقة ، اذ حقيقة المحبة طاعة المحبوب وايثار محابه ومرضاته ، على محاب النفس ومرضاتها والتأدب بآدابه ، والتخلق بأخلاقه ، ومن ثم قال الامام على كرم الله وجهه لا يجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر ، لانهما ضدان ، لا يزعم الرافضة انهم يحبون أهل البيت لانهم أفرطوا وابدعوا فانقلب عليهم حبهم بغضا لاهل البيت يقينا ، بسبب ما ادعوه من تكفير الاشياخ الثلاثة وسبهم علانية ، وهم أصحاب رسول الله والقائمون على هديه وسنته ، وخلفاؤه العاملون بكتاب الله من بعده · وقال عليه الصلاة والسلام تشريفا وتعظيما لحقهم : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة · وقد أجمع أهل السنة والجماعة من أهل عصرهم على أن رأيهم هذا فاسد أى الرافضة المتقدمون وليس من الدين فى شيء ولا يمكن أن يتقرب به الى الله أبدا ، بل اعتقادهم ذلك زيغ منهم عن الصراط المستقيم ، : أزاغ الله قلوبهم والله

لا يهدى القوم الفاسقين » وفى هذا القدر كفاية ، لان اللبيب تكفيه الاشارة ، ومن أراد استقصاء أمر الشيعة ومذاهبهم فعليه بالملل والنحل للامام ابن حزم رحمه الله ·

## حب آل البيت شعبة من الايمان

كيف يصح ايمان من فقد شعبة من شعبه ، ومبدأ صحيحا من مبادئه، وقد قال عليه الصلاة والسلام الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا الاه الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق · وكيف يعقل أن ياتى مسلم بأنواع من الطاعات وفى قلبه معاداة وبغض لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وحسد على ما آتاهم الله من فضله ، ومودتهم جاءت منصوصا عليها فى الكتاب والسنة واجماع اهل السنة والجماعة ، وفى الآداب قيل فى حبهم :

| | |
|---|---|
| ومن يدعى حب النبى ولم يكن | بسنته مستمسكا فهو كاذب |
| علامة صدق المرء فى الحب أن يرى | على منهج كانت عليه الحبائب |

فكيف بهذا المخذول الذى أصم سمعه وجعل فى اذنيه وقرا عن سماع ايراد شىء من النصوص فى فضلهم ومودتهم وحبهم ، أن يحدث نفسه بشفاعة جدهم ، وقد عرضت عليه أعماله معهم صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدمت أحاديث كثيرة فى هذا الشأن ، منها ما أخرجه ابن عساكر ، عن على كرم الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله · ولو ذكرنا على سبيل الفرض والتقدير ان أحدا قال : جاهلا أو متجاهلا ، انه مسلم ولكنه يبغض أهل البيت ، فهل يقبل منه عمله ؟ نصوص السنة انه لا ايمان له حتى يتوب ويرجع الى حبهم ، واذا مات بغير توبة ، فان أمير المومنين عليا كرم الله وجهه سيكون واقفا على الحوض وبيده عصا يطرد بها عن الحوض أعداء أهل البيت ، وعلى هذا فايمانه باطل ، وأعماله غير مقبولة لما فيها من المخالفة لنصوص الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يمكن أن يكون عمله مقبولا بعد الموت ويثاب عليه ثواب المحسنين · قال الله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » وقد تقدم تفسير الآية فى محله ، ومن السنة المطهرة عن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا يدخل قلب امرىء مسلم الايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى · وان شئت سعة الادلة فى الموضوع فراجع ترجمة حقوقنا الادبية ، وكما جاءت نصوص



الشريعة بالترغيب فى حبهم كذلك جاءت بالنهى عن بغضهم واذايتهم ، وبما ان الحب والبغض ضدان يفترقان ولا يجتمعان ، لذلك جاءت نصوص الشريعة بالحض على كل منهما اذ الترغيب فى الشىء نهى عن ضده، وحكمة الترغيب فى حبهم ايصال نتيجته لهم وهو النفع الدنيوى ، ونية التقرب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسواء كان ذلك النفع ماديا كالبذل لهم والدب عنهم، او معنويا كايصال العلم للمتعلم منهم ، والذى هو آكد من هذا كله هو العفو عن مسيئهم ، ومن ذلك ما فعله امام الائمة « مالك » بن انس رحمه الله ، وقد ورد فى قصته مع جعفر بن سليمان العباسى عامل المدينة المنورة ، انه لما ضربه ونال منه حتى حمل مغشيا عليه ، فلما أفاق قال : اشهدكم انى جعلت ضاربى فى حل · ثم سئل فقال : خفت أن أموت والقى النبى صلى الله عليه وسلم واستحيى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى · وهذا أبلغ ما يكون فى تقدير أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم واعظم ذلك العفو عن مسيئهم ابتغاء وجهه الكريم ، قيل ولما قدم جعفر المنصور المدينة ، أرادا قادته من عاملها جعفر بن سليمان المذكور ، فقال مالك رضى الله عنه : اعوذ بالله ، والله ما ارتفع منه سوط الا وقد جعلته فى حل ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما ذكرته كفاية ، وحكمة الترهيب من بغضهم ، ابعاد نتيجة البغض عنهم ، وهى اذايتهم بالقول كسبهم ، ولعنهم ، والسعى بهم الى من بيده هلاكهم ، وقول ما يبعث على اغضابهم كالكذب عليهم ، واما اذايتهم بالفعل فهى كضربهم ، وقتالهم ، وقتلهم ، والوقوع فى اعراضهم كالزنى بالمراة الشريفة طوعا او كرها ، فان ذلك كله يسوء النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذيه عند ما تعرض أعمال أمته عليه مرتين فى كل أسبوع ، وأفدح من ذلك الاعتداء على شرف بناتهم ، ويستوى فى هذه المنهيات التى توذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو من سفهاء أهل البيت ومن غيرهم من سائر أهل الايمان بالله . وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم على من آذاهم ، وكل نبى مجاب الدعوة . فقال : اللهم آذ موذيهم ولو كان منهم . وكل من تعمد اذايتهم فليس بمعجز فى الارض وليس له من دون الله ولى ولا نصير · وليكن على يقين ان عقابه محقق ان عاجلا او آجلا لانه اعتداء على حرمته صلى الله عليه وسلم فى نهاية الامر ، لان الله تعالى هو الذى اكرمه وجعل له أهل بيت ، وهو الذى أمر باحترامهم فوق كل اعتبار ، اذ حرمة المسلم عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة ، كما لا يجوز شرعا الاعتداء على الكعبة بين المسلمين ، كذلك لا يجوز الاعتداء على حرمة مطلق المسلم

المتحلى بالايمان والاعمال الصالحة ، وكما لا يجوز شرعا الاعتداء على مطلق مسلم لا يجوز الاعتداء على من جمع بين الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يغار على أن تنتهك حرماته ، وقد ضرب لنا مثلا بالبيت العتيق والكعبة المشرفة وقص علينا دفاعه عنهما وغيرته عليهما فى سورة الفيل : وهو قوله تعالى : الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل السورة » واوصى باحترام حرمات الله فقال : ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » وقال فى آية أخرى : ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وقال صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أهل بيتى · أى خافوه فى أهل بيته . فاذا كان احترامهم فرضا على الامة من طرف شريعة الاسلام ، فانه كان من اللائق بنا أن نعاملهم من نفس الشريعة بأن نحسن الى محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم ، غير أننا لا نترك تذكيرهم وارشادهم بالتى هى أحسن ، فان تمادوا فى غيهم وطغوا بعد ذلك فلا خير فيهم ، قال الله تعالى : ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » وان كانت الشريعة تحتم طاعة أولى الامر ، كما قال تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » فان هذه الطاعة أمر تكميلى ، لان المومن ان أطاع الله تعالى فى امتثال أمره واجتناب نهيه ، وأطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك ، بقى عليه أن يطيع القائم عليهما كذلك لان أمره ونهيه منهما ، فاذا أتى بشىء من عند نفسه مما يخالف نصوص الكتاب والسنة · فهنا قف ، وقل لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وهى السنة ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : الطاعة فى المعروف · وسبب هذا الحديث ما روى فى صحيح البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار ، وامرهم أن يطيعوه ، فغضب ، فقال : أليس أمركم النبى صلى الله عليه وسلم أن تطيعونى ؟ قالوا بلى ، قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فأوقدوها ، فقال : ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ، ويقولون فررنا الى النبى صلى الله عليه وسلم من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة ، الطاعة فى المعروف · وأخذ من الحديث ان صاحب التاويل الفاسد غير معذور ، ولنا فى آية لقمان مبلغ فى حسن المعاشرة ، وهى قوله تعالى : وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى » فان الانسان اذا ابتلاه الله بكافر فى أهله وله يد



عليه ، فان الشرع يامره من جهة بمعاشرته بالجميل والاحتمال فى هذه الحياة الدنيا ، وينهاه من جهة أخرى عن اطاعته اذا أراد منه أن يشرك بالله ويكفر به ، حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق · وهو مع ذلك مامور باتباع سبيل من اناب اليه تعالى من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لما سيعود على من اتبعهم من النفع ، : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » من الكفر والنفاق وبغض آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لانهم سيعطون الشفاعة يوم القيامة ·

روى أبو الفرج الاصبهانى من حديث عبد الله بن عمر عن القواريرى قال : حدثنا يحيى بن سعيد بن ابان القرشى قال : دخل عبد الله الكامل ابن حسن بن حسن بن على على عمر بن عبد العزيز ، وهو حدث السن ، وله وفرة ، فرفعه عمر وأجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم اخذ بمنكبه فغمزها حتى أوجعه ، وقال : اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج لامه قومه وقالوا فعلت بغلام حدث : فقال : ان الثقة حدثنى لكأنى أسمعه من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما فاطمة بضعة منى يسرنى ما سرها ، وانا اعلم ان فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها ، قالوا فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت ؟ فقال : انه ليس أحد من بنى هاشم الا وله شفاعة ، فأردت ان اكون فى شفاعة هذا ·

## ترغيب الشارع فى حب آل البيت

وصح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، واحبونى لحب الله ، واحبوا اهل بيتى ·

واخرج البيهقى وغيره لا يومن عبد حتى اكون أحب اليه من نفسه ، وتكون عترتى أحب اليه من عترته ، ويكون اهلى أحب اليه من أهله ، وتكون ذاتى أحب اليه من ذاته ·

وصح ان العباس قال : يا رسول الله ، ان قريشا اذا لقى بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال : والذى نفسى بيده ، لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله · وفى رواية لابن ماجة عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال : ما بال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجال من اهل بيتى قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى ·

وفى رواية اخرى للامام احمد وغيره : لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتى · وفى رواية اخرى للامام الطبرانى جاء العباس رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انك تركت فينا ضغائن ، منذ صنعت الذى صنعت اى بقريش والعرب فقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ الخير او قال : الايمان عبد حتى يحبكم لله ولقرابتى ، أترجو سهاب اى حى من مراد شفاعتى ولا يرجوها بنو المطلب ؟ ·

وروى الامام الطبرانى أيضا يا بنى هاشم ، انى قد سألت الله عز وجل لكم ان يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته ان يهدى ضالكم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم · وان العباس رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى انتهيت الى قوم يتحدثون ، فلما راونى سكتوا وما ذاك الا انهم يبغضوننا ، فقال صلى الله عليه وسلم : او قد فعلوها ؟ والذى نفسى بيده لا يومن احد حتى يحبكم لحبى ، ايرجون ان يدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب ·

وفى حديث بسند فيه ضعف انه صلى الله عليه وسلم خرج مغضبا فرقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ما بال رجال يوذوننى فى اهل بيتى ؟ والذى نفسى بيده ، لا يومن عبد حتى يحبنى ، ولا يحبنى حتى يحب ذوى ·

وفى رواية للبيهقى وغيره ، وفى بعض سندها ضعف واه ، ان نسوة عيرن بنت ابى لهب بأبيها ، فغضب صلى الله عليه وسلم حتى اشتد غضبه ، فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس مالى اوذى فى اهلى ؟ فو الله ان شفاعتى لتنال قرابتى · وفى رواية ما بال اقوام يوذوننى فى نسبى وذوى رحمى ؟ الا ومن آذى نسبى وذوى رحمى ، فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى ·

وروى الامام الطبرانى : ان ام هانىء اخت على رضى الله عنهما ، بدا قرطاها ، فقال لها عمر : ان محمدا لا يغنى عنك من الله شيئا فجاءت اليه واخبرته ، فقال صلى الله عليه وسلم : تزعمون ان شفاعتى لا تنال اهل بيتى ؟ وان شفاعتى تنال صداء وحكما وهما قبيلتان من عرب اليمن ·

وروى البزار : ان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم توف



لها ابن فصاحت فصبر النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت ساكتة فقال لها عمر : صراخك ان قرابتك من محمد صلى الله عليه وسلم لا تغنى عنك من الله شيئا ، فبكت فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها ، فسألها فأخبرته بما قال عمر ، فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال : ما بال أقوام يزعمون ان قرابتى لا تنفع ، كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ، الا سببى ونسبى ، فانها موصولة فى الدنيا والآخرة · الحديث بطوله وفيه ضعفاء ·

وصح انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر : ما بال رجال يقولون ؟ ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه يوم القيامة ، والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وانى ايها الناس فرطكم على الحوض ·

ولا ينافى هذه الاحاديث ما فى الصحيحين وغيرهما : انه لما نزل قوله تعالى : وانذر عشيرتك الاقربين » خرج فجمع قومه وقال : يا معشر قريش اشتروا انفسكم ولا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ، يا صافية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا ، زاد فى بعض الروايات ، غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها ·

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا ، فجعل ينادى ، يابنى فهر ، يا بنى عدى لبطون من قريش ، قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، اكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال ، فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد · فقال ابو لهب : تبا لك ، الهذا جمعتنا ؟ فنزلت سورة : تبت يدا ابى لهب » روى ان حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل الاشواك ليلا وتضعها فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام ، ولقبت ايضا بالعوراء ، لكونها هجمت على النبى صلى الله عليه وسلم بحجر يملأ كفها ، وهو فى المسجد فلم تره ، وهو جالس الى ابى بكر الصديق ، وكانت تسمى أم جميل ، وبعد ما قرئت عليها سورة : تبت يدا الى آخرها · اصعدت وارعدت كأنها مجنونة ، وحملت حجرا ملء كفها ، لتضرب به فاهه صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى شدة الاسراع والخفة كالورقاء ، — الحمامة — فجاءت المسجد وهى غضبى ، من شدة وقع ما سمعته فى نفسها ، وفى

زوجها ، قائلة : أفى مثلى وأنا ابنة سيد بنى امية — وهى اخت سفيان بن حرب — وزوجة ابى لهب ، يقال الهجاء ! ؟ اى السب والذم ، صادرا من احمد صلى الله عليه وسلم ، فلما رآها ابو بكر ، قال يا رسول الله انهـا امراة بذئة اللسان فلو قمت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انها لن ترانى ، وهما فى المسجد الحرام فجاءت فلم تر الا ابا بكر ، فقالت يا ابا بكر أين صاحبك ؟ كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ، والله انى لشاعـرة ، وانشدت :

مـذممـا عصينـا          وامـره ابينـا

فقال لها ابوبكر : لا والله هو لا يقول الشعر ، فقالت انت عندى مصدق ، فانصرفت فقلت يا رسول الله : لم ترك ، قال : لم يـزل ملك يسترنـى منهـا بجنـاحيـه ·

وفى رواية قد اخذ الله بصرها عنى · وكانت قريش تلقب النبـى صلى الله عليه وسلم مذمما ضد محمدا ، ثم يسبونه به ، ثم تولت أى رجعت ولم تره ، وهى فى غاية من عمى البصيرة ، وطمس السريرة ، وهل ترى الشمس العمياء ؟ ولقبت بعد ذلك بالعوراء ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : الا تعجبوا لما صرف الله تعالى عنى من اذى قـريش ! ؟ يسبـون ويهجون مذمما ، وانا محمد ·

وقالوا هذه الرواية مؤولة بمن مات كافرا ، او انها خرجت مخـرج التغليظ والتنفير ، او انها قبل علمه بأنه يشفع عموما وخصوصا ·

وروى الشيخان ان آل ابى فلان ليسوا لى بأولياء ، انما وليى الله وصالح المومنين · زاد البخارى تعليقا ، ولكن لهم رحم سابلها ببلالها . اى سأصلها بصلتها التى تنبغى لها . وروى مسلم كذلك فى صحيحه ، والطبرانى فى معجمه الكبير بلفظ ان لبنى طالب عندى رحما سابلها ببلالها ، وهـى محمولة على من لا خير فيه منهم . وفى حديث ورد موقوفا ومرفوعا ، صالح المومنين على كرم الله وجهه قال النووى رحمه الله ، ومعنى الحديث ، ان وليى من كان صالحا وان بعد منى نسبه · وروى الطبرانى ان اهـل بيتى يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أولى الناس بى منكـم المتقون من كانوا ؟ وحيث كانوا .

وقال غيره : المعنى : انى لا اوالى احدا بالقرابة ، وانما احب الله لما له من الحق الواجب على العباد ، واحب صالح المومنين ، اى المومنين الصالحين لوجه الله تعالى ، واوالى من والى الايمان والصلاح ، سواء



كانوا من ذوى رحمى أم لا ؟ ولكن ارعى لذوى رحمى حقهم فاصل رحمهم . وفى توثيق عرى الايمان للبزار ، عن الامام الحولى ما حاصله : ان خواص العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة بمحبته صلى الله عليه وسلم ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم . ثم قال : وينبغى الاغضاء عن انتقادهم .

## رؤيـا عجيبـة رأيتهـا

قد كنت عقدت العزم عند الشروع فى هذا التاليف المتواضع على ان اتعرض فيه لانتقاد ما أعرفه من اخلاق غير لائقة بأهل النسب الشريف من بعض العائلات من أبناء عمى ، وكان قصدى أن يعرفوا قبحها ويرجعوا عن ممارستها لانها تسىء الينا جميعا على السواء ، واخص ذرية القطب مولاى عبد السلام الساكنين ببنى عروس من جبل العلم ، ففوجئت برؤيا منامية عجيبة صرفتنى عن ذلك العزم ، ثم نويت ان لا أمس احدا بما قـد كنت عزمت عليه ، واكتفيت بما سوى ذلك ، وهى : اننى رأيت نفسى فى المنام ذاهبا الى زيارة جدى القطب مولاى عبد السلام ، وانا عريان مكشوف العورة ، وأنا فى غاية ما يكون من التحسر والحياء ، والخوف من أن يرانى الناس على ذلك ، وبعد ما اقتربت ووصلت من الضريح المبارك جعلت اتسلل لائذا بالاحجار الكبيرة الحجم ، مارا من ورائها ، ولما اقتربت جدا والقيت بنظرى على ساحة الضريح التى تكون دائما مفعمة بالواردين اليه وجدتها فارغة ليس هناك الا أسوار الاضرحة والساحة خاوية على عروشها، ثم رميت ببصرى الى البعد فلم أر أحدا لا ماشيا ولا مجيئا كأن الاحياء ليس بها احد ، وكأن البلد ليس به سكن مع العلم انه مفعم وآهل بالسكان ، والساحات تعج عجا بالخلائق الذاهبين والآيبين ليلا ونهارا على الدوام ، ولا يستثنى من ذلك الا أيام الثلوج والبرد القارس فى فصل الشتاء ، حينما تكون الارض مغطاة بالثلوج المتراكمة الاحجام ، وقد كنت من أجل الاخلاء مطئن النفس ومرتاح البال ثم اخذت فى الانحذار نحو الطريق المرصف الذى يمر بوسط قرية السكان ، وبينما انا واقف على الشروع فى الترصيف اذ فوجئت بأخ لى عليه جلبابان صاعدا فى حال زيارته لضريح الشيخ فطلبت اليه واحدة البسها حتى لا يرانى الناس على ذلك الحال من كشف العورة ، فاستيقظت وجعلت افكر فى هذه الرؤيا وما اشتملت عليه ، فأولتها بأن الشيخ رحمه الله يغار على احفاده ، ولا يسمح لمن يتعرض لانتقاد ذريته ، وان روحه الشريفة لن تزال مهيمنة عليهم وعلى غيرهم ، وعند ذلك مزقت

ما قد كنت كتبته فى ذلك ورجعت عنه ، لما قد كان فيه من الفضيحة لى ولابناء عمى لان النقد الخلقى قد تكون فيه مرارة على صاحبه ولا يحتمله ، وفقنا الله لما فيه رضى الله ورسوله ونفعنا بالصالحين من آبائنا وأجدادنا وجعلنا من شفعائهم آمين ، وانى أرجو منهم أن تكون هذه الرؤيا خيرا لى ولهم حتى يعتبروا ويرجعوا عن ممارسة ما الفوه من تهاون بالاخلاق الكريمة الشريفة الى خير رشدهم ، ويتبعوا ما كان عليه سلفهم الاماجد بالامس القريب والبعيد ، لان السىء من الاخلاق يطبع الشريف بغير طابع أصله ، وهى صفة تتنافى مع النسب الشريف ، لان الحجة ناطقة ، الاصيل يعمل بأصله ، كما ضرب به المثل ، وليس بيدنا حجة صحيحة على اتصال نسبنا بالنبى صلى الله عليه وسلم اتصالا يثبت الحقيقة وينفى ما سواها ، غير التمسك بما كان عليه سلفنا من مكارم الاخلاق ، لانها الطابع الاصيل ، وقد فتح علينا السىء من الاخلاق ثغرة للطعن لا يمكن التئامها من طرف رعاع المسلمين وهمجهم الامر الذى يشفى غليلهم فى اعتقادهم الاعمى أن النسب النبوى لا وجود له فى زمنهم هذا وفى نظرهم السائل ان الشريفة باعت عفتها بملء كفها ، ونحن لا ننكر انه يوجد سقيطات الاخلاق بيننا كما هو الشأن فى كل مجتمع ، ولكن النادر لا حكم له والحكم منوط بالاكثر ، والاكثرية لا تزال بخير والحمد لله ، ولا يمنعنا من الصاق هذه التهم بنا الا التمسك بمكارم الاخلاق وان بلغت الامة فى الفساد ما بلغت لانها وراثة صحيحة بل هى المعيار الباقى لصحة دعوانا الاتصال به صلى الله عليه وسلم والامة تنظر الى افعالنا وتحكم علينا ، ولهذا فانه يجب علينا أن لا نعرض النبى صلى الله عليه وسلم بسبب سىء اعمالنا لتهجماتها ، فنحن الآثمون على ما جنته سفهاء الامة على نفسها وعلينا وعلى النبى صلى الله عليه وسلم . بسببنا ، اللهم الهمنا رشدنا ، واجعلنا هداة مهتدين ، واجعل وراثتنا فى النبى الكريم وراثة ثابتة خالدة الى يوم الدين . ثم نرجع الى اتمام كلام البزار قال : ومن ثم كان الفاسق من أهل البيت لقلة دين ، أو ارتكاب بدعة انما يوجه البغض لافعاله ، لا لذاته ، تأدبا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، لانها اى الذات بضعة منه ، وان كان بينه وبينها وسائط . لانه روى فى قوله تعالى : وكان أبوهما صالحا » انه كان بينهما وبين الاب الذى حفظ فيهما ، سبعة او تسعة آباء» ومن ثم قال جعفر الصادق رضى الله عنه ، احفظونا فينا ما حفظ الله العبد الصالح فى اليتمين . وما انتقد ذريته صلى الله عليه وسلم محب لـه . هـ



وقد صرح العلماء بأنه ينبغى اكرام سكان بلده صلى الله عليه وسلم على العموم ، وان تحقق منهم ابتداع ونحوه ، رعاية لحرمة جواره الشريف .

واخرج ابو سعيد فى شرف النبوة وابن المثنى انه صلى الله عليه وسلم قال : يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك . ولهذا فمن آذى احدا من ولدها فقد تعرض لغضب الله لانه اغضبها فى ولدها . وقالوا اذا استحق جوار حرمه الشريف حق رعاية الجوار ، فما بالك بأهل بيته ، الذين هم بضعة منه صلى الله عليه وسلم .

واخرج الديلمى مرفوعا : من اراد التوسل الى ، وان يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتى وليدخل السرور عليهم

وورد عن عمر رضى الله عنه من طرق انه قال : للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن على فتباطأ عليه الزبير ، فقال : اما علمت ان عيادة بنى هاشم فريضة ، أى على حد قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب، أراد به التأكيد للسنة ومثل ذلك قصد عمر بقوله فريضة .

واخرج البخارى فى صحيحه : عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى . وفى رواية أخرى أحب الى من قرابتى . وفى أخرى والله لان أصلكم احب الى من أن أصل قرابتى ، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللعظم الذى جعله الله على كل مسلم . وهذا قاله رضى الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضى الله عنها عند ما جاءته تطلبه ميراث أبيها فمنعها منه .

واخرج الدارقطنى أن عمر رضى الله عنه قال لفاطمة : ما من الخلق احب الينا من أبيك ، وما من أحد أحب الينا منك بعد أبيك .

وروى انه وقعت جراة من الحسن فى صغره غيرة على منبر النبى صلى الله عليه وسلم فهجم على الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو على المنبر فقال : انزل عن مجلس أبى فقال : صدقت ، والله انه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى ، فقال على رضى الله عنه أما والله ما كان عن رأيى ، فقال : صدقت ، والله ما اتهمتك . فانظر محبة خليفة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره للحسن . وقد اتفق ان وقع للحسين نحو ذلك مع الخليفة عمر رضى الله عنه وهو على المنبر فقال له : منبر ابيك والله لا منبر أبى ، فقال على والله ما أمرت بذلك ، فقال عمر : والله ما اتهمتك ، زاد ابن سعد انه أخذه واقعده الى جنبه وقال : وهل انبت الشعر على رءوسنا بعد الله الا ابوك ؟ . أى ان الرفعة ما نلناها الا به . وجاء عن الحسن انه قال لرجل يغلوا فيهم ، ويحكم أحبونا لله ، فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ، فقال له الرجل : انكم ذووا قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، فقال : ويحكم ! لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا ، وانى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، ويقصد بقوله من هو أقرب اليه منا من مات كافرا من اهله . وقد حاول النبى صلى الله عليه وسلم انقاذ عمه أبى طالب ، وفاء بالعهد الذى عهد به اليه ، وهو قوله : لاستغفرن لك ما لم انه عنه ، فجعل يستغفر له لعل الله يشفعه فيه ، وشاركه فى الاستغفار جمع من المومنين ، فنهاه الله واياهم عن ذلك بقوله تعالى : ما كان للنبىء والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم » اى ما كان ينبغى للنبىء ولا يصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته .

واخرج ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال : راى فتية من بنى هاشم ، فاغرورقت عيناه ، فسئل فقال : انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وان أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا الحديث .

واخرج الامام احمد : خرج عمرو الاسلمى وكان من أصحاب الحديبية مع على رضى الله عنهما ، الى اليمن ، فراى منه جفوة ، فلما قدما المدينة اذاع شكايته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لقد آذيتنى ، فقال : اعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله ، فقال : بل من آذى عليا فقد آذانى . وزاد ابن عبد البر ومن أحب عليا فقد أحبنى ، ومن ابغض عليا فقد ابغضنى ، ومن آذى عليا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله .

واخرج الملا : لا يحبنا اهل البيت الا مومن تقى ، ولا يبغضنا الا منافق شقى .

وروى الامام احمد والترمذى من احبنى واحب هذين يعنى حسنا وحسينا وأباهما وامهما كان معى فى الجنة . وفى رواية فى درجتى . زاد أبو



داود متبعا لسنتى . وبها يعلم ان مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة الرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا يفيد مدعيها شيئا من الخير ، بل تكون وبالا عليه وعذابا اليما فى الدنيا والآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : ان اهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا ، وان أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية ، وبنو المغيرة ، وبنو مخزوم ، صححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور .

واخرج ابن عساكر : أول الناس هلاكا ، أهل بيتى . وفى رواية فما بقاؤنا بعدهم ؟ قال : بقاء الحمار اذا كسر صلبه .

ومن اشد الناس بغضا لاهل البيت مروان بن الحكم ، وكان ذلك هو سر الحديث الذى صححه الحاكم ، ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون ، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال : لما بليع معاوية رضى الله عنه لابنه يزيد قال مروان : سنة أبى بكر وعمر ، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه سنة هرقل وقيصر فقال له مروان انت الذى أنزل الله فيك : والذى قال لوالديه اف لكما » فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه .

وروى عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة رضى الله عنه ان الحكم بن العاص استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته ، فقال : ايذنوا له عليه لعنة الله ، وعلى من يخرج من صلبه الا مومن منهم ، وقليل ما هم ، يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ، ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق . وقيل ان صح ذلك فليحمل على انه كان يرمى به قبل الاسلام ، وان النبى صلى الله عليه وسلم تراجع عن ذلك بعد الاسلام .

## سياسة المكر والخداع ليست من دين الله

منذ فجر الاسلام فى عصره الزاهر ابتلى من طرف الامويين بسياسة المكر والخداع ، التى هى بعيدة كل البعد من دين الله وبما جاء به محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه من دين الاسلام ، وكان الذى سن هذه

السنة السيئة فى الاسلام لمن بعده ، أميرهم ورئيسهم معاوية بن أبـى سفيان عفى الله عنه ومستشاره ووزيره عمرو بن العاص فى ذلك . وفى قضية التحكيم ابتدىء عهد هذه السياسة الظالمة الماكرة ، بين الامام على ومعاوية بن أبى سفيان وكانت هذه السياسة الظالمة بداية عهد جديد فى الاسلام على يد معاوية وهى التى كانت السبب الوحيد الذى عاقه عن لحوقه بمن تقدمه من الخلفاء الراشدين الذين ساروا فى سياستهم علـى نهج الكتاب والسنة وكان خاتمتهم الامام الحسن المتنازل عن حقه فى الامامة ابتغاء جمع كلمة المسلمين ، ومراعاة للمصلحة العامة فى الاسلام ، وكل من ذهبت به العاطفة الى أن يجعل معاوية فى عداد الخلفاء الراشدين ، وجد خندقا شاسعا مملوءا بتصرفاته المنافية لدين الاسلام وأخلاقه الفاضلة عائقا شديدا بينه وبينهم . وكانت ولايته فى صدر الاسلام فتحا جديدا لعهد الملوك والامراء الذين صاروا على نهج سياسته من بعده . وكانت لعبة الخداع فى التحكيم سياسة ناجحة ظفر فيها معاوية بحصة الاسد ، ولذلك قد طبل وزمر له فيها كل من استحسنها وجعلها من الاعمال الخالدة فى سجل معاوية الصحابى الذى سبق له أن كان كاتبا للنبى صلى الله عليه وسلم فدعاه ليكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف اليه الرسول ثلاث مرات ، وفى كل مرة يقول هو ياكل ، فدعا عليه بقوله : لا أشبع الله بطنه ، فكان لذلك ياكل ولا يشبع أبدا ولم يكن هذا الفضل الذى حازه من الصحبة وغيرها ليحمله على التقوى والابتعاد عن هـوى النفس . خلاف الامر الذى كان عليه خصمه الامام على رضى الله عنـه الذى شهدت له الادلة والنصوص الشرعية ، واجمع على ذلك علمـاء الامة واهل السنة والجماعة من اهل الصدر الاول ، على انه كان رضى الله عنه فى سياسته ورأيه على الحق ، ولم يمنعه أن يرتكب ما ارتكبه خصمه من سياسة المكر والخداع ، الا الوازع الدينى والاخلاقى وتربيته فى بيت النبوة والرسالة ، ولهذا أثيرت عنه تلك الكلمة الشهيرة التى كان يقولها عند ما يرى الامور تجرى على غير مجراها الاخلاقى والدينى الا وهى قوله : رضى الله عنه ، « لولا التقى لكنت أدهى العرب » وانه ما كـان يمنعه من ارتكاب ما ارتكبه خصمه معاوية الا التقوى والدين وخوف العبث بمصير الامة الاسلامية ، وكان ذلك هو الحافز الوحيد الذى جعله يتكبد فى سبيل اصلاح شأن الامة ما تكبده مما هو مسطور عنه فى بطون كتب التاريخ ، وبعد التحاقه بربه تقلد نجله الحسن سيد شباب أهل الجنة حق الامامة التى كانت عند أبيه باختيار الامة الاسلامية ثم ان الامام الحسن



رضى الله عنه لما رأى أن أمر الامة الاسلامية فى انهيار ولا يزداد الحال بعد أبيه الا تفاقما فى الاختلاف وبعد وجهة النظر والتنازع عليه ، الامـر الذى نهى الله تعالى عنه بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » أى قوتكم ، ولم يستقم قبل ذلك الامر لابيه الذى كان أقدر على ممارسة شؤون الامة وسياستها بمقتضى الحكمة والدين والاخلاق والقوة ، رأى ان الموقف يدعو الى التنازل ابتغاء جمع كلمة المسلمين ، وقد بلغ أجـل ما كان يحمله منذ الصغر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فتنازل فعلا وابتعد عن كل هول من تلك الاهوال ، فسمى ذلك العام بعام الجماعة ، وقد تحمل فى تنازله مالا يدخل تحت وصف من اهانات وسخريات من طرف خصومه وخصوم أبيه ، وما لقى أهله وشيعته من ذلك مالا يدخل تحت حصر ، فعند ذلك رأى انه لابد من تجريد سيف الكلام للدفاع عن نفسه وعن أهله ، وذلك ما سطرته أقلام الباحثين الامر الذى يحمل من اطلع عليه على العجب العجاب ، وهكذا ظلت حياته حتى التحق بربه شهيدا مسموما ولم يفارق الدنيا حتى لفظ طرفا من كبده فى حياته ، وعند ذلك خلا الجو لخصمه معاوية عفى الله عنه فجعلها هرقلية ، كما صرح لـه بذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهمـا بقوله : « يموت هرقل ، ويخلفه هرقل آخر » وهكذا تأسس ظلم الحكم الفردى فى الامة الاسلامية على يد معاوية وبنى سياسته على المكر والخداع، فى الطور الاول من أطوار الامة الاسلامية ثم جعل بعد ذلك حقيقة واقعية ، وسنة متبعة من طرف كل ظالم غاصب كيفما كان لون نظامه ، وليس هناك نظام أحسن من نظام غير تطبيق تشريع الاسلام وكان معاوية أول من أخذ البيعة لابنه يزيد بتهديد السيف بعد اجتماع أهل الحل والعقد من الصحابة والتابعين ، قال بعض من ندبه معاوية لذلك : أيها الناس أمير المومنين هذا مشيرا الى معاوية — فان مات فهذا مشيرا الى يزيد — فمن أبى فهذا مشيرا الى السيف . فأين العدل يا ترى ؟ وقد انتقد مؤرخوا الاسلام هذا على معاوية عفى الله عنه لانه غير لائق بمن يتولى خلافـة المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين عـدل الاسـلام يا معاوية ؟ وأين أخلاق الاسلام ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، وأين تربية الاسلام منك ؟ وأين معاشرتك للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ وأين التقى التى كان ينشدها خصمك الامام على رضى الله عنه خشية أن يرتكب فى الاسلام مثل ما ارتكبت ؟ ، كل هذه الاسئلة

ضرب بها معاوية عفى الله عنه عنه عرض الحائط ، وسن الملك الروائى فى الاسلام على غرار ما كان عليه الهراقلة ، والقياصرة ، والاكاسرة من ظلم الرعية ، وهذا ظلم للاسلام سجل فى صحيفتك يا معاوية فى فجر الاسلام بادخالك فيه ما هو أجنبى عنه ، وسوته بمقتضى القوة بعد ارغام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعة ابنه يزيد الذى كان الكل يراه غير صالح لخلافة المسلمين ، وفيهم من الصحابة من هو أفضل منه لتحمل أعبائها لولا مبدأ الضب الذى قال : « كل لنفسه بغى الخير » والذى كان أول نتائجه قتل الامام الحسين شهيد كربلاء رضى الله عنه ، وقد كان فى امكانه لو أراد الخير للامة أن يجمعها على غير ابنه ، ممن يقع عليه اختيار أهل الحل والعقد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لتعاليم الاسلام الحنيفية السمحاء ، والابتعاد به عما هو أجنبى عنه ، وادخال فيه ما ليس منه ممن هو من سنن الجاهلية وبهذا نكص معاوية عفى الله عنه على عقبيه ، ورجع بالامة الاسلامية الى سنن الجاهلية ومصائبها الوراثية ، وكان لزاما على الحكم الفردى أن يستأنف عمله متحديا شعور الامة فى اختيار رايها ، ولا يقيم عليه الا ظالم غاصب الذى لا وازع له ولا أخلاق تمنعه من أن ينطلق مع هوى نفسه ويتجرد من كل خلق حافز له عن الالتجاء الى شريعة الغاب ، وعند ذلك يظل بعيدا عن كل قيمة للانسان وكان لزاما عليه أن يسير فى طريقه ، وأن يرتكب من عظائم المنكرات ما هو طبيعى أن يرتكب ، لانه يشعر فى قرار أعماقه انه ظالم لنفسه غاصب لحق غيره فهو وجل حذر على مصيره ، ومن أجل ذلك كان المفروض فيه أن تتحول أخلاقه من صفة انسان الى صفة « نمر مفترس » فيزيد بن معاوية الجامع لهذه الصفات لما تحولت أخلاقه الى صفة نمر مفترس ، قتل الامام الحسين ثم هانت عليه كل الحرمات الاسلامية ، فأباح المدينة لجيشه ثلاثة أيام ، وبذلك يعد خارقا لثلاث حرمات فى آن واحد حرمة المسلم ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومنه للحرم المكى فأباحه لجيشه ، فأحل منه ثلاث حرمات ، حرمة الاسلام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، وأثناء هتكه لهذه الحرمات جاء نعيه ونعى قائده مسلم بن عقبة ، فرجع جيشه الى مقره بالشام وهذا كله فى سبيل الاستيلاء على أمة الاسلام فى أوج مجدها بالقهر والغلبة أمة مارست العدل والسعادة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده ، وأبلت مع النبى صلى الله عليه وسلم بلاء حسنا فى سبيل نصرة الاسلام ، وتطبيق تعاليمه ، وكيف يخضع من عاش الحياة السعيدة لمن



ليس بكفء فى توليته شؤون المسلمين ، وكان لا بد فى حملها على سلوك سبيل الحكم الفردى المطلق من ضحايا يقدمها كهدايا لتحقيق واثبات دعائمه ، فكان الامام الحسين السبط سيد شباب أهل الجنة رضى الله عنه أول من وقع ضحية لهذا النوع من الحكم الفردى المطلق ثم التحق به نجل حفيده سيدنا زيد بن على ، ثم التحق به على الفور ابنه يحيى فكان مصير هؤلاء الضحايا واحدا على يد بغاة الامويين المتعطشين الى الدماء الطاهرة من بيت النبوة لاقرار ملكهم المغصوب خوفا عليه من المستحقين وكان لزاما على الامة الاسلامية بعد تسليمها واستسلامها للامر الواقع أن تجود بأخيارها وفضلائها ورجالها الامجاد ، وتقف بعيدا متأولة كأنها راضية فيما يبدو باقرار هذا النوع من الحكم الفردى الغاصب المبنى على سياسة المكر والخداع ، وما أدى اليه من تقتيل لاخيار الشباب الاسلامى الناهض ، وفى هذا التاريخ كسفت شمس الحرية وظلت محجوبة عن فضلائها وأخيارها العباقرة الافذاذ من بنى الاحرار ، وقد ازداد الامر تفاحلا والخطورة شدة عبر عصور الدولة العباسية باضعاف مضاعفة ، فخرقت العهود التى كان الانسان العربى يفتخر ويعتز بالوفاء بها ، وأصبح المسلم فى عصور الاسلام يعدها من مفاخره ، حيث ان دين الاسلام أقرها وحض على التخلق بها واحترامها ثم زادت الوحشية الخلقية فيهم وطغت حتى جعلوها مصايد لاغراضهم بعد نفاذ مكايدهم · ومن ثم سهل على رجال الدولة الامر ، فأعطوا أوامرهم للقائد السفاح أبى مسلم الخراسانى بأن يقتل كل من اتهمه بالميل الى البيت العلوى الذى يعدونه أخطر خصم على سيادتهم المغصوبة ، حتى قال المؤرخون : قد بلغ من ضعف العباسيين على أبناء عمهم أهل البيت العلوى وحرج الضيق الذى نالهم منهم حتى صاروا كالطائر المحبوس فى قفصه فهو يحاول التخلص منه على غير هدى ، كما فعل الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، الذى ثار بمكة فى مدة موسى الهادى بن جعفر المنصور سنة ( 169 ) هجرية ، وقتل وصلب فى وقعة شهيرة بموضع قريب من مكة يدعى « فخ » والتى ذهب فيها أكثر ذرية بنى الحسن ، وهذا الموضع يوجد على بعد ( 6 ) أميال من مكة المكرمة ·

وقد نجا من أهل البيت العلوى رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل ذهب الى بلاد المغرب ، وكون بها دولة اقتطعها من مملكة العباسيين ، وأخوه الامام يحيى ذهب الى بلاد الديلم فأراد أن يكون بها دولة فلم يفلح لقربها من عاصمة الخلافة بغداد · ثم فى نهاية

الامر لقى أبو مسلم منهم نفس المصير الذى فعله بغيره ، فقتلوه شر قتلة ، ثم استمروا على هذه السياسة الفاشمة التى ادت بهم الى قتل الآلاف من مواليهم ، وقد بالغوا فيها حتى كانوا يقتلون الرجل ولو لمجرد الوشاية المتقنة ، كل ذلك خوفا على سلطانهم المغصوب بطريق المكر والخداع ، ولم يعولوا فيه على رضى الامة الاسلامية ، ولم يعتمدوا فى الحصول عليه الا على أسلوب المكر والخداع وحد السلاح ، وكل ملك اعتمد على هذا الاسلوب كانت نتائجه قتلا وتصليبا ، ولو كان فى ذلك ذهاب دينهم جملة وتفصيلا ٠ فنفوسهم لا ترتاح الا بنشوة الانتصار فى سياستهم ، والاطمئنان على بقاء ملكهم ، وقد كانت مصيبة العلويين أشد لما كانوا يرون عليهم من الفضل والخير الذى كان يدفع بالناس الى ازدياد حبهم ، وتمنى الخلافة فى بيتهم لانهم كانوا يرونهم من حيث النفوذ الروحى فى قلوب الامة أوسع منهم ، وكان النفوذ الروحى فى ذلك الوقت له وزنه الخاص ، فحاولوا بكل قوة أن يقطعوا الطريق عليهم حتى لا يصلوا الى شىء من السلطة الزمنية ، فيكمل لهم الامر ويتسع لهم مجال القوة للانقضاض عليهم ، وزوال ما بأيديهم من ملك مغصوب ٠

وكانت الامة الاسلامية لذلك العهد تتطلع الى ان تكون الخلافة الاسلامية فى البيت العلوى من ذرية الحسنين ، لانهم كانوا يعتبرونه نفس البيت النبوى ، فهم بهذا يحاولون بها الرجوع الى منبعها الاصيل الذى خرجت منه ، لعلهم يجدون فيهم ضالتهم المنشودة ، فى سياسة الامة بالاخلاق والدين ، التى كانوا يرونها مفقودة بين من بنوا سياستهم على المكر والخداع ، والتقتيل لمجرد وشاية متقنة ، حتى شملت تلك السياسة نكبة البرامكة الذين كانوا رجال دولة العباسيين على عهد هارونهم الرشيد ، فلم يزل الحاسدون لهم والواشون بهم يصورونهم لطبيعة الملك الاستبدادى بأنهم يساوونهم فى درجتهم ، ويزينون لهم ما اشتد من وطأتهم ، وسماع كلمتهم ، حتى ضاق صدرهم منهم ، فعند ذلك خشى صاحب الملك المغصوب ولم يبق له الا اللجوء لطبيعة الاستبداد ، فجعل يتبع عوراتهم ويسجل معايبهم ، وهفواتهم ، ويغض العين عن محاسنهم ، حتى يسهل عليه ان ياخذهم بمساويهم ، ولو كانت مصنوعة بخيوط من عنكبوت الوشاة ، فجاءت المحنة ، وقتل هارون الرشيد ثلاثة رجال من كبارهم ، وهم : يحيى بن خالد وولداه جعفر والفضل ، وقد كان هؤلاء الثلاثة من كبار الدولة عند الرشيد حتى رآهم الناس بعد العز المتين ، والشرف المبين منكوبين بسبب وشايات حاسديهم ٠



وقد طغت روح الانتقام من جانب الحكم الفردى فى عصر المتوكل حتى صار لا يقنع بقتل من يعنيه قتله ، بل يتبع قتله بمصادرة ماله ، من متاع منقول وعقار ، ولو ادى ذلك الى ضياع اهل بيته ، فالى هذا الحد وصل ضعف الوازع الدينى فى قلوب المستبدين من أهل الحكم الفردى فى صدر العصور الاسلامية ، وقد ثبت بهذا عند المؤرخين ان شهوة الانتقام ازدادت طغيانا حتى حالت بين القوم وبين دينهم الذى نهى عن التعذيب والتصليب والمثلة ٠

## المراد بالآل فى الاحاديث الواردة فيهم

اخرج الحاكم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيركم خيركم لاهلى من بعدى ٠ واخرج الطبرانى والحاكم عن عبد الله بن أبى أوفى ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى ان لا اتزوج الى احد من أمتى ، ولا يتزوج الى أحد من أمتى الا كان معى فى الجنة فأعطانى ذلك ٠

واخرج الشيرازى فى الالقاب عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى أن لا ازوج الا من اهل الجنة ، ولا اتزوج الا من اهل الجنة ٠ قد تقدم بعض الكلام على الآل ، وعلى الآية الواردة فيهم ، وناتى هنا بمزيد من الادلة فنقول : اخرج الامام احمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان آية قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » نزلت فى خمسة : النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . واخرج ابن جرير مرفرعا بلفظ انزلت هذه الآية فى خمسة : فى وفى على ، والحسن والحسين وفاطمة ٠ واخرجه الطبرانى ايضا ، ولمسلم فى صحيحه ، انه صلى الله عليه وسلم ادخل اولائك تحت كساء عليه ، وقرا هذه الآية ٠ وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على هؤلاء كساء ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أى خاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة : وانا معهم ، قال : انك على خير ٠ وفى رواية انه قال : بعد قوله وطهرهم تطهيرا ، انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ٠

وفى رواية أخرى القى عليهم كساء ، ووضع يده عليها ، ثم قال :

اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك علــى آل محمد انك حميــد مجيــد ·

وفى اخرى ان الآية نزلت ببيت أم سلمة ، فأرسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم دعا لهم · وفى اخرى انهم جاءوا واجتمعوا فنزلت ، فان صحتا حملا على نزولها مرتين · وفى رواية اخرى انه قال : اللهم اهلى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ثلاثا · وان أم سلمة قالت له : ألست من اهلك ؟ قال بلى وانه ادخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم · وفى أخرى انه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مر ، قال واثلة : وعلىَّ : يا رسول الله ، فقال : اللهم وعلى وواثلة ·

وفى رواية صحيحة قال واثلة : وانا من اهلك ؟ قال : وانت مــن اهلى · قال واثلة : انها لمن أرجى ما أرجوه قال البيهقى : وكأنه جعله فى حكم الاهل ، تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا ·

واشار المحب الطبرى الى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت ام سلمة وبيت فاطمة رضى الله عنهما وغيرهما · وبه جمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم ، وما جللهم به وما دعا به لهم ، وما اجاب به واثلة وأم سلمة وأزواجه ويؤيد ذلك رواية — انه قال : نحو ذلك لهؤلاء ، وهم فى بيت فاطمة · وفى رواية انه ضم الى ذلك بقيــة بناته واقاربه وازواجه .

وصح عن أم سلمة ، فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت ؟ فقال : بلى ان شاء الله · وذهب الثعلبى الى أن المراد من اهل البيت فى الآيــة جميع بنى هاشم ، ويؤيده الحديث الحسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء اهل بيتى ، فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين ، وهى ثلاثا · وفى رواية فيها من وثقــه ابن معين وضعفه غيره ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا ، وذلك قوله عز وجل : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » والحاصل انه لما كان سياق الآية فى مخاطبة أزواجه صلى الله عليه وسلم لانهم اهل بيت سكناه وكان قد يخفى ذريته من شمول الآيــة لهم بينهم صلى الله عليه وسلم بطريق النص الصريح حتى لا يخفى علــى احد ما هو المراد من الآية ، وانهم هنا ما يعم بيت سكناه وغيره ، وهــم ازواجه واهل بيت نسبه من بنى هاشم والمطلب ·



وفى بعض طرق الحديث بالسند الحسن عن الحسن رضى الله عنه وانا من اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا · فبيت النسب مراد فى الآية كبيت السكنى · واخرج مسلم فى صحيحه عن زيد بن ارقم انه سئل ، انساؤه من اهل بيته ؟ فقال : نساؤه من اهــل بيته ، ولكن اهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم · فأشار الى أن نساءه من اهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات ، وخصوصيات أيضا لا مــن أهل بيت نسبه ، وانما أولائك من حرمت عليهم الصدقة · وكان ابتداء الآية الشريفة بأنما لافادة الحصر ، فهذه الارادة الالاهية خاصة بأهل بيت سكناه وبيت نسبه ومنحصرة فيهما ، ولان الله تعالى خصهم باذهاب الرجس عنهم الذى هو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به ، وطهرهم تطهيرا من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة ، ولان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار · وكذلك بنو هاشم كما تقدم قريبا من أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لهم وقال : واسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه · وذلك هو التطهير وغايته · ومنه الهام الانابة الى الله تعالى ، واذهاب الخلافة الفاسدة عنهم ، حتى يتفرغوا للخلافة الروحية بالاعمال الصالحة ، وعوضهم سبحانه بها عن حقهم فى الخلافة الجسمانية التى استحالت ملكا عضوضا كما ثبت ذلك كله عنه صلى الله عليه وسلم وتجردت من الخلافة الروحية ، وكانت شرا على من تولاها · وأولائك اشتغلوا بالخلافة الروحية ، حتى ذهب قوم الى أن قطب الاولياء فى كل زمان لا يكون الا منهم فى الغالب وقد يكون من غيرهم وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، وهو مذهب الشيخ أبى العباس المرسى تلميذ الامام الشاذلى ، ونقله عنه تلميذه التاج بــن عطــاء اللــه ·

ومما هو من جملة التطهير فى حقهم تحريم صدقة الفرض عليهم بل والنفل على قول للامام مالك ، لانها أوساخ الناس ، مع كونها تنبىء عن عز المعطى وذل الآخذ والماخوذ ، وعوضوا عنها بحقهم فى خمس الخمس من الفىء والغنيمة المنبىء عن عز الآخذ وذل الماخوذ منه ·

## أدب المواساة والوصلــة مــع الشريف

وينبغى لمن اراد أن يصلهم بشىء اكراما لهم ولجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم وعلى جهة الادب معه ، أن يكون ذلك على وجه الهدية ، من غير أن يكون صدقة فرض ولا نفل ، مراعاة لتطهير الله اياهم ظاهرا

وباطنا ، ومثل صدقة الفرض فى التحريم عليهم تحريم النذر ، والكفارات ، وخالف فى ذلك بعض المتاخرين ، وقال : ان النذر كالنفل ، فيحمل على خفــة الامــر ٠

وبعد ما منعوا من اخذ حقهم من الخمس افتى العلماء : للمحتاج والمضطر منهم بحل زكاة الفرض والنفل والنذر ، والكفارات الى غير ذلك مما يباح للمضطر شرعا ، اما الغنى منهم فلم تتغير الحرمة فى حقه ، فهى باقية لان علتها موجودة والقاعدة ان العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما، بحيث يلزم من وجود الغنى وجود حرمة اخذ الصدقة ، وتنتفى حرمتهــا للمحتاج والمضطر ، اما من عرف نفسه بأنه فى غنى عنها ، فلا يزاحــم المحتاج والمضطر عليها فانها حرام عليه ٠ والقدر الذى يحصل به الغنى ان يكون له كفاية قوت سنته ، فلا يحتاج فيها الى الصدقــة والمحتــاج والمضطر لها من لا يملك قوت يومه ٠

واستدل الشافعى رحمه الله لحل صدقة النفل لهم بقول الباقر رضى الله عنه لما عوتب فى شربه من سقايات بين مكة والمدينة ، قال : انما حرم علينا الزكاة المفروضة ٠ ووجهه ان مثله لا يقال من قبل الــراى لتعلقــه بالخصائص ، فيكون مرسلا لان الباقر تابعى جليل ، وقد اعتضد مرسله بقول اكثر اهل العلم ، وتحريم ذلك يعم بنى هاشم والمطلب ومواليهم ، قيل وازواجه وهو ضعيف ، وان حكى ابن عبد البر الاجماع عليه اى القول بالحرمة ، ولزوم نفقتهن بعد الموت يحرم الاخذ ، الا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه من جهة اخرى كدين أو سفر اى فانه لا يحرم الاخذ كما هو مقرر فى كتب الفقه ٠ وفى خبر انها تحل لبعض بنى هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجــة فيــه .

واما شربه صلى الله عليه وسلم من سقايات زمزم ، فواقعة حال ، تحمل على ان الماء الذى فيها من نزعه صلى الله عليه وسلم ، أو نزع ماذونه، فلم يتحقق انه من صدقة العباس ٠ وحكمة قول الله تعالى فى ختم الآية بتطهيرا ، المبالغة فى وصولهم لاعلاه ، وفى رفع التجوز عنه ، والحكمة فى تنوينه ايضا للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس مــا يتعارف ويؤلف ، ثم اكد ذلك كله صلى الله عليه وسلم بقوله لهم فى تكرير طلبه اللهم هؤلاء اهلى بيتى الى آخر ما مر ، ثم اكده ايضا بادخال نفسه معهم فى العد لتعود عليهم بركة اندراجهم فى سلكه ٠

وفى رواية انه اندرج جبريل وميكائيل ، اشارة الى علو قدرهم ثم



زاده تأكيدا بطلب الصلاة عليهم ، بقوله : فاجعل صلواتك وبركاتك الخ ما مر ، ثم زاده تأكيدا ايضا بقوله ، أنا حرب لمن حاربهم ٠ وفى رواية انه قــال بعد ذلك : الا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ٠ وفى اخرى والذى نفسى بيده لا يومن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتــى يحب ذوى ٠ فاقامهم مقام نفسه ، ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال : انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى ٠ والحقوا به ايضا فى قصة المباهلة كما تقدم ٠ والحاصل ان المراد فى الاحاديث المتقدمة بالآل ، وذوى القربى ، وعترتى ، وقرابتى ، وذوى ، هم مومنوا بنى هاشم والمطلب على العموم ، لشمولهم الدخول فى الخمس وتحريــم الزكاة عليهم ٠ ثم تاتى بعدهم فى درجة القرب منه صلى الله عليه وسلم ، وهم خاصة الخاصة ، ، وهم من شملهم الكساء ، وقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، وهم المعروفون بأهــل البيت الى الآن ، وما بعد الان ٠ وهم النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ٠ وفاطمة والحسن ، والحسين وذريتهما الى يوم القيامة . وأما خبر آلى كل مومن تقى ، فهو ضعيف بالمرة ٠ ولو صح لتأيد به جمع بعضهم بيــن الاحاديث ، بأن الآل فى الدعاء لهم بالصلاة يشمل كل مومن تقى ، وفى تحريم الصدقة عليهم يشمل مومنى بنى هاشم والمطلب ويختص بهم ، ويختص اهل البيت منهم بقصة المباهلة ، وآية انما يريد الله الآية ، والدخول تحت الكساء ، وهم خاصة الخاصة به صلــى الله عليه وسلم واصحاب كــل فضل ٠ ويؤيد ذلك خبر البخارى : ما شبع آل محمد من خبز مادوم ثلاثا ، اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا .

وفى قول : ان الآل هم الازواج والذرية فقط ، ويؤيد ذلك خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة فى مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ، ثم فاطمة فأدخلها ، ثم على فأدخله ، ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وفى رواية اللهم هؤلاء اهل بيتى .

وفى رواية اخرى ان أم سلمة ارادت الدخول معهم ، فقال صلى الله عليه وسلم بعد منعه لها : انت على خير ٠ وفى رواية اخرى انها قالت : يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : وانت من اهل البيت العام ٠ بدليل الرواية الاخرى ، لما قالت وانا ؟ قال : انت من اهلى وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : لواثلة ، لما قال : يارسول الله ، وأنا ؟ فقال : انت من اهلــى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : سلمان منا أهل البيت · وهـى رواية صحيحة · فاتخذه لنفسك وعده منهم تحقيقا باعتبار صدق صحبته ، وعظيم قربه وولائه وهو فوز عظيم لسلمان رضى الله عنه ، حيث ادخله النص من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والحقه بأهل بيته وخاصته ، وفى ذلك قيـل :

عليك بتقوى الله فيمـا تريـده ... ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارسى ... وقد وضع الكفر الشريف ابا لهب

فهنيئا لك ياسلمان على ما نلته من القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صدق محبتك له ولاهل بيته ، حتـى ادخلـك النص الصريح فيهم ، فأحل لك ما يحل لهم وحرم عليك ما يحرم عليهم ، فهنيئا لك لقد طهرت نفسك ، وزكى عملك ، وربحت الاندماج فى آية قوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الآية · هكذا ينبغى ان يدفع الحب الصادق بصاحبه حتى يجعله من اهل البيت الذين هم خاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنين ، وقد دفعت بك الاقدار من دولة آبائك واجدادك فارس الذين تركتهم وراءك غارقين فى بحر المجوسية ثم انتقلت منها الى الكنيسة النصرانية ، طالبا بها دينا يرضيك فلم تجده ، ثم هاجرتها وابتعدت عنها باحثا عن دين صحيح يقنعك ويرضيك فـى المعرفة بربك ثم رمت بك الاقدار الى ان سبيت والحقت بعروض التجارة ، فبعت بثمن بخس سقطت به قنا بيد يهودى من يهود يثرب ، فكان ذلك سببا لانعام الله عليك بنعمة الايمان والاسلام ، الذى ما فتئت من أجله تبحث عن دين سماوى تسكن اليه نفسك ، ويطمئن اليه ضميرك ، ولما فتح الله على المسلمين بالهجرة من التربة الظالم أهلها الى أرض عـز الاسلام وانتصاره « يثرب » فوصل الى سمعك ان الاوس والخزرج ، اجتمعوا بقباء على رجل يزعم انه نبى ، تشوقت نفسك اليه ، فذهبت لاختباره بما عندك من علم عليه ، فعثرت على ضالتك المنشودة عند ما جئته ووجدته يودع جنازة بالبقيع فتأخرت من وراء الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم انك تريد منه شيئا تطلع عليه فكشف لك عن السر الذى كنت طالبه ، فتأكدت من ضالتك المنشودة ، فأسلمت وجهك لله وانت محسن واستمسكت بالعروة الوثقى بعد ان انتقلت اليها من ارباب بلغ عددهم بضعة عشر سيدا وكم حال أعداء الاسلام بينك وبين هذه النعمة الكبرى حتى لا تصل اليها بحال ، وعند ما اشتد عزمك على الوصول



اليها ، لطمت على خدك فى سبيلها من سيدك اليهـودى فجئت شاكيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليك بالكتابة مـن سيدك ، فأعانك وعمل معك بيده الشريفة فى حائط سيدك ، ثم أدى عنك بيضة النضار — اى الذهب — من الغنيمة ، فصرت حرا مسلما شريفا من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصته الادنين ، فهنيئا لك يا سلمان بهذا الاب العطوف والرحيم الرءوف ، وقد ثبت فيك حديث : ان الله ليرضى لرضى سلمان ، ويسخط لسخطه ، وان الجنة لتشتاق الى سلمان اشد من اشتياق سلمان الى الجنة . ولما سئل عن نسبه قال : أنا سلمان ابن الاسلام ، ولم يزد على ذلك شيئا ، وعاش سلمان مائتى وخمسين سنة على الاصح ، وكان عطاؤه أيام الخلفاء الراشدين مع ذوى القربى خمسة آلاف درهم سنويا ، فكان يفرقها وياكل من كسب يده من صنعة الخوص اى الاطباق المصنوعة من ورق النخيل ، ومهما كانت العواقب حسنة كان كل ما يلقاه الانسان فى سبيلها سهلا ، لقولهم ما نيل عظيم الا بجسيم ، ومن لم يركب الاهوال لم ينل الآمال ، وفى مثل ذلك قيل :

لا تكره المكـروه عنـد حلـوله ... ان العواقب لم تزل متبـاينـة
كم نعمة لا تستقـل بشكرهـا ... للـه فى طـى المصائب كامنـة

وفى رواية : اسامة منا اهل البيت ظهر البطن · وروى الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان الذين نزلت فيهم الآية : النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة ، وابناهما رضى الله عنهم · وكذلك اشتمل النبى صلى الله عليه وسلم بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم ، وقال : يارب هذا عمى وصنو أبى ، وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه ، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين ، آمين ، آمين · وحديث مسلم أصح من هذا ، واهل البيت فيه غير اهله فى حديث العباس وبنيه المذكور · لما مر ان له اطلاقين اطلاقا بالمعنى الاعم ، وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات اخرى ، ومن صدق فى ولائه ومحبته اخرى · واطلاقا بالمعنى الاخص وهم من ذكر .

وفى خبر مسلم وقد صرح الحسن رضى الله عنه بذلك ، فانه حين استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغا ، ولذلك عاش بعده ( 20 ) سنة ، فقال يا أهل العراق اتقوا

الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن اهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالوا ولانتم هم ؟ قال : نعم .

وسبق عن زيد بن أرقم ، ان نساءه من أهل بيته ، ثم قال : ولكن أهل بيته الخ ويوخذ منه انهم من أهل بيته بالمعنى الاعم ، دون الاخص ، وهم من حرمت عليهم الصدقة . ويؤيده خبر مسلم السابق قريبا . ويؤيد الآل بالمعنى الاعم تفسير الامام الشافعى رحمه الله الآل ببنـــى هاشم والمطلب ، وعوضوا عن حقهم فى الصدقة بحقهم فى خمس الخمس مـــن الفيء والغنيمة المذكور فى الآيتين من سورتى الانفال والحشر اذ هم المراد بذى القربى فيهما . وهما قوله تعالى : واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية . وقوله : ما أفاء الله على رسوله الآية . وقوله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم والمطلب شيء واحد ، فضيلة أخرى ، وهى انه حرم عليهم الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس فقال : ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمـــد .

قال : وذلك يدل ايضا على ان آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه ، هم الذين حرم عليهم الصدقة ، وعوضهم عنها خمس الخمس ، فالمسلمون من بنى هاشم والمطلب يكونون داخلين فى صلاتنا على آل نبينا صلى الله عليه وسلم فى فرائضنا ونوافلنا وفيمن أمرنا بحبهم ه .

وقصر الامام مالك وأبو حنيفة النعمان رضى الله عنهما تحريـــم الزكاة على بنى هاشم وعن أبى حنيفة جوازها لهم مطلقـــا ، وقـــال الطحاوى : من أصحاب أبى حنيفة ، جوازها لهم مقيد بان حرموا حقهم من سهم ذوى القربى . ه وصاحبه ابو يوسف يقول : تحل من بعضهم لبعض . ومذهب اكثر الحنفية والشافعى واحمد ، حل أخذهم صدقـــة النفل . وهو رواية عن مالك ايضا ، وعنه ايضا اخذ الفرض دون التطوع لان المأخوذ الاكثر . ولم يقيد الاخذ بحرمانهم من حقهم فى خمس الخمس الا الطحاوى من الحنفية . والباقى سكتوا عن التقييد ، ويفهم مـــن سكوتهم عنه الاطلاق ، أخذوا أو منعوا . وأسند المحب الطبرى خبـــر استوصلوا بأهل بيتى خيرا فانى اخاصمكم عنهم غدا ، ومن اكن خصمه اخصمه ومن اخصمـــه دخل النار قـــال الحافظ السخـــاوى لم اقولـــه على أصل أعتمده ، وفى معناه : ما صح عن أبى بكر رضى الله عنه انه



قال : ارقبوا محمدا ، أى احفظوا عهده ووده ، صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته . قد يظن بعض الناس ان الائمة المجتهدين ، وجميع أهل السنة قصروا كلامهم على الامور النظرية ، والحق انهم كثيرا ما تعرضوا للمسائل السياسية بالانتقادات المرة . كمسألة الامامة ، فقد نقم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه على العباسيين سطوتهم وشدتهم ، ومال الى العلويين ، بعد موت العبقريين : محمد النفس الزكية ، وأخيه ابراهيم . وقد روى ان المنصور استدعا أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد لاتهامه بمناصرة ابراهيم ، فظل بها ( 15 ) يوما ثم توفى ، وكانت وفاته سنة ( 150 ) هجرية وقيل انه دس له السم فمات مسموما .

وكان مالك بالمدينة يفتى الناس بأنه ليس على مكره يمين . فامتحن بالضرب والتطويف ، ومعنى هذا أن من بايعهم على ما كانوا عليه من أخذ يمين البيعة على الناس بالطلاق ليلا يرجعوا فيها ، ويبايعوا محمدا النفس الزكية ، وكان أخذهم البيعة على ذلك على جهة الاكراه ، فكان مالك يفتى ضدهم ، بأنه ليس على مكره يمين ، ولا تلزمه ان هو أداها كرها . فامتحن على ذلك بالضرب بالسياط والتطويف بأسواق المدينة على عظم قدره رضى الله عنه ، وكان يقول : له أن يتحلل منها متى شاء ، ويبايع غيرهم ، ويروى عن مالك رضى الله عنه انه كان يطاف به على حمار ووجهه الى الخلف . وهو لشدة صلابته فى رأيه ، كان يقول : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس طلاق المكره لا يلزم . وذلك أقسى شيء على سياسة العباسيين وسلطتهم المختلسة فى الظلام ، وبطريق المكر والخداع ولذلك جنت جنونهم فى الفتك بغيرهم .

## قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

ورد فى تفسير هذه الآية احتمالات ، وكلها ترجع الى معنى واحد ، وهو التودد لقرابته صلى الله عليه وسلم . سبب نزول الآية وشاهده مختصر صحيح ، كان سبب نزولها افتخار الانصار بآثارهم الحميـــدة فى الاسلام على قريش ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجالسهم فقال : ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى ، قالوا بلى : يا رسول الله ، قال الا تقولون ؟ ألم يخرجك قومك ؟ فآويناك ، أو لم يكذبـــوك فصدقناك ؟ أو لم يخذلوك فنصرناك ؟ فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله . فنزلت الآية . وفـــى

رواية أخرى ضعيفة ان سبب نزولها ، انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس فى يده شىء فجمع له الانصار مالا ، فقالوا يا رسول الله انك ابن أختنا ، وقد هدانا الله بك ، وتنوبك نوائب حقوق وليس معك سعة ، فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها ؟ فنزلت الآية · وكونه ابن أختهم جاء فى الرواية الصحيحة ، لان أم عبد المطلب من بنى النجار منهم ما صدق الآيـــة ·

وأخرج الامام احمد ، والطبرانى وابن أبى حاتم والحاكم عن ابـــن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا · يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال على وفاطمة وابناهما · وروى أبو الشيخ وغيره عن على كرم الله وجهه ، فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا مومن ، ثم قرأ : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » ·

وأخرج البزار والطبرانى عن الحسن رضى الله عنه من طرق بعضها حسان ، انه خطب خطبته من جملتها من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لـــم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم تلا : واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون » ثم قال : أنا ابن البشير أنا ابن النذير ، ثم قال : وانا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وموالاتهم فقال : فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وفى رواية الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وانزل فيهم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » واقتراف الحسنـــة مودتنا أهل البيت · وأخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جىء به أسيرا ، واقيم على درج دمشق ، قال : بعض أعدائهم من جفاة أهـــل الشام ، الحمد لله الذى قتلكم ، واستأصلكم ، وقطع قرن الفتنة ، فقال له : أما قرأت : ؟ قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » قال : وانتم هم ؟ قال : نعم ·

وأخرج الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : الموالاة لآل محمد صلى الله عليه وسلم · ونقل الثعلبى والبغوى عنه انه لما نزل قوله تعالى : قـــل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » قال قوم فى نفوسهم : ما يريد الا أن يحثنا على قرابته من بعده ، فأخبر جبريل النبى صلى الله عليه



وسلم : بأنهم اتهموه ، فأنزل الله : أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور » فقال القوم : يا رسول الله ، انك صادق ، فنزل : وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون » ونقل القرطبى وغيره عن السدى ، انه قال : فى قوله تعالى : ان الله غفور شكور » غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم . ورأى ابن عبـــاس رضى الله عنهما حمل القربى فى الآية على العموم ·

وفى صحيح البخارى وغيره ، عنه ان سعيد بن جبير لما فسر القربى بآل محمد قال له: عجلت أى أسرعت فى التفسير ، انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن فى قريش الا كان له فيه قرابة ، فقال : الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة ·

وفى رواية عنه : قل لا أسألكم على ما ادعوكم اليه أجرا الا المودة بأن تودوا قرابتى فيكم وتحفظونى فى ذلك ·

وفى أخرى انهم لما أبوا أن يبايعوه ، أنزل الله عليه ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى · وتبعه على ذلك عكرمة ، فقال : كانت قريش تصل الارحام فى الجاهلية فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الله ، خالفوه وقاطعوه ، فأمرهم بصلة الرحم التى كانت بينهم وبينه ، فقال : ان لم تحفظونى فيما جئت به ، فاحفظونى لقرابتى فيكم · وجرى على هذا التفسير قتـــادة ، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم · ويؤيده ان السورة مكية ، وقيل انها مدنية ، وعلى صحة هذا القول تكون نزلت مرتين ، وعلى كل فانها لا تنافى ما مر فانها لا تنافى تخصيص القربى بالآل ، لان من ذهب اليه كابن جبير اقتصر على أخص أفراد القربى ، وبين أن حفظهم آكد من حفظ بقية تلك الافراد ، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودته صلى الله عليه وسلم وحفظه بالاولى ، لانه اذا طلب حفظهم لاجله ، فحفظه هو أولى بذلك وأحرى . ولذا لم ينسب ابن عباس ابن جبير الى الخطأ ، بل الى العجلة ، أى السرعة عن تأمل ، أن القصد من الآية العموم ، والاهم منها أولا وبالذات ، وده صلى الله عليه وسلم ، ومما يؤيده انه لا مضادة بين تفسيرى ابن جبير وابن عباس ، ان ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا ، فافهم صحة ارادة كل منهما فيها ، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير ، وهو رواية الحديث الذى ذكرنا : ان فيه

شيعيا غاليا ، لكنه صدوق ، ولا ينافى ذلك كله أيضا تفسيرها بأن المراد الا التودد الى الله · لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ، لا أسألكم على ما آتيتكم به من البينات والهدى أجرا الا أن تودوا قرابتى ، وتتقربوا اليه بطاعته · ووجه عدم المنافات بـين التفسيرين ان من جملة مودة الله سبحانه والتقرب اليه ، مودة رسوله التى منها مودة أهل بيته وذكر بعض معانى اللفظ لا ينافى ما يضاده منها ، فضلا عما يومىء ويشير اليـــه ·

وقيل الآية نزلت بمكة وهى منسوخة ، لان المشركين كانوا يوذونه ، فأمرهم بمودته وصلة رحمه ، فلما هاجر الى المدينة ، وآواه الانصار ، ونصروه الحقه الله باخوانه من الانبياء ، فأنزل عليه : قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله » وهذا تنصل ظاهر من مودة أهل البيت ، لان النبى صلى الله عليه وسلم سماه ثقلا ، والتنصل من مودتهم يلزم عليه التنصل من مودته صلى الله عليه وسلم ومودة الله سبحانه لانهما طاعة واحدة وحقيقة لا تتجزا ، كما تقدم الكلام على ذلك قريبا ، وقد رده الحافظ البغوى بما نصه : ان مودته صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه وعن اقاربه ، لانها اذاية له ، ومودة اقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أى الباقية على ممر الابـــد فلم يجز ادعاء بنسخ الآية المحكمة ، لان حكمها باق ومستمر ، فكيف يدعى رفعه ونسخه وقد رده الامام الثعلبى أيضا فى تفسيره وبالغ فى الرد فقال : وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيته صلى الله عليه وسلم منسوخ ولا دليل عليه ، لان سياق الآية التى اتى بها فى قصة نوح عليه السلام مع قومه الذين كانوا يهددونه ويتحدونه ، ثم يعرضون عنه ، فوصف الله حاله معهم تسليا للنبى صلى الله عليه وسلم بما وقع لاخوانه من أولى العزم مع قومهم فقال : ثم اقضوا الى ولا تنظرون » جوابا علىتحديهم وتهديدهم له ، ثم قال : فى توليهم عنه ، وعدم سماعهم له : قل ما سألتكم من اجر فهو لكم » تهكما عليهم فى بعد عن امتنانهم عليه ، اى فان أعرضتم عن تذكيرى ونصحى فما سألتكم من اجر فأوجب التولى ، أو ما سألتكم من اجر ففاتنى ذلك بتوليكم ؟ ثم أجابهم الله تعالى عنه بقوله : ان اجرى الا على الله » ، وهو الثواب المنتظر فى الدار الآخرة ، اى ما نصحتكم الا لله لا لغرض مـــن أغراض الدنيا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : فان لم تستحى فاصنـــع



مـــا شئت .

ويصح دعوى انه متصل ، بخبر الملاق سيرته ، ان الله جعل أجرى عليكم المودة فى القربى وانى سائلكم عنهم غدا ، وحينئذ فتسمية ذلك أجرا ، مجـــاز ·هـ

وصح من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر قولـــه تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » بأن المراد منه انه ما من بطن من بطون قريش الا وللنبى صلى الله عليه وسلم اليها ولادة ، وقرابة قريبة ، أى ان لم تومنوا بما جئت به ، وتتابعونى عليه ، فلا أسألكم مالا ، وانما أسألكم ان تحفظوا القرابة التى بينى وبينكم فـــلا توذونى ، وتنفروا الناس عنى صلة للرحم التى بينى وبينكم ، اذ انتم فى الجاهلية كنتم تصلون الارحام ، ولا تدعوا غيركم من العرب يكون أولى منكم بحفظى ونصرتى · وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته ، ولكن خالفه أجلهم الامام سعيد بن جبير ، ففسر بحضرته الآية فان المراد قل لا أسألكم أيها الناس مالا على ما بلغته اليكم ، وانما الذى أسألكموه أن تصلوا قرابتى وتودوهم ولا توذونى فيهم ، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الاول أيضا ، وهو التحقيق ، لانها صالحة لكل منهما ، لكن يؤيد الاول ان السورة مكية ، وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ، ولم يرجع اليه أى الى التفسير الاول · وجاء من طرق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ، ورفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قالـــوا : يا رسول الله ، عند نزول الآية من قرابتك هؤلاء ؟ الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما · وفى حديث سنده حسن الا ان لكل نبى تركة وضيعة ، وان تركتى وضيعتى الانصار فاحفظونى فيهم . ويؤيد ما مـــر تفسير ابن جبير ان الآية فى الآل ، ما جاء عن على كرم الله وجهه قال : نزلت فينا فى الرحم آية ·

وأخرج الدولابى ان الحسن كرم الله وجهه ووجه أبيه ، قال : فى خطبته ، انا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال : لنبينا صلى الله عليه وسلم : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » واقتـــراف الحسنـــة مـــودتنـــا أهـــل البيت ·

وأورد المحب الطبرى · انه صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جعل أجرى عليكم المودة فى أهل بيتى ، وانى سائلكم غدا عنهم ·

وقد جاءت الوصية الصريحة بهم فى عدة أحاديث : منها حديث انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى الثقلين : أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى ، أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما . قال فيه الترمذى حسن غريب . وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزى فى اخراجه فى العلل المتناهية . كيف ؟ وفى صحيح مسلم وغيره فى خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر ، انى تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال : وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد ابن أرقم : راويه ، من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده . قيل ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس رضى الله عنهم ، قيل : كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة ؟ قال : نعم .

## حذار من بغض آل البيت

ان بغض آل البيت من الآفات فى الدين ، فليتب الى الله من كان يجد فى نفسه شيئا عليهم ، وليحذر على دينه الذى هو عصمة أمره ، حتى فيمن تظهر عليه الخطيئة منهم ، فانه قلما يطول أمره منحرفا عن الصواب ، لان ذلك حظ البشرية من كل مومن ، فاذا كانت الطينة الطاهرة محفوظة غير مشوبة بما سواها ، فلا بد من أن ترجع الى أصلها الاصيل والامة فى ذلك على قسمين : فيها التوابون ، وفيها المتطهرون ، وكل القسمين محبوب عند الله هتعالى مصرحا به فى قوله : ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ». قال المفسرون قدم التوابين ليلا ييأسوا ، وأخر المتطهرين ليلا يعجبوا والكل محبوب اليه تعالى . والذى مات بلا توبة فحكمه انه موقوف فى المشيئة . لقوله تعالى : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وهو مذهب أهل السنة وهذا البغض اذا كان راجعا الى أمر قلبى ، أما اذا تعداه الى البغى عليه والحاق الاذاية به فى نفسه أو ماله أو ولده فلا شك ان اذايته بمثل هذا اذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذايته صلى الله عليه وسلم اذاية لله تعالى . لان أعمال أمته تعرض عليه صلى الله عليه وسلم مرتين فى كل أسبوع ، وقد تقدم فى ذلك حديث : من اذى عليا فقد أذانى ومن آذانى فقد آذى الله . واليك ما ورد فى النهى عن ذلك ، صح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل



البيت أحد الا أدخله الله النار . وأخرج الامام أحمد مرفوعا من أبغض أهل البيت فهو منافق . لانه قد دلت التجارب من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن بغض أهل البيت لم يكن يوجد الا فى المنافقين ، ومعاذ الله أن نرمى أحدا ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الخطر فى الدين من غير المنافقين ، لانها حرفتهم التى يتوجون بها كفرهم الباطنى . وأخرج الترمذى عن جابر ، ما كنا نعرف المنافقين الا ببغضهم عليا .

وأخرج الطبرانى حديثا ، وفى سنده ضعف عن الحسن رضى الله عنه مرفوعا لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد الا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار .

وفى رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصة طويلة ، انت الساب عليا لئن وردت عليه الحوض وما أدراك ترده ، لنجدنه مشمرا حاسرا عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم . قول الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الطبرانى يا على معك يوم القيامة عصا من عصى الجنة تذود المنافقين بها عن الحوض وأخرج الديلمى مرفرعا بغض بنى هاشم والانصار كفر ، وبغض العرب نفاق.

وفى رواية فلو ان رجلا صفن بين الركن والمقام — أى جمع قدميه — فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لآل محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار . وصح أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال : ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى مجاب : (1) الزائد فى كتاب الله ، و (2) المكذب بقدر الله ، و (3) المتسلط على أمتى بالجبروت ليذل من أعز الله ، ويعز من أذل الله ، و (4) المستحل حرمة الله ، وفى رواية لحرم الله ، و (5) والمستحل من عترتى ما حرم الله و (6) التارك للسنة . وفى رواية زيادة سابع والمستأثر بالفىء .

وورد من سب أهل بيتى فانما يرتد عن الله والاسلام ، ومن آذانى فى عترتى فعليه لعنة الله ، ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله ، ان الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتى أو قاتلهم ، أو أعان عليهم ، أو سبهم ، يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين ، من يرد هوان قريش أهانه الله ، خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبى مجاب : الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل محارم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك للسنة .

وأخرج الامام أحمد عن أبى دجانة كان يقول : لا تسبوا عليا ولا أهل

هذا البيت ان جارا لنا قدم من الكوفة فقال : الم تروا هذا الفاسق بن الفاسق ان الله قتله ، يعنى الحسين رضى الله عنه فرماه الله بكوكبين فانطمس بصره .

وأخرج القاضى عياض فى الشفاء ما حاصله ان من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تقم قرينة على اخراجه صلى الله عليه وسلم من ذلك قتل .

وقد تقدم ان من أبغض أحدا من أهل بيتى حرم شفاعتى . وحديث لا يبغضنا الا منافق شقى . وحديث من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله . وقال الحسن رضى الله عنه من عادانا فلرسول الله عادى . وروى الامام أحمد وغيره : من أبغض أهل البيت فهو منافق . وفى رواية بغض بنى هاشم نفاق . وصح انه صلى الله عليه وسلم قال : يابنى عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا : أن يثبت قائلكم ، وأن يهدى ضالكم ، وأن يعلم جاهلكم سألت الله ان يجعلكم كرماء نجباء رحماء ، فلو ان رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو يبغض آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار .

وقد أخرج الثعلبى فى تفسير قول الله تعالى : وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : الاعراف موضع عال من الصراط ، عليه العباس ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب ، وجعفر ذو الجناحين ، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ، ومبغضيهم بسوادها. وقد صرح الامام البيهقى والامام الحافظ البغوى ان محبة آل البيت من فرائض الدين . كما نص على ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه محب آل البيت فيما نقل عنه من قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وعلم مما أوردنا ذكره من الاحاديث السالفة ، ان بغض آل البيت حرام ، والاقدام عليه اقدام على أعظم جرم ، واكبر اثم ، اذ هو من الكبائر التى قد تجر بصاحبها الى الكفر والعياذ بالله ، وذلك هو الضلال البعيد ، والخسران المبين ، وفقنا الله واياكم لما فيه رضى الله ، واجتناب سخطه .

وأورد الديلمى وابنه معا ، لكن بلا اسناد ان عليا رضى الله عنه قال : قال رسو لالله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق من ابغضنى وأهل



بيتى كثرة المال والعيال ، كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم ، وان تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم ، قال : وحكمة الدعاء عليهم بذلك انه لا حامل لهم على بغضه صلى الله عليه وسلم وبغض أهل بيته الا الميل الى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد ، فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته ، فلا يكون الا نقمة عليهم لكفرانهم نعم من هدوا على يده ايثارا للدنيا الفانية على الاخرى الباقية . ومن هذا المعنى قوله تعالى : أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » وهذا بخلاف دعائه صلى الله عليه وسلم بتكثير المال والولد لانس بن مالك ، خادمه صلى الله عليه وسلم ومحبه رضى الله عنه اذ القصد منه اتمام نعمة الله عليه جزاء له على قيامه بخدمته عشر سنين وقد جمع له صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء بين نعمتى الدنيا والآخرة ، فكان كثرة المال والولد بالنسبة له نعمة أيما نعمة ، بخلاف الاول ، فان نعمة كثرة المال والولد ستنقلب عليه شرا فى دينه ، فتكون فى حقه نقمة ايما نقمة .

## احترام عموم قريش احترام له عليه السلام

اخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش فى هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم ، والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا . واخرج البخارى عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله على وجهه فى النار . واخرج البيهقى عن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا أيها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ، ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فانهم أعلم منكم ، لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل . واخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ، امان لاهل الارض من الغرق القوس ، وامان لاهل الارض من الاختلاف الموالاة لقريش ، قريش أهل الله ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس . ومعنى القوس فى الحديث هو القوس المشهور « بقوس قزح » وسمى بذلك لانه أول ما رؤى فى الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة ، أو لان قزح هو الشيطان ، ومن ثم قال على كرم الله وجهه ، لا تقل قوس قزح ، فان قزح هو الشيطان، ولكنها قوس الله تعالى ، وهى علامة كانت بين نوح عليه السلام وبين ربه

عز وجل ، وهى امان لاهل الارض من الغرق .

واخرج الامام احمد والترمذى والحاكم عن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد هوان قريش اهانه الله . واخرج الامام مسلم واحمد عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الناس تبع لقريش فى الشر والخير .

واخرج الامام احمد عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال · اما بعد : يا معشر قريش فانكم اهل هذا الامر ما لم تعصوا الله ، فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحوكم كما يلحى هذا القضيب . ولحيه ازالة قشرته .

واخرج الامام مسلم واحمد عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم احد الا أكبه الله ما أقاموا الدين .

واخرج الامام أحمد والنسائى والضياء عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما أن استرحموا رحموا وان استحكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

واخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدى اثنا عشر أميرا كلهم من قريش .

واخرج الحسن بن سفيان وابو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت قريش ما لم يعط الناس ، اعطوا ما أمطرت السماء ، وما جرت به الانهار ، وما سالت به السيول ، واخرج الحاكم والبيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ابرارها أمراء أبرارها ، وفجارها أمراء فجارها ، وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له واطيعوا ، ما لم يخير احدكم بين اسلامه وضرب عنقه ، فان خير بين اسلامه أى تركه وضرب عنقه فليقدم عنقه .

واخرج الامام احمد وغيره ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : انظروا قريشا فخذوا من قولهم وذروا واخرج البخارى فى الادب والحاكم والبيهقى عن أم هانىء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فضل الله قريشا بسبع خصال : لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم ، فضل



الله قريشا ، انى منهم ، وان النبوة فيهم ، وان الحجابة فيهم ، وان السقاية فيهم ، ونصرهم على الفيل وعبدوا الله ( 20 ) سنة لا يعبده غيرهم ، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن ، لم يذكر فيها أحدا غيرهم : لايلاف قريش » واخرج الخطيب البغدادى وابن عساكر عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما ، اللهم كما أذقتهم عذابا فأذقهم نوالا . وقد نص العلماء على أن المخصوص بالاشارة فى الحديث ، هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس ابن عبد الله الشافعى المطلبى القرشى فهو أصيل فى قريش من بنى المطلب . وأخرج ابن عرفة العبدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله · وأخرج الامام مسلم والترمذى وغيرهما عن واثلة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . وفى رواية ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم ، واتخذه خليلا ، واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزارا ، ثم اصطفى من نزار مضرا ، ثم اصطفى من مضر كنانة ، ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ، ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب .

واخرج الامام احمد بسند جيد عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس : فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى من خيرهم فرقة ، وخلق القبائل ، فجعلنى من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا ، فجعلنى من خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وأنا خيركم نفسا .

واخرج الامام احمد والمحاملى والمخلص الذهبى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل عليه السلام ، قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم · وخصهم الله تعالى بدعاء الامة لهم بالصلاة عليهم .

## شرعت الصلاة عليهم تبعا للصلاة عليه (ص)

وتلك هى غاية شريفة لاهل البيت رضى الله عنهم ، لو تدروها حق قدرها لطووا ليلهم ونهارهم فى عبادة الله تعالى ، واتقوه حق تقاته ، شكرا

لهذه النعمة الجزيلة العظيمة ، اذ شرع الله تعالى لامة نبيه صلى الله عليه وسلم ، الدعاء لهم بالرحمة وجعله فرضا على كل مسلم فى عبادته لله تعالى فى سائر أوقات صلاته فرضا ونفلا ، وتلك مزية عظيمة لو قدرها كل شريف حق قدرها لاستحيى من الله تعالى أن يقف حيث نهاه ولطوى من أجل شكرها فى عبادته ليله ونهاره .

وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث ، يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الاباطيل . الحديث وروى الامام احمد : أعطيت فى على خمسا هن أحب الى من الدنيا وما فيها ، أما واحدة فهو بين يدى الله حتى يفرغ من الحساب ، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته ، وأما الثالثة فواقف على حوضى بسيفى من عرف من أمتى الحديث . فان قلت ان هذه الذرية قد أصبحت فى منئى بعيد عن العمل بما يقتضيه شرفها ومنزلتها من النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت ان الجهل والامية قد ابتلعتا أهل عصرنا ومن قبلهم بطبقة أو طبقتين ، وعم الاكثرية منهم ، فلم يبق بأيديهم الا التمسك بالاصول الضرورية البارزة من تعاليم الايمان والاسلام ، وجهلوا كل شيء عن أنفسهم وعن دينهم حتى أصبحت الجاهلية الاولى تناديهم بالرجوع اليها ، وقد زينت لهم جميع أحوالها ، ولكنهم رغم ذلك فلن نعدم فيهم الاستعداد الفطرى السليم لقبول كل خير والمسارعة اليه ، ولا ينتصهم الا الموجه والمرشد الذى اشتدت اليه الحاجة الآن أكثر من كل وقت مضى حتى يتخاصوا من الاحوال التى أصبحت مفروضة من قبل الظروف القاهرة ، واننا على يقين من أن سلفنا الصالح وخصوصا الذين ساعدهم عصر الازدهار العلمى كانوا سادة أجلاء عملوا بما ورثوه من العلم ، فكانوا أعبد الناس واتقاهم لله تعالى ، فحققوا فضل انتسابهم اليه صلى الله عليه وسلم بشرف العلم والعمل الصالح ، فكان وصولهم اليه عن طريق النسب الدينى أولى من وصولهم اليه عن طريق النسب الطينى ، بل قد جمعوا بين الغايتين ، وتلك هى أسمى الغايات لكل من انتسب اليه صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسنين ومن غيرهم من ذوى القربى الذين حرمت عليهم الزكاة المفروضة . واليك ما ورد فى حقهم .

روى النسفى فى تفسير قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبىء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » سئل عليه السلام عن هذه الآية فقال : ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم



فيصلى على — اى فيقول اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبىء الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما — أو نحوه من كل صيغة من صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الا قال : ذانك الملكان غفر الله لك ، وقال الله : وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان : لا غفر الله لك . وقال الله تعالى : وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين .

ثم هى واجبة مرة فى العمر عند الطحاوى من الحنفية وكلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم عند الكرخى ، وهو الاحتياط وعليه الجمهور ، وان صلى على غيره بحسب التبع فلا كلام فيه ، كقوله صلى الله على النبى وآله ، وأما اذا أفرده غيره بالصلاة عن أهل البيت فمكروه ، وهو من مبتدعات الروافض وشعائرهم قبح الله سعيهم . وقال غيره من المفسرين هذه الآية فيها أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق ، اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة ، لقوله تعالى : هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » وذلك هو الفضل بين الصلاتين والفرق بين المقامين ، والمراد بالملائكة جميعهم ، والصلاة منهم عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء له بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم ، فصار بذلك مهبط الرحمات ، ومنبع التجليات ، فرحمته صلى الله عليه وسلم من رحمة الله تعالى : التى وسعت كل شيء وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صلوا » أى ادعوا وهو أمر منه تعالى لامته صلى الله عليه وسلم بالدعاء له بهذا اللفظ المشروع عن الله سبحانه ، فان قلت كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غنى عن صلاة ودعاء أمته له بصلاة الله وملائكته جميعهم عليه ، فما الفائدة من صلاة أمته بعد ذلك على جهة التبعية لصلاة الله والملائكة ، قلت حكمة صلاة الملائكة والمومنين عليه تشريفهم بذلك ، ولتبقى صلتهم به صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة كأنهم معه اظهارا لتعظيم الله اياه ، ومكافاة لبعض حقوقه على أمته لانه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت اليهم ، وحق على من وصل النعمة لاحد أن يكافئه عليها ، فصلاتهم عليه مكافاة له ببعض ما كان يجب عليهم من الحقوق له ، فان قلت هذا قليل فى حقه صلى الله عليه وسلم عليهم ، قلت قد علم الله عجزهم عن مكافاته بغير ذلك ، فلم يكلفهم الا بما هو فى وسعهم وأما الصلاة الواصلة اليه من الله تعالى فلا يعلم كنهها الا هو ،

فهى فى ازدياد دائم مستمر بدوام الله سبحانه لا رب سواه .

واعلم ان العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فى تعيين الواجب ، فعند الامام مالك تجب الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، مرة فى العمر ، وعند الامام الشافعى تجب فى التشهد الاخير من كل صلاة مفروضة من الصلوات الخمس ، والى ذلك يشير فى قوله : من لم يصل عليكم لا صلاة له ، أى فهى باطلة ، وعند غيرهما تجب فى كل مجلس مرة أو هى واجبة عند ذكره كما تقدم ، وقيل يجب الاكثار منها بغير تقييد بعدد لان أمرها عظيم ، وفضلها جسيم وهى من افضل الطاعات واعظم القربات ، حتى قال بعض العارفين : انها توصل الى الله من غير احتياج الى شيخ او مرب لانه صلى الله عليه وسلم هو السند فيها بنفسه لانها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الاذكار فلا بد فيها من شيخ عارف لمن واظب عليها حتى يكون فى مأمن فى طريقه من جميع الآفات الذى قد يلقاه فى اسرار اسماء الله الحسنى ، ولا سيما الاسم المفرد . « الله » . وصح عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

وفى رواية للحاكم : فقلنا يا رسول الله : كيف الصلاة عليكم اهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الى آخره . فسؤالهم بعد نزول الآية واجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، دليل ظاهر على الامر بالصلاة على اهل البيت وبقية آله مراد من هذه الآية ، والا لم يسألوا عن الصلاة على اهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به ، وانه صلى الله عليه وسلم اقامهم فى ذلك مقام نفسه ، لان القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ، ومنه تعظيمهم بها ، ومن ثم لما ادخل من مر فى الكساء قال : اللهم انهم منى وانا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم . وقضية استجابة هذا الدعاء ان الله صلى عليهم معه ، فحينئذ طلب من المومنين صلاتهم عليهم معه . ويروى ولا تصلوا على الصلاة البتراء ، فقالوا وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .



وفى رواية اياكم والصلاة البتراء ، قالوا وما هى يا رسول الله ؟ قال : أن تصلوا على دون آلى ولا ينافى حذف الآل ما تقرر فى الصحيحين ، قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم الخ لان ذكر الآل ثبت فى روايات اخر ، وبه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ، ثم عطف الازواج والذرية على الآل فى كثير من الروايات يقتضى انهما ليسا من الآل ، وهو واضح فى الازواج بناء على الاصح فى الآل انهم مومنوا بنى هاشم والمطلب ، واما الذرية فمن الآل على سائر الاقوال ، فذكرهم بعد الآل للاشارة الى عظيم شرفهم .

وروى ابو داود من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل : اللهم صل على النبى محمد وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد . وقولهم علمنا كيف نسلم عليك ؟ اشاروا به الى السلام عليه فى التشهد كما قاله الامام البيهقى : وغيره .

ويدل له خبر مسلم : أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا اننا لم نسأله ، ثم قال : صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ، وزاد آخره والسلام كما قد علمتم أى من العلم . ويروى من التعليم ، لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن . وصح ان رجلا قال : يا رسول الله ، اما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلى عليك ؟ اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا صلى الله عليك فصمت صلى الله عليه وسلم حتى احببنا أن الرجل لم يسأله .

وصح ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ، ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال له : أو لغيره ، اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء . ومحل البدء بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد وبهذا كله اتضح قول الامام الشافعى رضى الله عنه بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد ، لما علمت منه انه صح عنه صلى الله عليه وسلم الامر بوجوبها فيه ، ومن انه صح عن ابن مسعود تعيين محلها ، وهو بين التشهد

والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذى ذهب اليه الشافعى هو الحق الموافق لصريح السنة ، ولقواعد الاصوليين .

واعلم ان النووى رحمه الله نقل عن العلماء كراهة افراد الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها فى التشهد فلا افراد فيه ، وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام فى مواطن : منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبرانى فى الدعاء مرفوعا وانما حذف فى بعض المواطن اختصارا ، وكذا حذف الآل .

وروى الديلمى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء محجوب حتى يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، اللهم صل على محمد وآله . وكأن قضية الاحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل فى التشهد الاخير ، كما هو مذهب الامام الشافعى واما قوله فى احد البيتين المشهورين عنه :

كفاكم من عظيم القدر انكم      من لم يصل عليكم لا صلاة له

فهو يشير الى كلا قوليه فى مذهبه ، فليحتمل لا صلاة له ، اى لا صلاة له صحيحة فتكون باطلة اذا خلت من الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم . وهو القول بوجوبها فى الصلاة لانها ركن من اركانها ، ومن ترك ركنا من اركان الصلاة بطلت صلاته . ويحتمل قوله لا صلاة له ، اى لا صلاة له كاملة فيوافق الاظهر من قوله ، فتكون الصلاة على القول الثانى صحيحة وانما لم يات بها على الوجه الاكمل المطلوب فيها طلبا غير جازم . واخذ القول بالوجوب من الامر فى الحديث المتفق عليه ، قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويؤيده الحديث الذى اخرجه الدارقطنى والبيهقى وفى سنده ضعف : من صلى صلاة ولم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه هـ .

## واجب أهل البيت فى أنفسهم

فمن الواجب على اهل البيت ان يقوموا مقام مشرفهم صلى الله عليه وسلم اقتداء بسلفهم من اهل البيت المطهر المكرم ، وان يجروا فى جميع احوالهم على هديه وسمته ، اعتقادا ، وعبادة ، ومعاملة ، وزهدا ، وورعا ، وتقوى كاملة كما فعل اولائك العباقرة من العارفين بالله فى صدر السلف الصالح ، ولا تستبعد ان تصل الى ما هو اعلى من ذلك ، لان فضل



الله لا يحجر ، ولا يلتفت الى قول بعض من فسدت نيتهم ، وكسدت سلعتهم فى أسواق الربح من العمل الصالح ، بدعوى فساد الازمنة والاخلاق ، وعدم المعين على الخير ، فانى أقول قال العلماء : أهل السنة والجماعة من كان على الحق ولو واحدا ، لقوله تعالى : ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

واعلم انه وقع خلاف فى التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحى هذه الامة ، فقد ذهب الامام العلامة أبو عمر بن عبد البر الى أنه يوجد فيمن ياتى بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة ، واحتج لذلك بخبر : طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة ، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات . وبخبر عمر رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون أى الخلائق أفضل ايمانا ؟ قلنا : الملائكة ، قال : وحق لهم بل غيرهم ؟ قلنا : الانبياء ، قال : وحق لهم ، بل غيرهم ؟ ثم قال : صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ايمانا ، قوم فى أصلاب الرجال ، يومنون بى ولم يرونى ، فهم أفضل الخلق ايمانا . وبحديث مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله . ياتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل منهم أو منا يا رسول الله ؟ فقال : بل منكم . وفى رواية أخرى زيادة وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : أنتم تجدون على الحق أعوانا ، وهم لا يجدون على الحق أعوانا .

وبخبر : ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا ، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . وبخبر : يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يومنون بى ولم يرونى . ويؤيد ذلك ما روى عن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، ان اكتب لى سيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها ، فكتب اليه سالم ، ان عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر ، فان زمانك ليس كزمن عمر ، ولا رجالك كرجال عمر . وكتب الى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب بمثل قول سالم . قال العلامة : أبو عمر بن عبد البر ، فهذه الاحاديث تقتضى مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الامة وآخرها فى فضل العمل بطاعة الله تعالى ، الا أهل بدر والحديبية وقال : وأما خبر : خير الناس قرنى فانه خرج مخرج الغالب ، لان منهم المنافقين وأهل الكبائر الذين أقيمت على بعضهم الحدود . وبعض هذه الاحاديث له طرق قد يرقى بها الى درجة الصحة . والحديث الذى

رواه الترمذى ، وهو من الستة المتفق على صحة كتبها — ان المفضول قد تكون فيه مزية لا توجد فى الفاضل ، وقال : مجرد زيادة الاجر لا تقتضى الافضلية المطلقة ، والخيرية بينهما انما هى باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المومنين ، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من ياتى على بعض الصحابة فى ذلك ، وسياتى الكلام على ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم بعد اتمام الكلام على أهل البيت ·

اقول : ان ظروفا ألمت بأهل البيت فى زماننا هذا والذى قبله ، وأنزلت الاغلبية منهم منزلة من الجهل كادت أن تلقى بهم فى مهاوى الضلال البعيد ، فأصبح من بين فضلائهم من لا تتوفر فيه الشروط لامامة الصلوات الخمس والجمعة ، لعدم معرفته بأحكام ما تصح به الصلاة والطهارة وما تبطل به على وجه اجمالى . اذا هو رشح لها من طرف من اختاروه لخيارته وفضله وتقواه ، وعلى هذا فانه اصبح من المؤكد على أهل البيت الشريف الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية قبل غيرهم ، وقوفا مع شريعة جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتأكد ذلك على كل من حفظ القرآن الكريم منهم · ثم يسترسل فى دراسة علوم العربية من نحو ومعقول وبلاغة وفقه فى العبادات والمعاملات وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولا ينبغى لهم أن يقفوا عند تحفيظ القرآن الكريم لاولادهم ، ويقنعوا بثمن الربع من الخير كله وانى اعرف انهم يتوفرون على كمية هائلة من الشباب الذى لا يتجاوز الخمسة عشر سنة من حفاظ القرآن الكريم ، ولكن مجهودات هذا الشباب كثيرا ما تذهب سدى من وجهين اثنين : الاول فقر الوالدين وجهلهما ، والثانى عدم المرشد والمشجع وارجو من أولياء أمورهم أن يتجافوا بفلذات أكبادهم وان لا يجازفوا بهم فى التنافس الدنيوى المهلك ، وقد رأيت طائفة من خيار أهل البيت من أبناء العلميين من الذين جمعوا بين العلم والقرآن الكريم ، غرتهم الدنيا بزخارفها واتبعوا سبل الشيطان والهوى ، فتحقق فيهم قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا     فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقد كنت آمل أن يسلكوا سبيل الاكياس وأن يجمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة ويحققوا بذلك ما قال حاكم الشعراء :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا     وما أقبح الكفر والافلاس بالرجل

رزقنا الله واياهم الثبات على كتاب الله وحفظه ، والعمل بمقتضاه



والسير على هداه ، ووفقنا واياهم لتدارك المجتمع الاسلامى المهدد بأعمال الشياطين المحفوف بالاخطار التى تمس العقيدة والدين والايمان بالله الذى هو رأس مال كل مسلم ، ولن يزال رجاؤنا فيهم وطيدا حتى يحققوا لنا نهضة علمية دينية تخلد لهم مجد ميراث الآباء والاجداد فى المحافظة على الايمان والدين لهذه الامة الاسلامية ، ويطردوا من مجتمعهم وصمة عار الجهل المخيم على هذا المجتمع ويحققوا انبعاثا جديدا من خير قادات لخير سادات ، تلك عهود من الآباء توارثتها الابناء · ولهذا رأى العلماء انه يتأكد على المسلمين عامة وعلى أهل البيت خاصة الاعتناء بتحصيل العلوم الدينية والشرعية ، لانه لا خير فى اسلام ولا فى نسب بغير العلوم الدينية والشرعية ، ودلائل الحث على تحصيلها وتحصيل آدابها ، وآداب العلماء والمتعلمين ، وتفضيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الائمة فراجعه هناك · وقد قدمت لك الكلام على جملة من عباقرة أهل البيت والمشاهير من اقطابهم رضى الله عنهم الواحد تلو الآخر من ذرية الحسنين بالمشرق وسأزيدك الكلام على ما بقى منهم بالمغرب ان شاء الله ، وستراهم بتراجمهم حتى يكون خاتمهم الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش الذى وضع الكتاب من أجل التعريف بأولاده ونسبهم اليه ·

ولك فى ذلك أيها الاخ الشريف أحسن قدوة بأولائك العباقرة الافذاذ من آبائك واجدادك وأبناء عمك الذين ملأت شهرتهم مشارق الارض ومغاربها ، وانى لك أيها الاخ الشريف أن يتحقق لك مقام بين أولائك بدون الاستقامة والسير على طريقهم ، والتأسى بهم فى جميع أحوالهم فانهم حققوا لك خيرا جزيلا ، وخلفوا لك من ورائهم ذكرا جميلا · وكما أود لك أن تتباعد عن غرور الجهلاء الذين يريدون أن ينبذوا سبيل آبائهم وأجدادهم فى الحصول على أسمى المقامات فى الفضل والصلاح وأن يعتمدوا على مجرد الانتساب فى الوصول الى ذلك ، ولا أحسب ذلك الا غرورا من وحى اللعين وخذلانا بما يزينه لهم الشيطان الرجيم · أجل ، فانه ليس بعد الحق الا الضلال ، فانه من أقبح القبح واظلم الظلم أن يتبع الشريف غير طريق آبائه وأجداده فى الاخلاق والفضل والدين ويتكل على الامانى الكاذبة قال تعالى : فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » وقد رأيت هناك طائفة من المعتوهين قضوا حياتهم فى ظلمات الغفلة متمسكين بأوهام كاذبة وربما كان معينا لهم على ذلك من كان غارقا فى الكبائر من المنتمين الى العلم والتقوى المصنوعة بخيوط عنكبوتية ، فى سبيل الحصول على النفع الدنيوى وما يتبع ذلك من

أمانى الاستغلال ، وعلى مثل هذا سارت الادمغة الفارغة المملوءة بأحلام النائمين من حلفاء ابليس ومردة الشياطين . الذين زين لهم جهلهم وغرورهم ان ما هم عليه من الدين ، ولم يكتفوا بذلك فى أنفسهم بل جعلوا يصورون للغاوين أن أفعالهم وسائر ما ينتهجونه من الدين ، وقد كنت منذ الصغر وانا اكره ما ينتهجونه من هذه الترهات والاباطيل ، وانا فى ضيق نفسانى منها حيث لم يكن عندى من العلم ما يبطلها ، وقد كان حبب الله الى العمل بالدين ، وبعد ما حفظت القرآن الكريم شرعت فى الترحال فى طلب العلم تأسيا بقوله تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ولما من الله علينا بنصيب من العلم تمكنت من مقاومة أولائك الجاهلين المغرورين ودحض شبهاتهم الباطلة التى وجدت لها محلا فى أدمغة الكثيرين ، وبعد ما دخلت معهم فى صراع اصطدمت بصخور صلبة من كبار أهل الجهل والغرور من عشيرتى ، فكانت عاقبتى معهم أن سد فى وجهى كل سبل الحياة ووجوه النفع ، فاقتضى الحال أن أعيش منبوذا مطرودا من بين ذوى وعشيرتى فى أهلى ، فمر بى الحال على ذلك أياما وأياما ، وقد كان من قدر الله أن لا بد للحق أن ينتصر ، وبعد ما ذهبت تلك الايام بأتوامها وجاءت أيام أخرى بآخرين ، زالت العقبات فواصلت السير على ما كنت عليه من بيان ما هو الحق ، وتيسر لى أن اتصل بأبناء عمى فى كل ناحية من أنحاء بلدتى فقمت فى كل مناسبة بمحاضرة مشتملة على ما هو الصواب فى العقائد الصحيحة فيما بين الانسان وربه ، وان كل ما وصل الى اذهانهم من غير ذلك فهو جهل وغرور ، فلا يصح أن يدان الله به . فحاضرت بجامع قرية تزية ، ثم جامع قريتنا أفرنو السفلى ، ثم سيدى مشيش ، ثم سيدى سلام وقد تكرر ذلك بتكرار المناسبات وقد استحسنت أن أركز جهادى على تنظيف العقيدة للمسلم من كل ما علق بها من الاوهام الكاذبة والغرور الشيطانى الامر الذى قد يجر بصاحبه ان ترك على ذلك الى العودة الى الشرك المحرم على هذه الامة المحمدية والعياذ بالله ، وقد جعلت تأليف هذا الكتاب من مكملات جهادى فى هذا السبيل لما اشتمل عليه من تصحيح المعتقدات فى كل حال من الاحوال . وفى الحديث :

## لعـن الله الداخـل فينـا بـلا نسب

لقد فتح ابليس اللعين بابا من أبواب الخسران المبين ، للذين طغت عليهم أهواؤهم من الذين ساءت سريرتهم وخبثت نفوسهم ، وتعطلت أحوالهم وأفعالهم غير مبالين أو متأولين ما ورد فى الحديث الشريف من اللعنة عند ما



ادعوا لانفسهم ولوج النسب الشريف ، ولم يقنعهم الاسلام ومبادئه أن يدخلوا به على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده من جميع أبوابه عن طريق التقوى والعمل الصالح وحبهم لله ولرسوله ولاهل بيته الطاهرين المكرمين ، حتى يرفع الاسلام من درجاتهم ويلحقهم بتائد المتقين والمحبين فى الله ورسوله وأهل بيته وعشيرته الاقربين . من قد علم الله منه صدق ايمانه ، واخلاص محبته ، فشرفه نصا منه باذن من الله سبحانه أن يلحقه بأهل البيت . فقال : صلى الله الله عليه وسلم « سلمان منا أهل البيت » وأكد له ذلك حين أخذ من تمر الصدقة : يحرم عليك يا سلمان ما يحرم على أهل البيت ، ويحل لك ما يحل لهم ، ومثله فى الالحاق بهم أسامة ابن زيد رضى الله عنه ، وواثلة ، وأبو ذر الغفارى رضى الله عنهم ، فكل هؤلاء أدخلهم الاسلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد من جميع أبوابه ، ولم يطلبوا منه أن يكونوا من أهل بيته ، فقد رفعهم ايمانهم واسلامهم وحبهم الصادق فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، حتى جاءتهم البشارة وألحقهم النبى صلى الله عليه وسلم نصا بأهل بيته . وكل من أراد اللحوق بهم فعليه أن يسلك سبيلهم ولو خلا من النص لانهم انتقلوا من البيت العام الذى هو المسجد الى البيت الخاص الذى هو القرب منه صلى الله عليه وسلم بسبب اخلاصهم وحبهم فى الله ورسوله وأهل بيته ، فهؤلاء قد ولجوا البيت من بابه ، وكل من كانت له رغبة فى الوصول الى ما وصلوا اليه ، كان لازما عليه أن يسلك سبيلهم ، لانهم مثلهم فيما لهم وفيما عليهم . وقد أخذوا سهم ذوى القربى معهم فكانت لهم أحكام أهل البيت سواء بسواء ، وفى ذلك قال بعضهم :

| | |
|---|---|
| عليك بتقوى الله فيمـا تريـده | ولا تترك التقوى اتكالا على النسب |
| فقد رفع الاسلام سلمان فارسى | وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب |

ومن أحاديثه ما رواه الحاكم وصححه ، أخرج ابن مردويه عن سلمان الفارسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان حج الملوك نزهة ، والاغنياء للتجارة ، والمساكين للمسألة والقرآن رياء وسمعة ، فعند ذلك يظهر نجم له ذنب . ولذلك يظهر ان البيت الخاص به صلى الله عليه وسلم ليس له الا بابان : الاول باب فاطمة الزهراء وذريتها الى يوم القيامة فانهم باجماع الامة الاسلامية أهل بيته صلى الله عليه وسلم وخاصته الادنون ، وهم من تقدم الكلام عليهم ، والثانى باب أحباب النبى صلى الله عليه وسلم وأحباب ذريته الطاهرة . اذ هو القائل فيه للرجل الذى

سأله عن الساعة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، فقال : صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت ، فقال الحاضرون من الصحابة : ما فرحنا بشىء أشد من فرحنا بقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مع من احببت والباب الثانى هو باب سلمان الفارسى ومن عطف عليه رضى الله عنهم · بل هو باب كل محب لله ورسوله وأهل بيته وذريته فاطمة الزهراء الى يوم القيامة ، وهو احسن باب للدخول فى اهل البيت ، والحصول على ما تشرفوا به من خيرى الدنيا والآخرة ولا بد فى ولوج البابين من تحقيق التقوى والابتعاد عن الامانى الكاذبة لاهل الباب الاول والثانى ، لقوله صلى الله عليه وسلم ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم · وقوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه · ولو لم يكن فى زجر أهل الامانى الكاذبة من اهل البيت الا هذان الحديثان لكانا كافيين فى حملهم على التقرب اليه صلى الله عليه وسلم بالتقوى والعمل الصالح ، والابتعاد عن الاوهام الباطلة واحلام المخذولين من اهل الكبائر والكسل · لقوله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فكان لازما على من أراد ولوج احدى البابين أن يكون من اهل التقوى امتثالا لامر الله واقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم واما من أراد الدخول فى صفوف أهل البيت من باب هواه فلن يكون واصلا اليهم أبدا وليتبوأ مكانا مرموقا من لعنة الله عليه من دعوته صلى الله عليه وسلم عليه بذلك ، وذلك هو عين الخسران المبين والعذاب المهين، لان قائده الى هلاكه هواه ونفسه الامارة ، فهو جسور على النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك لعنه وطرده من رحمة الله ، فأصبح مع الشياطين ومردة ابليس اللعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يتوب ·

وقد نقلت من كتاب الاملاء للنقيب العلامة ابن عبد الوهاب الفرنيوى الذى هو النسابة الفقيه سيدى على بن عبد السلام بن عيسى بن يوسف ابن يوسف مكرر بن عبد الوهاب كان من أهل القرن العاشر ، وكان معاصرا للمولى اسماعيل العلوى ما نصه : وفى الذخيرة : من انتسب الى النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويسجن طويلا حتى تظهر توبته ، لانه استخف بحق النبى صلى الله عليه وسلم و فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : من انتسب الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام · رواه البخارى · وفى صحيح البخارى أيضا من انتسب الى غير أبيه أو تولى



غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين · وحديث الترجمة قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الداخل فينا بلا نسب ، والخارج منا بغير نسب · وقال تعالى : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » ونظرا لرقة الديانة وقلة الخشية من الله جهلا بمصير العواقب ، فقد كثر اليوم أكثر من كل وقت مضى المتطلعون لولوج النسب النبوى رغبة منهم فى الحصول على التحلية الدنيوية الفانية التى تعقبها الندامة والحسرة ، تاركين وراءهم ما هو افيد من تقوى الله والعمل الصالح الذى قد يرفع بهم الى درجة سلمان الفارسى رضى الله عنه · ولم يكن ولوج النسب الشريف حادثا خاصا بأهل هذا الزمان ، بل كان ولوج النسب النبوى الشريف غرض كثير من ينتمى لدين الاسلام فى مختلف العصور من لدن الصدر الاول للاسلام الى يومنا هذا ، ولذلك فتح النبى صلى الله عليه وسلم الباب لمن سلك سبيل الوصول الى أهل البيت ، وكان هناك من قدر له الدخول فدخل لانه سلك سبيل الباب اليه ، وان هناك كثيرين ممن اخطأوا سبيل الباب فضلوا عنه ولم يصلوا اليه فحرموا الدخول فى صفوف أهل البيت · وكان من بين هؤلاء من اقحم نفسه وادعى النسب الشريف لنفسه ، فباء بلعنة الله عليه وملائكته والناس أجمعين ، ومن أجل ذلك أصبح ملعونا مطرودا من رحمة الله ، فصار من حزب ابليس ولم يبق من حزب الله ، لانه افتات على صاحب الشرع فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وليس هناك ظلم للنفس اضر بصاحبه من هذا الافتيات الشنيع · فكيف يرجو الجزاء بالحسنى فى المعاد هذا الشقى الذى تسبب فى حرمان نفسه من جزاء الايمان والاسلام ، وعرضها للعقاب والعذاب المهين لكونه ادعى لنفسه ما ليس له عن طريق الزور والتدليس وركن الى ذلك معجبا بنفسه ومتحديا بذلك ضميره ودينه الذى يحرم عليه ذلك ، فأين العقل والمروءة اللذان يحفظان صاحبهما من الوقوع فى مثل هذا ؟ وأين الحياء من الاقدام على رسول الله بدعوة النسب المزور ؟ فأين انت يا مدعى النسب المزور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تستحيى فاصنع ما شئت ؟ فما أعظمها فرية وأعمقها سخافة ! وأين أنت من الطعن الذى يتبعك من الخلف ، فهيهات هيهات أن تعيش مع ما زورته لنفسك مطمئنا مرتاح البال ، وكفاك بذلك زجرا وقد كان لك يا معتوه فى تقوى الاسلام ما يكفيك ويغنيك عن اقحام نفسك فى مثل هذا مدعيا ما ليس لك ، فكيف تدومك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فستجده متنكرا لك لانه لم يعرفك من أهل بيته · اللهم ان هذا من المنكرات المحدثة والمتعلق

به لا عقل له ، وسيقال لهم يوم القيامة : وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » لانهم سيفضحون على رؤوس الاشهاد يوم القيامة ، اذ ينادى كل شريف باسم ابيه ، وتنادى الامة بأسماء أمهاتها سترا عليها ، واين يكون حينئذ هذا الكذاب الملعون من شهادة الواقع عليه ، وتكذيب ضميره ، وضلال شيطانه ، ولعنة الله ورسوله عليه ، ولن يكون الحامل لهم على ارتكاب مثل هذا الخطأ الشنيع الا الاعجاب بالنفس ، والكبر ، وحب المحمدة والرضى عن النفس ، وهذه كلها أمراض نفسانية محبطة للعمل . وانى أنصحك أيها الاخ الكريم أن تشفق على نفسك واهلك ، ولا تقحمها واياهم فيما ليس لك فتظلمها بما هو حرام عليك من الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم عن طريق الزور والبهتان لان ذلك لا يرفع من قيمتك ولو كنت منهم حقا ، واعتمد على العمل الصالح ، وجرده من دعوى الزور والبهتان ان أردت التقرب للنبى صلى الله عليه وسلم ، لان الانتساب المجرد لا يكفى حتى لمن كان منهم . فما هذا الغرور وما هذا الخذلان ! ؟ وما هذا الهول الذى أصاب العقيدة السالمة ؟ وقد عاش الكثير من المسلمين فى انسابهم بتقوى الله والعمل الصالح . وما ضرهم ذلك ، حتى أصبح اليوم الولد ينازع اباه على بقائه فى الاسم العائلى القديم ، واننى اعرف من نازع اباه على ذلك فلم يرجع اليه ، وخالفه واطلق على نفسه اسما لاشهر العائلات الشريفة ، مقتنعا فى ذلك بتشريف من يعرفه من جديد ، كما اعرف أن هناك كثيرا من المتطلعين للانسلاخ من الاسم العائلى القديم ، واستبداله بغيره ، والظاهر ان التهاون أصاب العقيدة حتى أصبح كل شئ على من أراده سهلا ، فان كان هناك بقية من الايمان بالله فالله تعالى يقول : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » وليس لنا أن نقول بعد هذا شيئا الا ما قال الشاعر :

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

والحياء اثر ومظهر من مظاهر العقل فى الانسان لانه يمنع صاحبه من فعل ما هو منكر ويلومه عليه قبل أن يقع فيه ولهذا كانت خلته فى الانسان محمودة ، وقال عليه الصلاة والسلام لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء . وقال أيضا الحياء شعبة من الايمان . وقال الامام على فى الحياء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

انظر الى الصحابى الجليل سلمان الفارسى الذى قدمنا الكلام عليه رضى الله عنه كيف رفعه عمله واخلاصه وحبه الصادق حتى فاز بنص من



الشارع : سلمان منا اهل البيت . الم تقنع ان تكون فى الاسلام بمنزلة سلمان ، اذا أردت أن تكون مثل سلمان فاسلك سبيله ، فان سلمان من الذين اقنعهم الاسلام ، وكن أنت مثله ، واجب عن نفسك بمثل ما اجاب به لما سئل عن نسبه ، فقال : أنا سلمان بن الاسلام . ولم يزد على ذلك شيئا ، ولم يكن ليجهل نسبه ، لانه كان من سلالة مالكة باصبهان ، ولكن عقله الراجح ، واسلامه المتين ، ونيته الخالصة ، وحبه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحبته له اقنعته بأن يتجاهل نسبه الجاهلى مبتدئا طريقه الصحيح من الاسلام . وهكذا ينبغى أن يفعل كل الذين يتوقون فى الوصول الى ما وصل اليه عن طريق اللاشرعى ، ما اخس نفوس اولائك الذين يريدون ان يعيشوا مع الانتساب المزور قسرا والالسنة تطعنهم من الخلف الى الابد قاطعة عليهم الطريق حتى لا تركن نفوسهم الى ما انتحلوه زورا لانفسهم ، ولا ريب ان ذلك اكبر جزاء لهم فى هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة سيلقون الخزى والفضيحة والعار يوم ينادون بأسماء أمهاتهم تحقيرا لهم على ما صنعوه وابتدعوه لانفسهم من النسب المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون . قال العلماء قد ورد التحذير العظيم من الانتساب الى غير الآباء وان منتحله كافر ملعون ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من انتسب الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . اعلم ان اللعنة الواردة فى الحديث هى الطرد والبعد من رحمة الله فمرتكب من استحق هذه اللعنة كان نظير ابليس فى ذلك البعد والطرد من رحمة الله ، ومن اجل ذلك صار من حزبه ، فالرحمة والدخول فيها وشمولها لكل عاص من اهل الكبائر هو آخر ما ينتظره المسرفون على انفسهم من الذين اعترفوا بذنبهم ولم يتوبوا حتى ماتوا على ذلك . وقال الله فى المتقين الكبائر : ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير » واخرج البخارى فى صحيحه : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من انتسب الى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام . وروى عن الامام مالك فى الاحكام الفقهية من كتاب الذخيرة ما نصه : من انتسب الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويسجن طويلا حتى تظهر توبته ه وفى الحديث ان الداخل فيهم وليس منهم يفتضح بين الخلائق — أى يوم القيامة — اذا لم يدع باسم أبيه ويستحيى . وهذا اذا لم يكن هو المتسبب فيه ، وأما المدعى الكذاب الاول فما يناله من العقوبة واللعنة ابشع ، وافضح من فضيحة تابعيه اذا لم يكن يعلم باعتداء آبائه ومما يحمل

على العجب والاندهاش ان بعض العلماء ممن يزعم ان له القيادة فى علم الحديث ، والتصوف فى السلوك الربانى وقد نصب نفسه فى هذا العصر لتربية السالكين لم يتورع دعوة النسب الى أهل البيت ، ويظهر ذلك على وجه تآليفه انه ادريسى وحسنى النسب ، ولم يعرف أحد من عامة الناس وخاصتهم ان له نسبا لا فى الحسنية ولا فى غيرها كيف وقد مر على ما ذكرنا من الاحاديث والاحكام الفقهية وغيرها ولم يعد الى رشده ، ولم يحمله ذلك كله على التورع أن يدعى ما ليس له وينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبا ؟ وكيف لا ياخذك العجب من أمثال هذه الشخصية التى لها وزنها فى المجتمع بين العلماء المعاصرين دون أن ياخذه الحياء والخجل من الاقدام على مثل هذه الفرية والوقوع فى المغامرة المخزية ، ولكن ضعف الوازع الدينى هو الذى يهون على صاحبه كل جليل خطير ، ويجل له كل هين حقير . ان دعوة النسب صارت فى بلدنا شعار كل سياسى محتال ، أو متصوف زاهد نصب نفسه لتربية الامثال . وأما العامة المساكين فهم مثل الانعام ، لا يصرفهم عن الانتساب المذكور الا العصا وفصل القضاء .
وقد بردت الهمم فلم تبق غيرة لخواص المسلمين ولا لعامتهم على هذا النسب الذى هو نسب نبيهم وينشأ عنه ضبط أولاد سيدهم ، حتى لا يدخل فى نسبه الشريف من ليس من أهله ، وقال العلماء : ينبغى لكل أحد من المسلمين أن تكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ، فان انساب أهل البيت النبوى لم تزل مضبوطة على تطاول الايام ولم تزل احسابهم التى بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها اللئام من الجهال ، قد الهم الله من يقوم بتجديدها وتصحيحها فى كل زمان ، ومن يعتنى بحفظ تفاصيلها فى كل أوان ، خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ، ومن وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببنى فاطمة الزهراء من بين ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزيد شرفهم .

وقد نقل عن العلامة القاضى فى حينه سيدى الحسن الالالى فى أجوبة له ، صححها تلميذه العلامة القدوة سيدى سعيد العميرى رحمهما الله ، ونصه : قال : وجواب التاسعة أن صيانة هذا النسب الكريم من المنتسبين المختلسين ، وحماية حماه من المنتحلين فى زماننا لهذا النسب الكريم جراة على سيدى الوجود صلى الله عليه وسلم ، وجهلا منهم بالوعيد الوارد فى حديث من انتسب الى غير أبيه الحديث المتقدم ، وانضم الى ذلك تساهل



العوام فى شهادتهم ومسامحة الخاصة فى الانكار على كل من انتسب الى هذا النسب الشريف ظنا منهم ان ذلك أسلم لهم ، وهيهات فانى السلامة ؟ وقد أسلموا الذخيرة الحسنى الذى هو النسب النبوى الذى اليه المفزع معاشا ومعادا ، ومنه استمداد العالم ظاهرا وباطنا وتركوه فى أيدى العوام يبيعونه بثمن بخس ، فما رامه منتحل الا وجده على طرف التمام ، وقد علموا انه محض حق الله ، الذى تجب المبادرة فيه بالامكان ، فكان حقا عليهم أن يعتنوا بحفظ نور نبيهم وضبط أولاد سيدهم اذ هو نفس دخائرهم ، فيقدر قدره ، وتستمطر بركته وسره ، فيستسقى به الغمام ، وتستشفى به العاهات والاسقام . ويستعان على ذلك بأن يامر الامام ، زين الله به الليالى والايام ، رجلا من الافاضل يجمع خاصة البلد عند قاضيه ، ويوقعون شهادتهم بين يديه على افراد شرفاء ذلك البلد بحسب ما هو محق عندهم كالشمس من مجمع عليه مع كونه متواترا أو حادثا فتدون تلك الجواهر المجمع عليها مع بيان المتواتر منها والحادث ، لتبنى الاحكام الشرعية على ذلك حسبما أسلفناه من كلام البرزلى ، قال فى آخر كلامه بعد أن فصل المهمة التى يقوم بها نقيب الاشراف المعين من طرف من له الولاية العامة قال : فهو خصم لكل دخيل فى النسب الاثيل ، والرب سبحانه يوفق الكل ويسدده ويعمر أرجاء قلوبنا بمحبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة أصحابه ، وأزواجه وذرياته ، وأن يحيينا على سنته ، ويتوفانا على ملة الاسلام مع السلامة والعافية ، والمقامات الكاملة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة بمنه وكرمه . وكتبه غبار نعال آل البيت الحسن الالالى . رحمه الله.

روى البخارى فى صحيحه ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تر . وروى ايفاليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه الا كفر . وروى جماعات أحاديث أخر ، ان ادعاء نسب بالباطل أو التبرى منه كفر . أى للنعمة أو استحل ما يؤدى اليه ، ومن هنا توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول فى الانساب ثبوتا أو انتفاء ، لا سيما نسب أهل البيت الطاهر المطهر . وعجيب من قوم يبادرون الى اثباته بأدنى قرينة من حجة موهومة ، يسألون عنها يوم القيامة : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .

## فضل الصحبة يتفاوت

الصحابى : هو كل من اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم

مومنا به ومات على ذلك سواء رآه أو لم يراه . قال ابو منصور البغدادى من اكابر أئمتنا : لقد اجمع أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على العموم، ثم عمر ، رضى الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام : عمر بن الخطاب حسنة من حسنات أبى بكر الصديق ، ثم عثمان ثم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، وهم سعد ، وسعيد ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، بعد الخلفاء الاربعة . ثم أهل بدر من غير هؤلاء ، ثم باقى أهل أحد ، ثم باقى أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، ثم أضاف الصحابة فى الفضل على هذا الترتيب ، (1) المهاجرون ، و (2) الانصار ، والثالث خلفاؤهم من الذين جاءوا بعدهم ، و (4) من أسلم يوم الفتح ، أو بعده ، ثم السابقون من الانصار أفضل من متأخرى المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الانصار ، ثم هناك تفاوت آخر اعتبارى قرب متأخر اسلاما أفضل ممن تقدم بين المهاجريـن كعمر رضى الله عنه ، فانه أفضل ممن تقدم عليه كبلال بن رباح ، قال الامام ابن حجر الهيتمى : محب آل البيت رحمه الله ، واما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم ، وفازوا به من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم المباركة ، ورؤية ذاته المكرمة المشرفة ، فأمر من وراء العقل ، اذ لا يسع احدا أن ياتى من الاعمال وان جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله ، ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك ، وناهيك به جلالة وعلما أيما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ، فقال : الغبار الذى دخل أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز ، كذا وكذا مرة . اشار بذلك الى ان درجة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيتـه لا يعد لها شيء ، ومن ذلك علم الجواب عما سبق من مساوات عمر بن عبد العزيز لعمر بن الخطاب فى الفضل ، وقد استدل أبو عمر بن عبد البر بقضية عمر بن عبد العزيز ، وقول اهل زمانه له : أنت أفضل من عمـر ، وقالوا انما ذلك يخرج بالنسبة لما تساويا فيه من العدل فى الرعية ، واما من حيث الصحبة وما فاز به عمر رضى الله عنه من حقائق القرب ، ومزايا الفضل ، والعلم والدين الذى شهد له به النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنى لابن عبد العزيز أو غيره أن يلحقه فى ذرة من ذلك ، فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما ياتى ، وعلم من قول أبى عمر بن عبد البر ، الا أهل بدر والحديبية ، ان الكلام فى غير اكابر الصحابة ممن لم يفز الا بمجـرد رؤيته صلى الله عليه وسلم ، وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من بعده ،



وان من بعده لو عمل ما عساه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل على ما يقـرب من هذه الخصوصية ، فضلا عن أن يساويها ، هذا فيمن لم يفز الا بذلك ، فما بالك بمن ضم اليها انه قاتل معه صلى الله عليه وسلم أو فى زمنه بأمره أو نقل شيئا من الشريعة الى من بعده ، أو أنفق شيئا من ماله بسببه فهذا مما لا خلاف فى ان أحدا من الجاءين بعده لا يدركه ، ومن ثم قال تعالى : لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، أولائك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » الحديد . ومما يشهد لمـا عليه الجمهور من السلف والخلف، من انهم خير خلق الله وأفضلهم بعـد النبيئين وخواص الملائكة المقربين ، ما هو مسطر فى كتب السلف والخلف ، والذى منه حديث الصحيحين لا تسبوا أصحابى فلو ان احدا انفق مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفى رواية لهما فلو ان أحدكم بكاف الخطاب ه ورواية الترمذى لو أنفق أحدكم الحديث والنصيف بالفتح لغة فى النصف . وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن ذلك أيضا الخبر المتفق على صحته ، خير القرون أو الناس أو أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . ويطلق القرن على أهل زمن واحد متقارب لو اشتركوا فى وصف مخصوص مقصود ، وقد اختلفوا فى تفسيره ، فقيل من عشرة أعوام الى مائة وعشرين غيـر التسعين والمائة والعشرة ، فلم يحفظ قائل بهما ، وما عداهما قيل بـه . وأعدل الاقوال فى ذلك قول صاحب المحكم ، هو القدر المتوسط من أعمـال اهل كل زمن ، والمراد بقرنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الاطلاق بلا خـلاف ، وآخـر مـن مـات منهم هـو أبـو الطفيـل عامـر بـن واثلـة الليثـى كما جـزم به الامـام مسلم فى صحيحه ، وكان موته سنة مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على الصحيح . وقيل سنة سبع ومائة ، وقيل سنة عشر ومائة ، وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبى لمطابقته للحديث الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر : على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم أحد .

وفى رواية لمسلم أرأيتكم ليلتكم هذه ، فانه ليس من نفس منفوسة ياتى عليها مائة عام . فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالتـه . وأما القول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح ، وعلى القول به فانه استكملها بعد ذلك لا انه بقى بعدها

مائة سنة ، وبهذا القول قال الائمة . وأما ما قاله جماعة فى رتن الهندى ، ومعز المغربى ونحوهما فقد بالغ الائمة سيما الذهبى فى تزيفه وبطلانه ، وقال الائمة فى ذلك : ولا يروج ذلك على من له ادنى مسكة من العقـل . وأفضلية قرن من يلى قرنه صلى الله عليه وسلم هم التابعون بعد أصحابه ، ثم تابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين . وبعد هذه الطبقات الثلاث اقرا عليها قول سعد وابن مسعود رضى الله عنهما ، ونظمه بعضهم فقال :

هذا الزمان الذى كنـا نحاذره    فى قول سعد وقول ابن مسعود
ان دام هـذا ولم يحدث له غير    لم يبك ميت ولم يفـرح بمولود

وروى الديلمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من احب الله احب القرآن ومن احب القرآن احبنى ومن احبنى احب أصحابى وقرابتى.

واخرج الانصارى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابا بكر ليت انى لقيت اخوانى فقال ابو بكر نحن يا رسول الله اخوانك ؟ قال : لا ، انتم اصحابى ، اخوانى الذين لم يرونى وصدقوا بى واحبونى حتى انى لاحب الى احدهم من ولده ووالده ، قالوا يا رسول الله انحن اخوانك قال : لا ، انتم اصحابى الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبى اياك ، فأحبهم ما احبوك بحبى اياك . وفى رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : يا ايها الناس احفظونى فى احبائى واصهارى وأصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى . وروى المخلص الذهبى انه صلى الله عليه وسلم قال : الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، من احبهم فقد احبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك ان ياخذه . وهذا الحديث والذى قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب فى حبهم ، والترهيب عن بغضهم ، وفيه ايضا اشارة الى ان حبهم ايمان ، وبغضهم كفر ، لان بغضهم اذا كان بغضا له صلى الله عليه وسلم كان كفرا بلا نزاع ، لخبر : لن يومن احدكم حتى اكون احب اليـه مـن نفسـه .

وهذا يدل على كمال قربهم منه حيث انزلهم منزلة نفسه ، حتى كان اذاهم واقعا عليه صلى الله عليه وسلم ، وفيه ايضا محبة من احبه النبى صلى الله عليه وسلم كآله وأصحابه رضى الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ان محبته صلى الله عليه وسلم علامة على محبة الله تعالى . وكذلك عداوة من عاداهم ، وبغض من ابغضهم وسبهم



علامة على بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبغضه صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه ،قال الله تعالى : لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولائك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » فحب أولائك أعنى آله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات العينية كما ان بغضهم من المهلكات ، ومن محبتهم توقيرهم ، وبرهم ، والقيام بحقوقهم والاقتداء بأخيارهم ، وأهل الفضل والصلاح منهم ، والمشى على سنتهم وآدابهم ، وأخلاقهم والعمـل بأقوالهم مما ليس فيه للعقل مجال ، وفيه مزيد الثناء عليهم ، وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد تعظيمهم ، فقد اثنى الله عليهم فى آيات كثيرة من كتابه المجيد ، ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء ، ومـن الثنـاء الاستغفار لهم ، وثواب المستغفر لهم راجع أكثره عليه .

وقال العلامة : سهل بن عبد الله التسترى لم يومن برسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه . وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا يومن احدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه ، وماله ، وولده ، والناس اجمعين . وقال : ويتفاوت الناس فى الايمان على قدر تفاوتهم فى محبتى ، الا لا ايمان لمن لا محبة له . فبمحبته صلى الله عليه وسلم نال من نال ، وسعد من سعد حتى وصل الى درجات الكمال والحق بالاهل كسلمان رضى الله عنه ، اللهم ارزقنا قلبا كقلب سلمان ، وعقلا كعقله ، ومحبة فى الله ورسوله كمحبته آمين.

## توقيـر أهـل البيت وقـار لـه عليـه السلام

والعمل بتوقير أهل البيت يظهر فى العفو عن مسيئهم لوجهه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما فعله الامام مالك رحمه الله مع جعفر بن سلمـان الذى جلده وطاف به فى أسواق المدينة لعدم خضوعه لخداعهم ومكرهـم السياسى بالناس ولما حج أبو جعفر المنصور وعرض عليه القود من جعفـر امتنع وقال : والله انى جعلته فى حل كلما رفع سوطه عنى لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الامام أحمد رضى الله عنه لما امتحن فـى قضية خلق القرآن فى عصر المامون واخيه محمد المعتصم فانه جلد وسجن من أجل قوله : القرآن كلام الله غير مخلوق .

ولما عرض عليه العفو والقود ، قال مثل مقالة مالك فيمن فعل به ذلك وهذا هو التوقير ، وله نظائر كثيرة مذكورة فى حق اهل البيت وغيرهم ،

واليك منها ما جاء فى جواهر العقدين فى فضل الشرفين : شرف العلم الجلى وشرف النسب العلى ، للامام جمال الدين عبد الله السمهودى الحسنى ما نصه ومن العجب أن أبا المحاسن نصر الله بن عين الشاعر ، توجه الى مكة المكرمة ومعه مال وقماش ، فخرج اليه بنو الاشراف المقيمون بوادى الصفراء فأخذوا ما كان معه وجرحوه ، فكتب فى ذلك قصيدة الى الملك العزيز طغتكين بن ايوب التركى صاحب اليمن ، وقد كان اخوه الملك الناصر أرسل اليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتتح من قبل الافرنج ، فكتب اليه ابـن عين يزهده فى الساحل ، ويرغبه فى اليمن ويحرضه على الاشراف المذكورين بقصيدة بعثها اليه ومطلعهـا :

| | |
|---|---|
| اغنت صفات نداك المصنع اللسنا | وحزت فى الجود فخر الحسين والحسنا |
| ومـا تريد بجسـم لا حيـاة لـه | من خلص الزبد ما أبقى لك اللبنـا |
| ولا تقل ساحل الافرنـج افتحـه | فمـا يساوى اذا قايسته عـدنـا |
| وان اردت جهادا فادن سيفك مـن | قوم اضاعوا فروض الله والسننـا |
| طهر بسيفك بيت الله مـن دنس | ومـا أحـاط به من خسـة وخنـا |
| ولا تقـل انهـم أولاد فـاطمـة | لو ادركوا آل حرب حاربوا الحسنا |

وبعد نظمه لهذه القصيدة راى فى نومه سيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى تطوف بالبيت وسلم عليها فلم تجبه ، فتضرع اليها وتوسل وتذلل لها ثم سألها عن ذنبه الذى أوجب ذلك الاعراض ، فأنشدته رضى الله عنها أبياتا :

| | |
|---|---|
| حـاشا بنـى فاطمـة كلهـم | مـن رجس بغيض أو مـن خنا |
| وانمـا الايـام فـى غـدرهـا | وفعلهـا السـوء أساءت بنـا |
| فتب الى اللـه فمـن يقتـرف | اثما بنـا لا يامـن ممـا جنـا |
| ائن ساء مـن ولـدى واحـد | يجعـل كـل السوء عمدا لنـا |
| فاكرم بعيـن المصطفى احمـد | ولا تهـن مـن اهلـه اعينـا |
| فكـل مـا نالك منهـم غـدا | تلقى بـه فى الحشر منـا منـا |

قال : فانتبهت من نومى فزعا وقد أكمل الله عافيتى مما كنت أجده من الم الجراح والمرض ، فكتبت الابيات وحفظتها ، وتبت الى الله تعالى مما قلت وقطعت تلك القصيدة وقلت فى أخرى :

| | |
|---|---|
| عـذرا الى بيت نبـى الهـدى | تصفـح عـن ذنب محب جنـا |
| وتوبـة مقبولـة مـن اخـى | مقالـة تـوقعـه فـى العنـا |
| واللـه لـو قطعنـى واحـد | منهـم بسيف البغـى أو بالقنا |



| | |
|---|---|
| لم أر ما يفعـل اللـه سيئـا | بـل انـه فى الفعل قد أحسنا |

هذه أقوالهم رحمهم الله وان صحت الرؤيا كانت كرامة لصاحبها ومنقبة عظيمة لاهل البيت النبوى الشريف مع جدتهم البتول فاطمة الزهراء رضى الله عنها ويستفاد منها كرامة الاولياء بعد موتهم ، والرد على مـن أنكر ذلك ، مستشهدا له بنظائر ويستفاد منها أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيشمل بعطفه وشفاعته كل من أتاه متظلما من أولاد فاطمة بل وكل من أتاه متظلما من أهل البيت على العموم ، كما تقدم فى قصة الامامين : مالك وأحمد رضى الله عنهما ، ولهذه القصة نظائر فى الذنب المغفور ، من ذلك قصة الصحابى البدرى الجليل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه الذى نزل عفوه فيها قرآنا يتلى · روى ان مولاة لابى عمرو بـن صيفى بن هاشم يقال لها سارة ، اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح ، فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا ، أفمهاجرة جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت احتجت حاجة شديدة ، فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها ، وزودوها ، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة ، وأعطاها عشرة دنانير ، وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نصه : من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم · فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمارا ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والمقداد ، وأبا مرثد ، وكانوا فرسانا وقال : انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها ، فان أبت فاضربوا عنقها ، فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع ، فقال على : والله ما كذبنـا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسل سيفه وقال : اخرجى الكتاب أو تضعى راسك ، فأخرجته من عقاص شعرها ، واستثنيت يوم الفتـح من الامان فقتلت ، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، وقال ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله ، ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش اى حليفا ولم اكن من انفسها ، وكل من معك من المهاجريـن لهم قرابات بمكة ، يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا ، وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه ، وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا · فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ، فقال عمر : رضى الله عنه يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وأى ذنب أعظم من هذا ؟ — فنزل توبيخا لحاطب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » آيات من سورة الممتحنة ، فكان مشهده ببدر حصانة أى حصانة ، وفرت عليه حياته بعد ما ارتكب ضد الاسلام ما يؤدى بحياته ، لولا الحصانة البدرية ، انظر مقدار جرم ما ارتكب حاطب ضد الاسلام ، وهو بدرى ، وضد رسول الله ومن معه من المسلمين وفى أحرج الظروف ، ولولا الوحى لكان خيانة كبرى من حاطب وكان اقراره اعترافا بما جنى على نفسه ، ومنها اخذ العلماء ان الكبيرة لا تسلب الايمان .

ومن الذنب المغفور قصة يوسف عليه السلام مع اخوته . اذ قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » حيث أخذوه معهم للعب على عهد من أبيهم وفعلوا به ما فعلوا ، وقال تعالى : لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين » .

وقصته : انهم عقدوا مؤتمرا فى غيبة أبيهم فيما بينهم على انه واخاه امتازا بحب أبيهم لهما دونهم : اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى أبينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين » ثم عقدوا عزمهم على ما وقع اتفاقهم عليه فاحتالوا على أبيهم حتى ارسله معهم للرعى واللعب فنفذوا ما قد كانوا عقدوا عليه العزم من احد ثلاثة أشياء : القتل ، أو الطرح فى الارض أو الالقاء فى الجب ، فوقع اختيارهم على هذا الاخير فألقوه فى الجب قال تعالى : فلما ذهبوا به واجمعوا أن يجعلوه فى غيابات الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذيب وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب » زاعمين انه دمه ، وهو دم سخال ذبحوه وجعلوا من دمه على قميصه ليوهموا اباهم انه دم يوسف ، فلم يثق فيهم ولكنه استسلم لأمر الله وقضائه ، قائلا لهم : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل » وهو الذى لا شكوى فيه لغير الله والاحتساب اليه وحده وقد علمت مصير يوسف من وقت الالقاء فى الجب الى وقت المسغبة وهى مدة تزيد على اربعين سنة ، ثم جاء دور يوسف عليه السلام ، واحتال عليهم فى أخذ شقيقه بالسرقة



المصطنعة ، فلما ظهرت السرقة عليه قال بعضهم فى وجه يوسف عليه السلام وهو يجهله : أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » وقال فى نفسه : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » وفى نهاية الدور اعترفوا بكل ما صنعوه وحلفوا ليوسف بأنهم كانوا فى فعلهم خاطئين متعمدين للاثم : قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين » وقال يوسف عليه السلام شاكرا الله على ما أسدى اليه من نعم بعد البلاء الذى أصابه : وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » أى لطيف فى تدبيره عليم بتأخير الآمال الى الاجال ، حكيم بالائتلاف بعد الاختلاف .

ومن الذنب المغفور قصة خالد بن الوليد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهى انه قتل مالك بن نويرة وتزوج امرأته ، وقد شهدت بينة من من الصحابة بأن مالكا راجع الاسلام ، فطلب له عمر القود من أبى بكر الصديق من أجل قتله لمالك بن نويرة ، والذى اكد مضمون التهمة التى وقع من اجلها الاشهاد هو تزويجه امرأته فى دار الحرب ، فألح عمر بن الخطاب على أبى بكر فى القصاص من خالد واقامة حد من حدود الله عليه ، وقد كان أبو بكر حريصا على أن لا يسمع قول عمر فى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ولما أكثر عمر على أبى بكر فى الحاحه عليه ، أجابه فقال : خالد تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ، فاستبد أبو بكر على عمر ولم يبال برأيه وطلبه فى خالد كما لم يهمه موت مالك بن نويرة وان كان ثبت اسلامه بشهادة الشهود ، وذلك كله حرصا على خالد ومكانته فى الاسلام والجهاد ، وقد حمل قضيته على انه تأول فأخطأ ، وهى شبهة تدرأ عنه الحد ، لقوله صلى الله عليه وسلم ادرأوا الحدود بالشبهات وتلك شبهته التى درأت عنه الحد ، ويا ليت شعرى لو تأول الناس أغلاط أهل البيت ويجعلوا لهم مبررات لاغلاطهم التى وقعوا فيها عن قصد أو عن غير قصد ، وقد فهم هذا كبار علماء الاجتهاد الذين امتحنوا على يد أهل البيت حسبما أسلفنا الكلام على ذلك فى محله ، فكان وقارهم لهم وقارا له صلى الله عليه وسلم وكان عفوهم عنهم ابتغاء وجهه صلى الله عليه وسلم ولا يعرف قدر ذوى الفضل الا ذووه ، ومن هذا العفو قضية الطلبة الذين احتجزهم الشريف مولاى أحمد الولى الصالح المجاهد المخلص فى سبيل الله وذلك من أجل

شنآن كان بين قبيلتى بنى عروس وبنى يدر قبيل فرض الحماية على المغرب، وذلك ان هؤلاء الطلبة كانوا يقرؤون العلم مهاجرين من القبائل على العلامة الولى الصالح سيدى احمد السرحانى بقرية العنصر من بنى يدر خرجوا من جامعهم قاصدين زيارة الولى الصالح الشيخ مولا عبد السلام ولما كانوا آيبين فى حال رجوعهم الى جامعهم ومروا بقرية تزية أمر الشريف المذكور أصحابه بالقاء القبض عليهم ، ولما وصل الخبر لقبيلة بنى يدر عزموا على انتزاع الطلبة بالقوة ، ولما راى الشريف المذكور انه لا قبل له بقوة قبيلة بأسرها أمر بقتلهم جميعا فقتلوا ، ولما بلغ خبر الحادث لشيخهم العلامة السرحانى المذكور ، طلب الناس منه أن يتوجه فيه الى الله لياخذ له الحق فى طلبته الذين قتلوا ظلما ، فقال لهم ، سامحته فى ذلك ، وبعد أن الحوا عليه قال لهم : والله لا أقدر أن أقف بين يدى جده رسول الله وانا اواخذ ولده بمظلمتى . هكذا ذكر لى شيخى سيدى محمد بوزد رحمه الله وهو من احد طلبة العلامة المذكور .

## الزهـد والـورع خلقـان لدار النبـوة

أخرج الامام احمد وغيره ، ما حاصله : انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر اتى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، واطال المكث عندها وفى بعض الايام صنعت لها مسكين من ورق بكسر الراء اى الفضة وقلادة وقرطين ما يوضع فى الاذن ، وستر لباب بيتها ، فقدم صلى الله عليه وسلم ودخل عليها ثم خرج ، وقد عرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر فظنت انه انما فعل ذلك لما راى مما صنعته ، فأرسلت به اليه ليجعله فى سبيل الله ، فقال : فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة مـا سقى الكافر منها شربة ماء . ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل عليها ، زاد الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم أمر ثوبان ان يدفع ذلك الى بعض أصحابه ، وان يشترى لها قلادة من عصب ، وسوارين من عاج ، وقال ان هؤلاء أهل بيتى ، ولا احب ان ياكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا . فتأمل ذلك تجد الكمال ليس الا بالتحلى بالزهد والورع ، والداب علـى الطاعات ، والتخلى عن سائر الرذالات ، وليس فى التحلى بجمع الاموال ، ومحبة الدنيا ، والترفع بها الى غاية المتاعب والنقائص والمثالب ، ولهذا طلق الامام على الدنيا ثلاثا ، وقال : لقد رقعت مدرعتى اى قميصى هذه حتى استحييت من راقعها ، وستقف على فضائل اخرى من فضائله وأخلاقه رضى الله عنه .



## المساواة فى الواجبـات

قال الله تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » روى الامام أحمد وغيره يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى علـى عجمى ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم لله . وقـد سئل صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم لله ، ثم قال : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا . وعـن ابن عباس رضى الله عنهما ، ليس أحد أكرم من أحـد الا بتقـوى الله . وروى الامام أحمد : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر : انظـر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى الله . وروى الطبرانى المسلمون اخوة ، ولا فضل لاحد على أحد الا بالتقوى . وصح على نزاع فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة ، فكان من جملة خطبته ، يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية ، بفتح العين وكسرها ، وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقى ، ورجل شقى هين على الله ، ان الله يقول : يا أيها الناس انا خلقناكم » الآية . قـال : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وفى رواية لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخرا بأنفه ، أى يدحرجه ، ان الله قد أذهب عنكم عيبـة الجاهلية ، انما هو مومن تقى ، وفاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلـق مـن تـراب .

وفى هذا حجة على من ترك العمل بالتقوى من أهل البيت النبوى الشريف واتكل على شفاعة الآباء والاجداد ، مومئا بذلك الى قوله تعالى : الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم مـن عملهم من شىء » ولا يغنى عمن أبطل العمل بالتقوى الاتكال على عمـل الآباء والاجداد مع الاشتغال بالافتخار بالاحساب والانساب عند الله : يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » روى ابن جرير وغيره ، ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة الا عن أعمالكم : ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وأخرج القضاعى والنووى فى الاربعين مـن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . رواه الامام مسلم فى صحيحه .

وأخرج ابن حبان يا بنى هاشم لا ياتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم ، وتاتون بالدنيا على ظهوركم لا أغنى عنكم مـن

اللــه شيئـا .

واخرج البخارى فى الادب المفرد : أوليائى يوم القيامة المتقون ، وان كان نسب أقرب من نسب ، لا ياتين الناس بالاعمال ، وتاتون بالدنيـا تحملونها على رقابكم ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا وهكذا واعرض فى كـلا عطفيــه .

قال العلامة ابن حجر : رحمه الله ، واعلم انه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان أوليائى منكم المتقون ، وقوله انمـا وليى الله وصالح المومنين ، ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين مـن أهل بيته ، ان لم تنتف عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ، ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما تقدم . وقال عليه الصلاة والسلام : ايتونى بأعمالكم لا بأنسابكم . ولابن جرير الطبرى فى تفسيره والعسكرى : الناس لآدم وحواء ، ان الله لا يسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة ، الا عـن أعمالكم : ان اكرمكم عند الله أتقاكم » يا أهل البيت لا يضل سبيل الحق عنكم ، ولا يغرنكم بالله الشيطان ، وجنوده من الانس والجن ، حتى تصبح دعوتكم مثل دعوة اليهود والنصارى القائلين ما حكاه القرآن عنهم ، قـال تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه » أى كأبنائه فى القرب والمنزلة ، وهو كأبينا فى الرحمة والشفقة . وفى احتمال آخر نحن أبناء رسل الله ، وأبناء أوليائه ، فكان جوابهم من الله تعالى : قل » أى يا محمد : فلم يعذبكم بذنوبكم » أى وقد عذبكم فأنتم كاذبون فى زعمكم ، ثم قال تعالى : بل انتم بشر ممن خلق » أى انتم من مطلق البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم : يغفر لمن يشاء » أى المغفرة له ، : ويعذب من يشاء » أى عذابه فلا اعتراض عليه فيهما ، وفى خبر من قبلهم ما جاء القرآن يقصه علينا كذلك فى سورة هود عليه السلام ، من خبر نبى الله ورسوله نوح عليه السلام مع ولده كنعان ، الجمهور انه ولد صلبه ، وقيل ربيبه ، وعلى كل فهو من أهله كما جاء نصا فى القرآن : ان ابنى من أهلى » فانه لمـا طغا الموج واضطربت السفينة ، تفقد ابنه ، فوجده فى معزل عن السفينة أى بعد عنها رق عليه بعد تأكده من غرقه فناداه قائلا له : اركب معنـا ولا تكن مع الكافرين » أى اخلص اسلامك لله واركب معنا ولا تكن مع الكافرين : قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء » ثم نصحه بقوله : لا



عاصم اليوم من امر الله الا من رحم » أى وهو الله سبحانه وتعـالى : وحال بينهم الموج فكان من المغرقين » ثم توجه الى الله فى شأنه ، لعل الله يقبل شفاعته فيه قائلا : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم انى اعظك أن تكون من الجاهلين » .

وقوله : انه ليس من اهلك ، نفى له منهم ثم علل سبحانه انتفـاءه بقوله : انه عمل غير صالح ، قال : العلامة النسفى ، فيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان عبدا حبشيا ، وكنت قريشا لصيقك ، ومن لم يكن على دينك ، وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد ه أى أبعد من كل بعيد منك ، وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه ثم قال : وفيه اشعار بأنه انما انجى من انجى من أهلـه لاصلاحهم ، لا انهم أهله ، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتـه ، أى قرابته الطينية ، وقد تبين من هذا انه كان منافقا متظاهرا بالايمان لابيه ، ولم يكن مومنا حقا ، والا فما صح له أن يناديه ويطلب منه الركوب معه لانه كان قد نهاه الله عن أن يكلمه فى شأن الظالمين الكافرين بقوله تعالى : ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » وقال الجلال : انه أى سؤالك اياى بنجاته عمل غير صالح على حذف مضاف ، وعليه فيكون الضمير لنوح عليه السلام ، والمعنى على هذا قال الله : له يا نوح ، ان سؤالك عمل غير صالح ، أى غير مقبول ، لان الله لا يقبل الشفاعة الا فى المسلمين، فسؤالك خطأ ، لان نوحا عليه السلام كان يظن اسلامه ، لانه كان يظهره ، والرسل يعتمدون على الحكم بالظاهر ، وعلى هذا فلا خلاف بأنه كان منافقا ، وقد علم الله ما يحويه باطنه من الكفر فنهاه عن الشفاعة فيه تفصيلا كما نهاه عن الشفاعة فى الكفار اجمالا بقوله : ولا تخاطبنى فى الذين ظلمـوا انهم مغرقون » ولهذا فان الاخذ بالاحوط كان أسلم ، وهو مذهب السلف رحمهم الله من أهل البيت ، أى وهو العمل على التقوى وفى هذا المعنى قيل :

عليك بتقـوى الله فيمـا تريـده ... ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمـان فارسى ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وفى معنـاه قيـل :

ولا تتكـل الا علـى مـا فعلتـه ... ولا تحسبن المجـد يورث بالنسب
فليس يسـود المـرء الا بنفسـه ... وان عد آباء كـراما ذوى حسب
اذا العود لم يثمر وان كـان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

وفى معناه : فخر الفرزدق وهجو جرير قال الفرزدق مفتخرا :

أولائك آبائى فجئنى بمثلهم ... اذا جمعتنا يا جرير المجامع

رد جرير فى الهجو قائلا :

لئن فخرت بآباء ذوى شرف ... فقد صدقت ولكن بيسما ولدوا

ومن اقوال السلف قال الحسن المثنى رضى الله عنه ، لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله ، فان أطعنا الله فأحبونا ، وان عصيناه فابغضونا ، ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا — يعنى بذلك اباه وامه وابا طالب ، لما روى من أنهم كانوا يستغفرون لهم فنهاهم الله تعالى عنه بقوله : ما كان للنبىء والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » وفى أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم خلاف بين العلماء والله أعلم لانهما من اهل الفترة ، ثم قال : والله انى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، وأن يتولى المحسن منا أجره مرتين • وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى : يا نساء النبىء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » وقوله تعالى : واخشوا يوما لا والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وقد ذكر أهل السير : ان زيد بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المامون فظفر به فأرسله الى أخيه على الرضى الذى كان ولى عهده فوبخه بكلام طويل ، من جملته : ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء بغير حق ، وأخذت السبيل ، وأخذت المال من غير حله ، اغرك حمقى اهل الكوفة ؟ أو غرك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار • ؟ اعلم ان هذا يا أخى لمن خرج من بطنها فقط لا لى ولا لك، فو الله ما نالوا ما نالوه الا بطاعة الله لا بالاتكال على الحديث ، فان أردت بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله ، فأنت اذا لأكرم على الله منهم • وأخرج الطبرانى ان أهل بيتى هؤلاء يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك انما أوليائى منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا . وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه كان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول : ان آل بنى فلان ليسوا بأوليائى انما وليى الله وصالح المومنين ، لكن لهم رحم سابلها ببلالها . يعنى سأصلها بصلتها .

ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى وغيره من العلماء انه



صلى الله عليه وسلم لا يملك لاحد شيئا نفعا ولا ضرا ، لكن الله عز وجل يملكه نفع اقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة ، فهو لا يملك الا ما يملكه له مولاه كما أشار اليه بقوله : غير ان لكم رحما سابلها ببلالها • وكذا قوله لا أغنى عنكم من الله شيئا أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعة أو مغفرة . وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل ، والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته ، ثم أومأ الى حق رحمه ، اشارة الى ادخال نوع طمانينة عليهم .

وروى الامام مسلم فى صحيحه : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . وروى الامام احمد ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم ليس لاحد على أحد فضل الا بدين أو تقوى.

ولابن لال والعسكرى : الناس كلهم كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . أى كلهم متساوون فى الصور ، وانما يتفاوتون بالاعمال ، فلا تصحبن أحدا لا يرى لك مثل ما ترى له . ولابى يعلى وغيره : كرم المومن دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه . وقال عمر : رضى الله عنه للمفتخر بآبائه القائل : أنا بن بطحاء مكة كدئها وكدائها — قال : ان يكن لك دين فلك كرم ، وان يكن لك عقل فلك مروءة ، وان يكن لك مال فلك شرف ، والا فأنت والحمار سواء .

## علامة تميز الاشراف من غيرهم

قد تكون تلك العلامة حسية جلية طبيعية يمتاز بها الشريف من غيره وهى لا تكاد تخفى على أحد ، فهى معروفة من طرف الخاص والعام ، وقد تكون معنوية ، وتدرك كذلك بالاحساس الباطنى ، ومن ثم كان جلاؤها غير خاف على أحد ، فيحكم العقل السليم على أن صاحب هذه الاخلاق أو الخلال الحميدة لا يكون الا شريفا أصيلا ، والامثلة الموجودة على ذلك شاهدة فى كل مكان حل به الاشراف المعروفون ، وقد حاول الخليفة المامون (7)الخلفاء العباسيين أن يتخذ شعارا للفاطميين، وخصه بلباس الثوب الاخضر، لان شعار العباسيين كان لباس الاسود ، ومن حسن سياسته انه أراد أن يرد الخلافة الى بيت على ، فقام عليه أبناء عمه وحاربوه ، فلما رأى الامر سيفضى الى ما لا تحمد عواقبه ، رجع الى شعاره الاول السواد ، بعد أن كان استبدله بالشعار الاخضر الذى اختاره شعارا للعلويين ، وبقى

اللون الاخضر شعارا للفاطميين من العلويين وحدهم ، لكنهم حولوه عن اللباس الى قطعخضر توضع فوق العمائم واستمر ذلك الى آخر القرن الثامن، وفى سنة 773 هجرية أمر السلطان الاشرف شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون التركى أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر تجديدا لامر الخليفة المامون ، وأمر بذلك فى كل بلد يقيم بها الاشراف المذكورون ، كمصر والشام ، والحجاز ، من البلدان التى كانت خاضعة لنفوذهم ، وقال فى ذلك الاديب : محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى المزنى :

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الاطراف

وقد انتقد ذلك الشاعر الاديب ، الاندلسى الاعمى المعروف بابن جابر نزيل حلب بقوله :

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

قال بعض العلماء من السلف الصالح رحمه الله ، ولم تزل انساب اهل البيت التى اليها ينتمون ، وبها يتميزون على تطاول الايام مضبوطة ومن صيانة كل خلل محوطة ، على تداول الايام والاعوام ، وفى كل زمن يقيد الله لهم من يقوم بتصحيح نسبهم ، وضبط اتصالاتهم من علماء الامة ، ومن يعنى بتبريز عموم العدالة فيهم ، فى كل عصر من النسابين والمؤرخين نقل الخلف عن السلف ، سيما من ظهرت بركة الدعوة فيهم من نسل البتول رضى الله عنها ومن اشرقت انوارهم على آفاق الوجود من بنى السبطين على الشمول لا يمترون فيمن حاز منهم نسبة الشرف المنبعث من تلك المعنى الكامن فى اصولهم تراه يظهر فى وجوههم وسمة لائحة ، ونفحات طيب عرفهم فائحة وفى ذلك قيل :

ومن يقل للمسك اين الشذا ... كذبه فى الحال من شمه

وذلك المعنى الذى هو كامن فيهم يظهر شعاعه فى جميع أحوالهم ، ومن ثم كان صعب الحصر والتفسير ، وذلك المعنى ينتقل بالوراثة فى ذرية فاطمة خاصة ، وقد ظهر لاول مرة فى الحسنين رضى الله عنهما ، ولذلك كانت تختلف تفسيرات الناس من أهل عصرهم فيه ، وكان مبغضوهم يفسرونه بالتيه ، فواجه بعضهم الامام الحسن رضى الله عنه فى محاورة جرت بينهما فقال الوقح للامام الحسن : ان بك لتيها ، فقال الامام ليس



ذاك بتيه ، انما هو نور ورثناه من مقام النبوة ، فلم يقتنع ، فرد عليه مجادلا ، ما أرى ذلك الا تيها ، فغضب الامام وقال مرتجلا :

لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم ... ونحن لكم يوم القيامة افضل

ونحن اذ نستحسن تفسير الامام الحسن له رضى الله عنه لكثرة ما نشاهده عنهم فى مختلف أحوالهم من مجتمعنا بما فيه ابناؤنا نرى من خلال ذلك ما يصح التعبير عنه بما يطلق عليه « نشوة الشرف » وتلك النشوة يبتدىء ظهورها فى الطفل من ثلاث أو اربع سنوات ، ولها تفسيرات شتى ، لا يمكن لاحد كائنا من كان أن يحصرها فى زاوية خاصة لكثرة تشعب معناها، فكان ذلك تحقيقا شبيها بشعاع الشمس الوهاج الذى لا تنحصر اطرافه ، أو هو كموج البحر فى الحركة والكثرة على الدوام ، ومن الذى فى وسعه أن يحصر شعاع الشمس أو حركة موج البحر ، وكأننا سناخذ جانبا من هذا التفسير ، من أحوال الامام على رضى الله عنه اذ قيل للامام الشافعى فيه : كان الناس يفرون من الامام على لما يلاحظون عليه من اللامبالات فقال : ان عليا كان زاهدا ، والزاهد لا يبالى بالدنيا واهلها وكان عالما والعالم لا يبالى بأحد ، وكان شجاعا ، والشجاع لا يبالى بأحد ، وكان شريفا والشريف لا يبالى بأحد ، فكانت هذه هى بعض ملاحظاتهم عليه رضى الله عنه رغم ما هو عليه من النبل ، والذكاء والفطنة ، وما أوتيه من غزارة عقل ورجاحة حلم وحكمة وسعة علم ، وأما ما وهب له من القوة والمنعة فحدث ولا حرج ، فهو بحر زاخر تجمعت فيه جميع معانى الخير والفضل : ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وتاريخ الامام على فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد صدق على ذلك ، وكذلك مواقفه فى حياة الخلفاء الثلاثة قبله ، وكذلك المواقف التى وقفها لما عهد اليه بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه كالذين تقدموه أبلى فيها بلاء حسنا ، مما يحتم على أن اقول بحق ، ان ذلكامر يبعث على الدهشة والعجب من رجل مثل أمير المومنين على الجامع لاوصاف الفضل بعد الخلفاء الثلاثة ، ولن يكون هناك فى الصحابة من يساويه أو يدانيه فيها ، كيف لا يستقيم له الامر ، ولا تجتمع له كلمة الامة ، وكلهم معترف بفضله وكفاءته . ! انظر الى هذه الشمائل التى كانت تؤثر على أمير المومنين على كرم الله وجهه ، وكان الناس يلاحظون عليه انه ينفعل لها ، وتاخذ من عزمه وشدته واخلاقه وصفاته الجامعة ، هب انها اجتمعت بأخلاق النبوة المنحدرة من طريق فاطمة الزهراء ، دون بقية

اخواتها اللاتى كن تحت الغير ، وظهرت تلك الوراثة النبوية جلية فى الحسنين رضى الله عنهما ، فأكدها النبى صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح ، بأنهما ابناه مباشرة ، وبدون واسطة ، ومن ثم لا يشك احد فى ان هذه الوراثة حقيقة محضة قد ظهرت معالمها كاملة ، وغير ناقصة فى ذرية الحسنين ، من فاطمة الزهراء رضى الله عنها فجاءت منها بثمرات أولائك الاقطاب المشاهير من العارفين بالله ، فامتلا بهم المشرق والمغرب ، من بلاد ما وراء نهر جيحون الى أندونسيا الى افريقيا من دول المحيط الاطلسى، الى غرب أوربا ، فكل هذه البلاد لا تخلو من ذرية فاطمة الزهراء فى القديم والحديث ، وكل ذلك ببركة ذلك المعنى الموروث عن السر النبوى الشريف الذى انعكس شعاعه على ذرية على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها . فتراه جليا تارة على ظاهر محياهم ، وتارة يكون كامنا ويتولى الكشف عنه روح المومن النقى وتارة يظهر سر ذلك المعنى فى ذكاء فائق ، يهيىء صاحبه لعبقرية نادرة ، وتارة يظهر فى ناحية أخرى من الاخلاق كالشجاعة والكرم ، فتهيآن صاحبهما لان يكون عبقريا فى ميدان التضحية والبذل النفسانى ، وتارة يظهر فى ناحية أخرى من البذل والعطاء حتى تهيئان صاحبهما لان يكون حاتم زمانه ، وتارة يظهر فى حب الله ورسوله والعمل بطاعته ، فسرعان ما يتحقق له الوصول ، ويصبح من أكابر العارفين بالله ، ولا عجب فيما اذا انعكس الامر ، ورأينا ذلك المعنى ظاهرا فى الطغيان والجبروت ، وقد تجتمع بعض تلك المعانى فى أشخاص وتنفرد فى آخرين ، ولا يخلو شريف أصيل من شىء من ذلك المعنى أصلا ولو انحط قدره عن المكانة الاجتماعية فيما يظهر للعيان ، فان أصله من ذلك المعنى الموروث سوف يحتفظ له بالخير ويرفعه الى أسمى درجات الفضل والتقى وتلك سنة الله مع أوليائه وأحبائه . وتارة يطغى ذلك المعنى فياخذ صاحبه من طريق الجذب ويخرجه من صفوف العقلاء ، فيرتفع عنه التكليف ، وينقطع عن عالم الاحساس فيهم ، ومن اجل هذا فانه يصعب علينا أن نفسر مستقبل أولادنا فى الغالب لما نراهم عليه من غلبة « تلك النشوة الشرفية » عليهم ، لانه لا يستطيع احد أن يعرف الى اين يتجه ذلك المعنى الكامل الوراثى مع مستقبل الايام ، ويشترك فى ذلك المعنى بالطبع الذكور والاناث على السواء ، ويزداد ذلك المعنى الوراثى فى الذرية بالتزوج ببنات العم اكثر من التزوج بغيرهن فى الغالب ، وتارة يبرز كأنه فتور وفراغ فكرى يفقد صاحبه توازنه الفكرى والعقلى ، واذا لازمه طويلا ولم يتغير مع المستقبل كان اكبر عائق له عن بلوغ أسمى الغايات التى يرغب فيها



الراغبون ، ويتنافس فيها المتنافسون . وهو نوع من تلك « النشوة الشرفية » وتظل هذه ميزة لهم وراثية معروفة عند كل احد حيثما كانوا الى الابد . وكل من ادعى دعوتهم ودخل فى صفوفهم حتى عد منهم فانه لا يحظى بهذه الوراثة بل تصحبه وراثته الاصلية حتى يظل متميزا بها ومعروفا عند كل احد ، لما بين الوراثتين من البون الشاسع ، ولا يمكن أن يحظى بميزتهم النبيلة ما بقى الميراث ، ولهذا سيبقى منعزلا عنهم حتى لا يخفى على احد بأنه لا نسب له لانه فاقد لوراثتهم فلم يحظ بحظوتهم من « النشوة الشرفية » فهى الاصل لمن كان نسله من نسب الحسنين ظاهرا أو باطنا وقد تكثر تلك النشوة فى بعض العائلات كثرة فاحشة تفقد صاحبها التوازن الفكرى والعقلى حتى يصبح فى عداد الانعام ، فلم يبق له الا رسم بنى آدم ، فحينئذ يكون صاحبها جديرا أكبر من غيره بعطف غيره عليه ، والتودد الفعلى اليه ، لقوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » والمودة الرحمة ، والرحمة تقتضى التفضل والانعام الفعلى . ولن يغيب عنا ان هناك مرضا نفسانيا عضالا لا ينجو منه الا من له قلب سليم ، وهو داء الحسد ، وان هناك قلوبا تحترق غيظا وحسدا من طرف من هم مرضى النفوس على تلك النعمة التى هى منحة الاهية لا توجد فى الاسواق معروضة للبيع ، حتى يشتريها أولائك الذين تطاولت أعناقهم اليها ، وانى لهم بها ، فتظل صدورهم موغرة على الدوام ومن ثم تنبعث نار الحاسد عن شهوته الانتقامية ، فيبيد شره كل ما وجدته على وجه الارض من الحرث والنسل ، وكل المعاداة التى بين البشر فان لها أصلا واحدا وهو داء الحسد وشروره وافساده ، ولخطره العظيم أمر الله سبحانه وتعالى : بالتعوذ منه فقال : ومن شر حاسد اذا حسد » ولهذا والله أعلم طلب الله سبحانه وتعالى : من أمة نبيه أن يودوا قرابة النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يذهبوا ضحية الحسد وهم لا يشعرون ، ولهذا فاننا نعانى من جيران السوء مرارة تنغص الحياة وتتعطل معها أسباب كل خير ، : فانا لله وانا اليه راجعون » ومن تتبع تاريخ اهل البيت وما نزل بهم فى كل زمان ومكان من الكوارث العظمى علم ان وصاية القرآن بهم ظلت من طرف الامة الاسلامية حبرا على ورق الا فى فترات قليلة من الزمن قد لا تدخل فى حساب ، فقدمت طاعة الهوى والنفس الامارة وأرضت شيطانى الجن والانس ، وما علينا الا أن نرد الامر فى ذلك كله الى الله سبحانه ، ولا حول ولا قوة الا به ، اليه المصير ، وبيده ملكوت كل شىء ، وهو على كل شىء قدير لا رب سواه .

## افترق أهل العلم فى أهل البيت على ثلاث فـرق

الفرقة الاولى هى التى تحب اهل البيت بلا جدال ، وتعتقدان هذا الحب حق لهم على غيرهم ، ولا يكمل ايمان المسلم الا به ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم للـه ولقرابتكم منى . وهى الفرقة الموفقة وقليل ما هم ، وعلى رأسهم الايمة المجتهدون كما تقدم الكلام على معاملتهم نحوهم ، وقال الامام الشافعى فيهم معربا ومعبرا عن حبه لهم : « انا من شيعة أهل البيت حتى قيل كيت وكيت » . وأما غيره فكل واحد قدم من التضحيات فى سبيلهم ما يدل على حبهم وتقديرهم لاهل البيت الشريف رضى الله عنهم وأرضاهم .

والفرقة الثانية ادعت لنفسها النسب الشريف ، ووضعت نفسها بين اهله وتخلصت من عبء الحب لاهله ، فهى لا ترى لاحد منهم فضلا يزيد على فضلها وشرفا زائدا على شرفها ، وقد تقدم الكلام على من ادعى لنفسه النسب الشريف وليس من أهله ، فراجعه تجده مقرونا بأدلته .

والفرقة الثالثة هم المتنصلون المتأولون الذين أولوا الآيات والاحاديث الواردة فى حب اهل البيت ومودتهم ، فمثلا قالوا فى آية : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » هذه الآية لا شاهد فيها لحب اهل البيت ومودتهم، ولو كان ذلك لكان من جنس الاجر على تبليغ الرسالة ، وكان آخر الآية يناقض أولها ، فانتفى بذلك دلالتها على حبهم ومودتهم وموالاتهم ، وكما أولوا الاحاديث الواردة فى حبهم بأحد الامرين ، اما أن يتهموه بأنه من مختلقات الشيعة وهذا النوع محكوم عليه بالوضع طبعا فلم يدخل فيما يسمى بالحديث وفى معناه الحديث الضعيف عندهم فلا تقوم به حجة لهم ، فلا يلزمهم اعتباره والعمل بمقتضاه ، غاضين بصرهم عما ذهب اليـه العلماء فى شأن الحديث الضعيف من انه يعمل بمقتضاه فى المناقب وفضائل الاعمال بشروط خمسة (1) أن يعتقد صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم ، (2) أن يكون له اصل يعضده بأن يكون مندرجا تحت أصل عام ، و (3) ان لا يشتد ضعفه حتى يلحق بالموضوعات ، و (4) أن لا يعارضه خاص ، و (5) يعمل به فى المناقب وفضائل الاعمال . وحب أهل البيت منقبة عظيمة ، والحديث الضعيف صالح للدلالة عليها والامر الثانى اذا ورد عليهم حديث صحيح مسلم ، قالوا خبر الآحاد ، ولا يلزم العمل به ، والحديث الذى تقوم به الحجة هو المتواتر ، وبهذه التاويلات تنصلوا من موالات اهل البيت ، فسلبهم الله حلاوة الايمان ، فأصبحوا فى تاويلاتهم



كعلماء بنى اسرائيل ، الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق » وقد ذهب العلماء المجتهدون الى أن حب آل البيت من فضائل الاعمال ، بل يتجاوزها الى حدود الواجب كما يوخذ ذلك من صريح كثير من الاحاديث ، وقال غلاة المتنصلين : اذا كان حب آل البيت أمرا مشروعا لهم ، فهو عبادة لهم مثل عبادة الوثنية ، والقرآن يحرم عبادة غير الله ، فلا يستحق أحد منهم فى زعمه حقا على غيره ، ويجعل الحى والميت من اهل البيت فى ذلك سواء ، سيما وهم يشددون فى النكير علـى الاولياء الاموات من أهل البيت وغيرهم ، ويصورون ذلك للسذج من العامة ان زيارة الاولياء مثل عبادة الوثنية ، ملبسين عليهم فى ذلك ، ولا يفرقـون لهم بين الزيارة الشرعية والبدعية ، وحجتهم فى ذلك يقيمونها لهم مـن انفسهم هو انهم يقاطعون زيارة كل ولى لله ، مع المبالغة فى التنفير مـن زيارته ، وسياتى الكلام على زيارة القبور سواء كانت للاولياء أو لعامـة المسلمين ، خلافا لغلاة المتنصلين ، والحق الذى لا مراء فيه ان هذا النوع من العلماء يسيرون وراء هواهم ولا يشعرون بضلالهم لانهم آمنوا مكر الله وغدر الشيطان بهم ، : ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » ولذلك تراهم يتكلفون حمل الشريعة على ما يوافق هواهم الذى هـو الاههم الحقيقى ، ولذلك لا تراهم يتهمون انفسهم بالضلال عن سبيل الحق ، فهم عن الوقوع فى الضلال آمنون ، وعن زيغ الشيطان بهم مطمئنون ، وقد ذكر الله فى القرآن هذا النوع من هؤلاء العلماء فقال : أفرايت مـن اتخذ الاهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » اللهم وفقنا واياهم لاتباع الحق واهدنا اليه ، وان بعضهم يعتمد على ما كتبه الامام أحمد بن تيمية ، ولكنه يختار منه ما يوافق هواه ، ويسكت على ما سواه .

يقول قائد الثورة العقائدية ، شيخ الاسلام الامام تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله فى كتابه المسمى « قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة » ما نصه : تحت رقم 25 ما يفند مزاعم هذه الفرقة المضلة المتنصلة ، « ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية أن يكون مقصود الزائر الدعاء للميت ، كمـا يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له ، فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه ، ومعنى القيام الاقامة ، عند القبر للدعاء للميت سواء كان القائم جالسا أو مضطجعا ، فالتعبير بالقيام جرى مجرى الغالب والممنوع العكوف عند القبر لا بقصد الدعاء له ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى

على جنائز المسلمين ، ويقف على قبورهم ، وفعل ذلك برئيس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ارضاء للمنافقين رجاء توبتهم ، فنهاه الله سبحانه وتعالى ان يعود الى ذلك مع باقى المنافقين فقال : « ولا تصل علــى أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » فنهى نبيه عن الصلاة عليهم ، والقيام على قبورهم ، ثم علل الله تعالى ذلك بقوله : انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » أى كافرون ، فلما نهى عن هذا وهــذا لاجل هذه العلة وهى الكفر دل ذلك على انتفاء هذا النهى عند انتفاء هذه العلة — وهى الكفر فالنهى خاص بالكفر — ودل تخصيصهم بالنهى على ان غيرهم مــن المسلمين يصلى عليه ويقام على قبره ، اذ لو كان هذا غير مشروع فى حق احد لم يخصوا أى المنافقون بالنهى المعلل بكفرهم ، ولهذا كانت الصــلاة على الموتى من المومنين والقيام على قبورهم من السنة المتواترة ، فكان ذلك تشريعا لامته صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا دفن الرجل من امته ، يقوم ع لى قبره ويقول : سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل ٠ ومن هنا يوخذ ما يقرأ عند حشر الميت من قولهم : وهو ما رواه أبو داود ، اللهم ان صاحبنا قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره وافتقر الى ما عندك ، اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله فى قبره بما لا طاقة له به والحقه بنبينا عليه السلام ، رواه أبو داود وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع بالمدينة ، وشهــداء احــد ٠

ذكر ابن هشام فى سيرته رقم 624 عن محمد بن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب فى جوف الليل مع مولاه أبى مويهبة الى بقيع الغرقد مقبرة المدينة فلما وقف بين اظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنأ لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه ، اصبحت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها ، الآخرة اشر من الاولى ، قال أبو مويهبة : ثم اقبل على فقال : يا أبا مويهبة ، انى أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك ، وبين لقاء ربى والجنة ، قال : فقلت بأبى انت وامى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا ، والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف ، فكان وجعه الذى قبض فيه ه وكان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول احدهم : السلام عليكم أهل الديار من المومنــين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ، ويرحم الله منا ومنكم المستقدمين والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنـا



أجرهم ولا تفتنا بعدهم ه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مومنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ٠ والاحاديث فى ذلك صحيحة معروفة ، فهذه الزيارة لقبور المومنين مقصودها الدعاء لهم ، وهذه غير الزيارة المشتركة اى بين المسلم والكافر ، وهى الزيارة التى تذكر بالموت التى تجوز فى قبور الكفار كما ثبت فى صحيح مسلم ، وأبى داود ، والنسائى وابن ماجة ، عن أبى هريرة انه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ، وبكى من حوله ثم قال : استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم ياذن لى فاستأذنته ان أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة ه ٠

فهذه الزيارة التى تنفع فى تذكير الموت تشرع ولو كان المقبور كافرا بخلاف الزيارة التى يقصد بها الدعاء للميت ، فتلك لا تشرع الا فى حــق المومنين انتهى قول الامام ابن تيمية رحمه الله ، تأمل كلامه وما يشيعه عنه أولائك الدعاة الفششة الذين ياخذون من كلامه ما يوافق أهواءهم ، ويتركون ما سواه ، مع مقاطعتهم لزيارة أولياء الله من المسلمين والدعاء لهم ، وتبيين ذلك للعامة كما يقوله الامام ، فذلك كله حجة على كذبهم عليه ، وشاهد صدق عليهم بأن الاههم الذى يدعون اليه هواهم كما قال الله فيهم : وأما كلام الامام رحمه الله فهو ما رأيته ووقفت على نصه ، فهو برىء من أقوالهم وافعالهم المكذوبة عليه ، وسيحاسبهم عند الله على ما ينسبونه اليه مما هو برىء منه ٠ ويشددون فى النكير على من يزور أولياء الله من غير أن يبينوا للناس ما هو الوجه المشروع من غيره فى زيارة أولياء الله وغيرهم من المسلمين ، بل لبسوا عليهم فى ذلك وكرهوا لهم كل من يتردد الى زيارة مقابر المسلمين ٠ وصوروهم لهم بأنهم عباد أوثان ، وحرموهم من أجر سنة صحيحة متواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم عن الامام رحمــه اللــه ٠

وبعد أن اتممت الكلام على الجناح الاول من السبطين من أهل المشرق وما يتبع ذلك مما هو ضرورى الذكر فى هذا المبحث الرقيق ، اتبعته بالبحث فى الكلام على الجناح الثانى من أهل المغرب مبتدئا ذلك ببيت الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم فأقول : أكرم بيت يتشرف به النسب فى بلاد المغرب هو :

## بيت الحسن المثنى

فهو الحسن المثنى بن الحسن السبط دفين ينبوع النخيل بين المزرعة وذى هجر ، يشتمل بيته على ما ياتى من الاولاد الذكور ٠

1 ــ عبد الله الملقب بالمحض لمحض شبهه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والكامل لكمال نسبه من جهتى أبيه وأمه ، لان أمه فاطمة بنت الحسين ، ومن أجل ذلك كان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه ولدنى مرتين ٠ و (2) الحسن ، وهو المعروف بالحسن المثلث ، و (3) ابراهيم وأمهم فاطمة بنت الحسين شهيد كربلاء رضى الله عنه ، و (4) جعفر ، و (5) داود أمهما أم ولد ، و ( 6 ) محمد أمه بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٠

## بيت عبد الله الكامل

فهو عبد الله الكامل بن الحسن المثنى مات فى سجن المنصور ودفن ببغداد وبيته يشتمل على ما ياتى من الاولاد الذكور ، 1 ــ محمد وهو الملقب بالنفس الزكية لقب به لدينه وفضله وأخلاقه ، 2 ــ ابراهيم ، 3 ــ ادريس ، 4 ــ موسى وهو الملقب بالجون ، وكلمة الجون من أسماء الاضداد تستعمل فى البياض والسواد ، واستعملت هنا فى السواد ، لما كان غالبا على أديمه من الدهمة التى تميل الى السواد ، 5 ــ عيسى أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومى ، 6 ــ يحيى أمه ركيم بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ٠ وناسب أن أذكر هنا نسب القطب الربانى مولانا عبد القادر الجيلانى ، دفين بغداد ، فهو رحمه الله الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة 561 هجرية ابن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى الثانى بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن مولانا عبد الله الكامل ٠

## بيت عبد الله الكامل ورأى الامة فى الخلافة

كان البيت الكاملى يرى الحق لنفسه فى الخلافة الاسلامية وانه اولى بها من كل أحد من أهل البيت ، وعليه راى اكثر الامة الاسلامية ، ومن أجل ذلك أبهم الدعوة بنو عمهم أبناء العباس فى كلمة أهل البيت ، وكانت تفسر سرا بالبيت العباسى ، وظاهرا بالبيت العلوى ، وكان جمهور الامة الاسلامية يختار رجوعها للبيت العلوى ، وكان يتزعم هذا الرأى



محمد بن عبد الله الكامل ، الملقب بالنفس الزكية ، وكان يتزعم الدعوة السرية من البيت العباسى محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان ابتداء الدعوة سنة 117 هجرية ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الاموى الى أن ظهرت وتمكنت من يد بنى العباس سنة 132 هجرية ، وكان رأى الامصار الاسلامية بالاجماع ان المرشح الوحيد لها فى نظرهم ، هو محمد ابن عبد الله الكامل « النفس الزكية » بعد خروجها من بيت بنى أمية ، وكان بنو هاشم انتخبوه للخلافة ، وبايعوه بها سرا فى أواخر عهد بنى أمية ، وكان ممن بايعه منهم أبو جعفر المنصور ، بينما هو وانصاره يعدون العدة للخروج على بنى أمية ، اذ فاجأهم أبناء عمهم أهل البيت العباسى بالاسبقية للخروج على بنى أمية لانهم كانوا يعملون فى الخفاء بواسطة مواليهم بخراسان ، وكان دعاتهم هناك قد أتقنوا لهم الدعوة السرية فى الخفاء ، وعلى رأسهم أبو مسلم الخراسانى ، وكان فى الخبرة الحربية يعادل ما يسميه أهل هذا العصر بالجنرال ، ولخمس بقين من رمضان سنة 129 هجرية نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو ، يقال لها « سفيد نــج » وبث دعاته فى الناس ليجتمعوا اليه فاجتمع اليه خلق لا يحصون عددا ، ثم عقد لواءين : أحدهما يسمى الظل ، والآخر يسمى السحاب ، وكان طول الاول 7 أذرع ، والثانى 6 أذرع وأمر بلبس السواد ، وكان شعارهم قول الله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » وقد ساعد العباسيين على انتظام الدعوة وانبعاثها مركزهم « بالحميمة » وكانت اقامة محمد بن على بن عبد الله بن عباس بها سببا فى انتظام المواصلات وكتم سرها ، كما اختاروا بلاد خراسان لتكون مشرقا لدعوتهم ، فتم لهم ما أرادوا بحول الله وقوته ٠

وأما أهل الكوفة وهم شيعة على بن أبى طالب ، فقد حاولوا الاخذ بثار الحسين السبط شهيد كربلاء ، بحفيده زيد بن على بن الحسين ، وزينوا له الخروج على الامويين فى زمن هشام بن عبد الملك وكانت مدته 19 سنة ، وكان يعد من خيار خلفاء بنى أمية ، وفى سنة 120 هجرية خرجوا على هشام ، وجاهدوا مع زيد حتى سقط شهيدا وصلب جسده بباب الكناسة من أبواب الكوفة وصلب رأسه بباب دمشق ، ولم يلبث ابنه يحيى بعده الا قليلا حتى خرج بعد أبيه فكان مصيره مصير أبيه فى القتل والتصليب ، وهذه ثلاث ضحايا من البيت العلوى سقطت فى عهد الامويين ، لان شوكتهم فى هذا العهد كانت لا زالت عزيزة الجانب ، ولم يحن الوقت

للتغلب عليها ، والى زيد هذا تنسب الشيعة الزيدية وبهذا انتهى أمر بنى الحسين ولم يقم بعد منهم أحد .

ثم بلغ الوقت لان تفتضح دعوة بنى العباس ، وكان افتضاحها بكتاب من ابراهيم بن محمد بن على المذكور ، وقع فى يد مروان بن محمد الى أبى مسلم الخراسانى داعية أهل البيت العباسى يامره فيه بقتل كل من يتكلم اللغة العربية بخراسان فأرسل مروان الى عامله بدمشق أن يلقى القبض على ابراهيم بن محمد بن على فسلم ابراهيم نفسه ، وأوصى الى أخيه أبى العباس السفاح ، وأمر أهله بالسير الى الكوفة ، والسمع والطاعة لأبى العباس ، فسجن « بحران » ولم يزل فى السجن حتى مات به ، وسبب موته مجهول ، وأما أهله فقدموا الكوفة فى صفر سنة 132 هجرية ، وكان رئيسها أبو سلمة الخلال ، الذى كان يعرف فى ذلك الوقت بوزير آل محمد ، فأنزلهم فى احدى دور الكوفة وكتم أمرهم عن سائر القواد 40 ليلة وكان لا يزال فى معسكره بحمام اعين خارج الكوفة ، ويقال انه لما سبر احوالهم عزم على العدول عنهم الى بنى على ابن أبى طالب ، فكتب الى ثلاثة من اعيانهم : 1 — جعفر الصادق بن محمد الباقر من ذرية الحسين ، و 2 — عبد الله الكامل من ذرية الحسن المثنى ، و 3 — عمر الاشرف بن على زين العابدين بن الحسين أيضا ، شهيد كربلاء وارسل الكتاب مع رجل من مواليهم ، وقال له : اقصد أولا جعفر الصادق ، فان أجاب فابطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب فارفع الكتاب الى عبد الله الكامل ، فان أجاب فابطل كتاب عمر الاشرف ، وان لم يجب فألق الكتاب الى عمر الاشرف ، أما جعفر الصادق فانه قال : مالى ولابى سلمة وهو شيعى لغيرى ، فأحرق الكتاب على السراج وقال : للرسول هذا هو الجواب ، أما عبد الله الكامل الملقب بالمحض ، فانه قرأ الكتاب وقبله ، وركب فى الحال الى جعفر الصادق يستشيره فى الامر ، وقال له : هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه للخلافة ، وقد وصل الى على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له جعفر : ومتى كان أهل خراسان شيعتك ؟ أنت وجهت اليهم أبا سلمة ؟ هل تعرف أحدا منهم باسمه أو صورته ؟ فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك ؟ فقال عبد الله الكامل : كأن هذا الكلام منك لشىء ؟ قال جعفر : قد علم الله أنى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم ، فكيف ادخره عنك ؟ فلا تمن نفسك الاباطيل ، فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء ، وقد جاءنى مثل الكتاب الذى جاءك ، ثم انصرف عبد الله الكامل غير راض ، وأما



عمر بن على زين العابدين فانه رد الكتاب وقال : أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه ، فلما أحس بعض القواد بأمر أبى سلمة احبطوا ما أراده ، فذهبوا الى الكوفة وقابلوا أبا العباس السفاح ، وسلموا عليه بالخلافة ، ودخل بعدهم أبو سلمة ففعل كما فعلوا ووصله الخبر بما فعل أبو سلمة فأوجد فى نفسه عليه ، ولما تم له الامر بالبيعة التى اخذها من القواد أبو العباس السفاح نفسه خرج لاول مرة فصلى الجمعة بالكوفة فى 13 ربيع الاول سنة 130 هجرية ، وكان بين عقد أبى مسلم لالويتى الخلافة الظل ، والسحاب ، وخروج أبى العباس للصلاة 5 أشهر و 8 أيام ، وقد ذكر فى خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وافتخر بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى على الخلفاء الرشدين ونعى على بنى حرب ، وبنى مروان اثرتهم وظلمهم ثم قال : وانى لارجو ان لا ياتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث أتاكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله ، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا « فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح » وبهذه الجملة لقب بالسفاح ، كان السفاح على علم بما يفعله بنو عبد الله الكامل الذين يهيئون الخلافة لانفسهم لانهم المستحقون لها بيتا وعلما وفضلا ، فشروط القيادة الروحية كانت متوفرة لديهم بكثير الا أن الوصول اليها أصبح من الامر العسير ، وكان الاصل لديهم فى انتخاب الخليفة رضى الامة ، ومنها كان يستمد قوته ، وهذا الاصل هو الذى جعل المفترين من البيت العلوى يتطلعون اليها ، ويطمعون فيها لكثرة ما كانوا يرون من تأييد الناس لهم ، وهذا هو الذى جعل الاجلة منهم يسقطون صرعى الميدان من أجلها ولم تتحقق الا لاثنين منهم ، الاول : ادريس بن عبد الله الكامل منهم بالمغرب الاقصى لان الادارسة قد دامت دولتهم به ثلاث سنوات ، ومائتا سنة ابتدئت بتاريخ 172 هجرية ، وكان انتهاؤها بتاريخ 375 هجرية أيضا ، وكيف يكتب البقاء لهذه الدولة الفتية بين عملاقين : عملاق فى الشرق مقره ببغداد ، وعملاق فى الغرب مقره قرطبة من بلاد الاندلس ، كل منهما يريدها لنفسه تكون ملكا له من جملة أملاكه ، والثانى : الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن الامام على ، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نجح السيد الحسن فى تكوين هذه الدولة الزيدية

بفضل شيعته وانصاره ، واقتطعها من ملك بنى العباس « بطبرستان » وكانت دولته تعاصر دولة المستعين بالله العباسى بتاريخ 247 هجرية ، وكان لهم على هذه الولاية الشاسعة الاطراف ، آل طاهر ، ودخل تحت يده منها اقليم عظيم ، تحميه جبال طبرستان والديلم واستمر وجود هذه الدولة نحو قرن كامل ، ابتداء من 250 هجرية ، وانتهاء بتاريخ 355 هجرية أيضا ، ولم تطل حياة السفاح حتى توفى سنة 136 هجرية ايضا ، فكانت خلافته نحو ست سنوات ، ثم تولى الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ، تمت بيعته فى اليوم الذى توفى فيه أخوه أبو العباس السفاح ، وكان يقابله فى الاندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، المعروف بالسقر سنة 138 هجرية الى 172 هجرية أيضا ، ويعاصرهم فى فرنسا شارلمان 768 — 814 للميلاد ، وكانت شيعة آل البيت قد افترقت ثلاث فرق فرقة ترى ان امام المسلمين معين بالنص أى من طرف الخليفة الحق ، وهو على وابنه الحسن ، ولا يكون الا من ذرية فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الشيعة الامامية وكانوا يرون ان مستحقها امامهم : جعفر الصادق ، وفرقة ترى ان امام المسلمين يكون من بنى فاطمة الا أنه معين بالوصف ، لا بالاسم ويرون الخروج مع كل امام دعا لنفسه من بنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، متى وجدت فيه صفات الامام وهى : العلم ، والشجاعة، والورع ، وغير ذلك ، وهؤلاء هم الذين نصروا زيدا بن على زين العابدين، وابنه يحيى ، وسمو الشيعة الزيدية ، وفرقة ترى ان الامام فى أهل البيت ، ولكن من غير تقييد ببنى فاطمة الزهراء ، وهؤلاء هم الذين نصروا بنى العباس ، وكانت الفرقتان الاوليتان منتشرتين فى الآفاق فى كثير من الاقاليم الاسلامية سواء منها العربية أو العجمية ، وقد علمت ان الدعوة فى أول الامر كانت مبهمة لحاجة فى نفس يعقوب ولما عقدت الوية الخلافة لبنى العباس من طرف داعيتهم أبى مسلم الخراسانى فى مرو ، سقط فى يد العلويين ، وتفطنوا للمكيدة ، وعلموا عمق الهوة بينهم وبين بنى عمهم من بنى العباس ، فصاروا ينقمون عليهم خدعتهم هذه كما عدوهم غاصبين لحقهم ، وكما نقموا ذلك على عدوهم الاول جميعا بواسطة شيعتهم المتفرقين فى جميع البلدان ، ومنهم أهل الامصار كانوا متتبعين لعوراتهم متربصين للانقضاض عليهم متى رأوا الفرصة مناسبة لذلك مما ينقمه الناس عليهم من سياسة الظلم والطغيان التى أخذوا بها على سابقيهم بنى أمية ، حتى أعانوهم عليهم ، وكان خلفاء بنى العباس يرون ويلمسون



ان بنى فاطمة أكبر خطر يهدد دولتهم ، وان بابهم يعسر سده ، وكان يعاصرهم لهذا العهد منهم امامان عظيمان ، هما : جعفر الصادق من ذرية الحسين السبط شهيد كربلاء وثانيا : الامام محمد بن عبد الله الكامل الملقب النفس الزكية من ذرية الحسن السبط · فأما الاول فانه كانت لديه تعاليم عن أبيه محمد الباقر آمن بها بأنه لا شىء له فيها ، ولذلك لم يغوه طمع ، ولم يحرك ساكنا ، وكان يوصى شيعته وأصحابه بالركون الى السكينة ، والرضى بما تم للعباسيين لان الامر لهم ، وأما الثانى فكان طمع فى الامر لما حصل عليه من بيعة بنى هاشم له أواخر عهد بنى أمية ، وكان أبو جعفر المنصور أحد مبايعيه معهم ، وهو الآن من قد علمت مكانه ، وهو من أولى الشدة والشوكة فرجع على الامام محمد واخذ يطلب البيعة منه ، فاختفى له ، ولما تم الامر لابى جعفر المنصور حج سنة 141 هجرية، فلما كان بالمدينة حضر اليه بنو هاشم جميعا الا محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم ، فسأل عنهما فقال له أمير المدينة : زياد بن عبد الله الحارثى ما يهمك من أمرهما أنا آتيك بهما فضمنه اياهما وأبقاه عاملا على المدينة ثم دعا بنى هاشم رجلا رجلا كلهم يخليه فيسأله عنهما فيقول يا أمير المومنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافا ، ولا يحب لك معصية ، وكان من بينهم حسن بن زيد بن الحسن السبط ، فانه أخبره ، وقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، يعنى الخلافة ، فر فيه رأيك ، فأيقظ بقوله هذا من لا ينام ·

## محنة أبناء عبد الله الكامل وأبناء عمهم بنى الحسن

احتال أبو جعفر المنصور بجميع الوسائل حتى يعلم نية عبد الله الكامل من ابنه محمد النفس الزكية ، وما عنده من أخبار عليه فحج سنة 142 هجرية ، فدعاه وسأله عن ابنيه محمد وابراهيم ، فأنكر أن يكون عنده علم بهما ، فتيقن المنصور انه يخفى الحقيقة عليه ، فاتهمه بتواطئه معهما ، وأمر بسجنه ، ومصادرة أمواله ، ثم اتهم ابن زياد عامله على المدينة فعزله وولى بدله محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، وبسط يده فى النفقة فى طلبهما ، حتى انفق كثيرا من المال فى هذا السبيل ، وبحث عنهما بحثا كبيرا فى المدينة وغيرها فلم يحصل على خبرهما ، فعزله المنصور أيضا ، واشير عليه أن يولى على المدينة رجلا من آل الزبير حتى يستغل ما بين آل الزبير وآل على من العداوة ، ويجعل ذلك شائقا له فى البحث الشديد والجد فى الامر ، فلم يفد المنصور شىء من ذلك فى أمرهما ، ثم

آلى أن لا يجعل عليها الا صعلوكا من صعاليك العرب ، فولى على المدينة رياح بن عثمان بن حيان المرى فورد المدينة فى شهر رمضان سنة 144 هجرية ، وهو عازم على عسف الاعراب وظلمهم الذين يستخفون محمدا واخاه عندهم ، فكان اول شىء فعله أن استهان بمحمد بن خالد القسرى ، الذى كان عاملا قبله ، وعذبه هو وكاتبه ، ثم أرهق محمد بن عبد الله طلبا حتى لقى الشدائد فى طلبه ، ما كان يراها فى عهد اسلافه من ولاة المدينة ، فقال فى ذلك : « منخرق السربال يشكو الوجا » تنكبه الاطراف مرو وحـــداد .

طـــرده الخـــوف وازرى بـــه « كذا من يكره حر الجلاد »
قد كان فى الموت له راحـــة « والموت حتم فى رقاب العباد »

وزاد المنصور فى ارهاق محمد واخيه ، فألقى القبض على ابناء عمهما من بنى الحسن السبط ، وكان عددهم 13 رجلا ، وحبسهم بالمدينة ، ولما علم محمد بذلك جاء الى أمه هند ، وقال لها انى قد حملت عمومتى وأبى مالا طاقة لهم به ، ولقد هممت ان أضع يدى فى أيديهم ، فعسى أن يخلى عنهم ، فقالت أمهل حتى أراجع أباك فى السجن ، فتنكرت ولبست أطمارا أى ثيابا بالية ، ثم جاءت السجن كهيئة رسول ، فاستأذنت فأذن لها ، فلما رآها عبد الله الكامل اثبتها فنهض اليها ، فأخبرته بما قال ابنه محمد النفس الزكية ، فقال : كلا بل نصبر ، فو الله انى لارجو أن يفتح الله به خيرا ، قولى له : فليدع الى أمره ، وليجد فيه ، فان فرجنا بيد الله ، فانصرفت واستمر محمد واخوه على اختفائهما ، وبنو الحسن مساجـــن عنده ، وفى شهر ذى الحجة ، من تلك السنة حج أبو جعفـــر المنصور ، فاستقصى الامر ، فلم يجد ما يبرد غلته من جهة محمد واخيه ابراهيم ، فأمر بحملهم الى العراق ، واشخص معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بـــن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وهو أخو بنى حسن بن حسن لامهم، اذ أن أمهم جميعا فاطمة بنت الحسين بن على كرم الله وجهه ، وكان ابراهيم بن عبد الله صهره على ابنته ، فحملوا مقيديـــن فى الاثقـــال والاغلال ، وسيق بهم على شر ما تكون الاحوال ، حتى وصلوا العراق، فحبسوا بقصر بن هبيرة ، وهو بموضع شرقى الكوفة مما يلى بغـــداد على نهر الفرات ، وقد ارتكب معهم المنصور من العظائم فى تعذيبهم مالا قبل لاحد به فى تاريخ الانسانية ، ولا طاقة لاحد من الناس حتى يقوى على سمعه ، فضلا عن تسطيره ، فكانت الغاية من ذلك أن مات جلهم



تحت العذاب ، ودعاة بنى العباس ملاوا الدنيا تهويلا ورياء بأنهم خرجوا انتقاما من قتلة الحسين شهيد كربلاء ، وحفيده زيد وحفيد حفيده يحيى ، ويعلم الكل ان هؤلاء قتلوا فى ميادين القتال وهم خارجون ، ولم يقتل بنو امية احدا من آل على بالشكل الفظيع الذى قتلهم به أبناء عمهم بنو العباس ، ولما وصل محمدا كل ما فعل ابو جعفر المنصور بأهل بيت على من التعذيب والتقتيل ، اضطره ذلك ان يخرج بعد اختفاء دام 14 سنة ، وهل يظل الانسان حياته مختفيا من لقاء الواقع الذى لا مفر منه ؟ كلا ، بل ان محمدا فضل أن يلقى مصيره الحتمى بكل ما أوتى من ايمان وحزم وعزم وشجاعة نادرة كما لقيه اخوانه من آل بيت على من الذين لم يكتب لهم البقاء والنصر على اعدائهم ، وفضلوا الموت بالسيف فى ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يرونه أهلا لان يطيعوه ، لانهم كانوا رضى الله عنهم أولى همم عالية موروثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه سيدنا حسان :

له همم لا منتهى لكبـــارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

فأعلن خروجه وتحدث أهل المدينة بذلك ، فجعل رياح أمير المدينة يعد العدة للقائه ، فعاجله محمد ودخل المدينة فى 25 رجلا فأتى السجن ففتحه ، واخرج منه من كان بقى فيه ولم يقاومه اهل المدينة بل اعانوه وخذلوا رياحا ، ووافق خروجه أول يوم من رجب سنة 145 هجرية ، وبعد أن استولى على البلد صعد المنبر وقال : أيها الناس انه كان من أمرنا وأمر الطاغية عدو الله ابى جعفر المنصور ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندا الله فى ملكه ، وتصغير الكعبـــة الحرام ، وانما اخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الاعلى ، وان أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الاولين ، والانصار المواسين ، اللهم انهم قد أحلو حرامك وحرموا حلالك وأمنوا من أخفت ، واخـــافوا من أمنت ، اللهم فاحصدهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم احدا ، أيها الناس ، والله ما خرجت بين اظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولا شدة ، ولكن اخترتكم لنفسى والله ما جئت هذه وفى الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد اخذت لى فيه البيعة . وكان محمد هذا يتحلى بخصال الخيـــر التى كانت ترفع من شأنه فى أعين أهل المدينة ، وكان من أهل الفضل والصلاح يمتاز بحب الخير للناس ، ويتجنب الميل للعسف والظلم ، بل كان يكره سفك الدماء ويتجنبه ما وجد الى ذلك سبيلا ، وكان الناس

لا يرون فيه غشم أبى جعفر المنصور ، ولذلك كانوا يلقبونه « النفس الزكية » وسئل الامام مالك امام دار الهجرة فى الخروج مع محمد ، وقيل له : ان فى اعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، وكان الامام مالك يرى الخروج على بنى العباس ضروريا ومؤكدا لانهم استولوا على الامة عن طريق المكر والخداع ، والظلم والاستبداد فلا تلزم الامة بيعتهم ولا يمينهم بالطلاق والعتاق على سبيل الاكراه ، ولذلك أفتى بعدم لزوم طلاق المكره ، لانهم أوقعوا الامة فى حرج عظيم وضنك جسيم تبريرا لاستبدادهم بالامر وانتزاعهم من أهله اهل بيت على رضى الله عنهم ومن اجل ذلك اخذه والى المدينة جعفر بن سليمان وجلده حتى حمل مغشيا عليه وطيف به فى سوق المدينة على حمار ووجهه الى الخلف ، فكان يقول فى صراحة وشجاعة نادرة يعز وجودها أن تكون صفة لاى فتيه غيره ، قولته الشهيرة : « من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس طلاق المكره لا يلزم » وكان ابو جعفر المنصور يبعث اليه ويطلب منه البيعة ، ويعده على ذلك أن يحمل جميع الناس على مذهبه ، فأبى وضحى بنفسه فى سبيل نصرة الحق ، فأصيب بآفة فى جسمه وبقى سبع سنين لم يصل الى المسجد النبوى ، فقيل له فى ذلك فقال اخشى أن أصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذى ، لانه لم يجد قدرة على امساك البول من شدة ما لقيه من الجلد والتعذيب ، وهو من هو رضى الله عنه بين علماء عصره ، وكفى بذلك تعسفا لابى جعفر المنصور المجنون على حرص الرياسة الغاشمة ولما عيب عليه ذلك ولقى التشنيع عليه فى جميع الاقطار الاسلامية ، رأى أن يحج فى تلك السنة ، ويعرض على مالك القود من جعفر بن سليمان الجلاد الظالم ، فقابله مالك بالعفو عن ظالمه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نرجع الى اتمام الكلام على العبقرى الثائر سيدنا محمد النفس الزكية ، فقد تقدم اليه محمد بن خالد القسرى بنصيحة مفيدة لو كان عمل بها ، ولكنه كانت له خطة فلم ير بدا من تنفيذها لما كان يراه من أن أمامه عقبات كأداء ، لا سبيل لتخطيها والخروج منها سالما ، فقال : انك قد خرجت فى هذا البلد ؛ والله لو اتى عدوك ووقف على نقب من انقابها لهلك اهله جوعا وعطشا ، فانهض معى فانما هى عشر حتى نضربه بمائة الف سيف فأبى عليه ، وصمم العزم على اللقاء ولا عليه فيما وراء



ذلك ، ويظهر ذلك من جوابه فى كتابه للمنصور ، وان السبيل الوحيد الذى بينه وبين عدوه هو ميدان اللقاء ، ولن يكون هناك فهم صحيح يفسر خروجه بعد كمومه الطويل الا ذلك ، لا سيما وهو من اهل العلم والحجا والزهد والورع والدين ، ومن ثبتت له تلك الاوصاف يكون بعيدا أن يختار الحياة الذميمة تحت طاعة من كان بايعه بالخلافة بالامس ، ولن يسهل ذلك الا على من كان ذليلا خنوعا يرى لغيره ما يراه لنفسه ، واما ما نسبه اليه بعض المؤرخين من الغرور والخطأ فانما ذلك من تصورهم التصورى لفهم ابعاد ما كان يرمى اليه الزعيم الثائر ، ومراعاة الظروف وتقدير القيم للعظماء من الرجال ، ولو كان من كان من السياسيين وسقط فى مثل ما سقط فيه هذا الزعيم الثائر لكان مصيره مصيره ، وتبع ذلك ظروف احاطت بأهل بيت على يشبه بعضها بعضا فى التنكيل بكل عبقرى ظهر فيها ، ولا سبيل لخروجهم من محنتهم الا بمثل ما رآه هذا العبقرى الثائر ، ولكن من لم تحنكه التجارب لا يلام على رأيه . وبعد أن وصل خبر خروجه للمنصور استشار الخبراء الحربيين فأشار عليه الربيع بن عبد الله بن عبد المدان بقوله : هلك محمد خرج والله فى غير عدد ولا رجال ، وموقع المدينة لا يعد من المواقع الاستراتيجية ، وان محمدا كما تقدم عرف ذلك واعرب عنه فى خطبته ، ولكنه فضل اللقاء على الارض المقدسة حتى لا يحرم جسده الشريف من جوار جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنصور مشغولا ببناء بغداد ، فخرج الى الكوفة حتى يرى أخبارها ويرعى احوالها بنفسه ، لان اهلها شيعة لآل على ، ويخاف منهم أن يخرجوا لمساعدة محمد فأقفل ابوابها حتى لا يخرج منها احد ولا يدخلها احد ، وراسل محمدا قبل الخروج للحرب .

## تبادل الرسائل

فكتب المنصور اليه كتابا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين ، الى محمد بن عبد الله اما بعد : قال الله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ولك عهد الله وميثاقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن نقدر

عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ، ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن أعطيك الف درهم ، وان انزلك من البلاد حيث شئت ، واقضى لك ما شئت من الحاجات ، وان اطلق من فى سجنى من اهل بيتك وشيعتك وانصارك ، ثم لا أتبع منكم أحدا بمكروه ، فان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الى من ياخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما احببت والسلام .

فأجابه محمد بن عبد الله بكتاب نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المومنين الى عبد الله بن محمد أما بعد : قال الله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وانا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى وقد علمت ان الحق حقنا ، وانكم انما طلبتموه بنا ، ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا ، وان ابانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام ، فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء ، وقد علمت انه ليس احد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ، ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا ، وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمر فى الجاهلية دونكم ، وبنو بنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أما وابا ، لم تلدنى العجم ، ولم تعرق فى أمهات الاولاد ، وان الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيئين افضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه اقدمهم اسلاما واوسعهم علما واكثرهم جهادا على بن ابى طالب ، ومن نسائهم افضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ، وصلى الى القبلتين ، ومن بناته افضلهن سيدة نساء اهل الجنة ، ومن المولودين فى الاسلام الحسن والحسين سيدى شباب اهل الجنة ، ثم قد علمت ان هشاما ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسين مرتين ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين ، من قبل جدى الحسن والحسين ، فما زال الله يختار لى فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة ، فأنا ابن خير الاخيار ، وانا ابن اهل الجنة ، ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن اومنك على نفسك وولدك ، وكل ما



أصبته الا حدا من حدود الله او حقا لمسلم او معاهد ، فقد علمت ما يلزمك فى ذلك ، فأنا أوفى بالعهد منك واحرى بقبول الامان ، فأما امانك الذى عرضت على ، فأى الامانات هو ؟ آمان ابن هبيرة ؟ أم آمان عمك عبد الله بن على ؟ أم آمان ابن مسلم ؟ والسلام .

ذكر له هؤلاء الرجال الثلاثة لانهم كانوا قوادا عظاما حاربوا الدولة الاموية حتى شردوها فى الآفاق ، ونصبوا بدلها دولة بنى العباس ، فغدروا بهم وقتلوهم خوفا منهم ، وحرصا على بقاء ملكهم ، شأن كل غادر ماكر ، وهناك جواب من المنصور على الرسالة المذكورة ، كله سفه وكذب يستحيى العاقل من نشره ، ثم ان المنصور اختار لقتال محمد النفس الزكية ، المذكور عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس ، ابن اخيه والمرشح لولاية العهد عندهم بعد ابيه ، وكان السفاح جعله وليا للعهد بعد المنصور ، فقال عيسى للمنصور : شاور عمومتك ؟ فقال له المنصور : امض ايها الرجل فو الله ما يراد غيرى وغيرك ، وما هو الا أن تشخص او اشخص وزوده بوصية فقال : يا عيسى انى بعثتك الى ما بين هذين ، واشار الى كتفيه فان ظفرت بالرجل فشم سيفك ، وان تغيب فضمنهم اياه حتى ياتوك به ، فانهم يعرفون مذاهبه، ثم جهز المنصور جيشه احسن تجهيز ، ثم بعثه ، ولما وصل الى فيد بعث الى رجال من اهل المدينة فى خرق من الحرير ، ولما وردت كتبه المدينة تفرق ناس عن محمد ، وخرج معه بعضهم الى عيسى ، وفيهم من آل على ، وقد كان قبل أن يصله الخبر بمجيء عيسى بن موسى خندق حول المدينة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عيسى بجنوده حتى وصل المدينة فأرسل فصيلة من الجند تحرس طريق مكة حتى لا يهرب محمد ، فقدم له عيسى دعوة الى الاستسلام والخضوع فلم يجبه ، وهناك لقيه محمد البطل بمن معه من الجند القليل ، فدارت المعركة بين الجانبين ، فأظهر محمد شجاعة نادرة فى القتال ، حتى ظهر ظهورا عظيما، الا ان قوة العدو كانت اكثر مما يكون فى الحساب ، وظلت المعركة يومها الاول والثانى ، وفى آخر الثانى سقط محمد البطل شهيد المعركة ، وبذلك حقق شعار آل البيت العلوى الذى يقول فيه سيدنا على زين العابدين رضى الله عنه :

اذا كانت الابدان للموت انشئت      فقتل امرىء فى الله بالسيف افضل

وبموته ظهرت الاعلام السوداء على مرتفعات المدينة ، وعلى

منارة المسجد النبوى ، وكان ابتداء القتال فى اليوم 12 من رمضان ، ونهايته فى آخر اليوم 14 منه سنة 145 هجرية ، ثم أرسل عيسى برأس محمد وبمصادرة أمواله مع جميع اموال بنى الحسن الذين سقط جلهم فى ميدان المعركة الشرفية الى أبى جعفر المنصور بالعراق ، بعد أن أمن اهل المدينة ، وفى 19 من رمضان شخص يريد مكة ، وكانت مدة ايام محمد بن عبد الله النفس الزكية من اليوم الذى ظهر فيه واعلن خروجه على اعدائه الى ان استشهد فى ميدان المعركة 77 يوما ، والبقاء لله وحده لا رب سواه ، وان ذلك هو ما كان صمم عليه العزم محمد البطل وفضله على أن يعيش بين يدى من كان يراهم من الاوباش ، ويعرفهم أهل مكر وخديعة وخوف على ملكهم المغتصب بسياسة المكر والخداع ، وقوة البطش بالاهل والانصار ، وقد كان يعلم أن الولاية العامة فى الاسلام يجب أن تكون باختيار الامة الاسلامية ، كما كان الشأن فى عهدها الاول ، ويتولاها أفضل الناس من بيت النبوءة علما وتقوى وزهدا وورعا ، وتلك كانت عندهم صفات امام الحق ، الذى تكون ولايته رحمة على من سواه ، ولم يكن يتقدم فيها أحد على البطل محمد بن عبد الله النفس الزكية ، لذلك كان يرى ان الحق حقه فيها ، وأما غيره فيعتبر غاصبا لحق غيره الشرعى ، ولهذا لم يكن يبالى بما هو عليه خصمه من الملك المغصوب بطريق القوة والقهر والخداع ، لان ذلك يخالف شريعة الاسلام ، وليس من شأنه ولا من شأن الامة المسلمة ، وانما هو رجوع بالاسلام الى ما كانت عليه الجاهلية ولن يكون من صفة امة ، دينها الاسلام ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم وكتابها القرآن .

وأما مصير اخيه ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فانه ذهب الى البصرة ودخلها سرا رغم ما كان عليها من الحصار من قبل أبى جعفر المنصور لما كان يخشاه أن يخرج بها لما علمت من قبل ، وطلب البيعة الى اخيه محمد ، فبايعه الكثير من اهلها والى جانب ذلك أجابه الكثيرون من فتيان العرب ، وكان أبو جعفر قد حصنها باشارة من خبيره الحربى جعفر بن حنظلة البهرانى ، وكان ذا راى وخبرة فى الحرب فأشار عليه بقوله بعد ظهور اخيه محمد بالمدينة ، ليست المدينة بمكان للحرب وحصن البصرة واهل الكوفة تحت قدمك ، واما اهل الشام فانهم اعداء لآل أبى طالب فاهتم بارسال الجنود واقامة المساليح بين الكوفة والبصرة ، حتى لا يخرج اهل الكوفة لمساعدة ابراهيم ، وبعد قليل ظهر ابراهيم بالبصرة ، واستولى عليها وعلى ما قرب منها من الاهواز وواسط ، ولم يزل على



امره ذلك حتى اتاه نعى اخيه محمد من المدينة قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ، فصلى بالناس يوم الفطر وعليه اثر الحزن فأرسل ابو جعفر المنصور الى عيسى بن موسى يستحثه فى القدوم كى يتصدى لحرب ابراهيم ايضا ، فأسرع نحو البصرة فخرج اليه البطل ابراهيم بن عبد الله الكامل ، فالتقيا عند باخمرى ، ودامت المعركة بين الجانبين نحو شهر ونصف وكان ابراهيم يتفوق على عيسى فزاد المنصور فى عدد الجند والعدة الحربية حتى تفوق بكثير على ابراهيم ، ومع ذلك فقد ابلى معه بلاء حسنا الى أن سقط شهيد المعركة كأخيه محمد لخمس بقين من ذى القعدة الحرام، سنة 145 هجرية ، وكان محمد واخوه ابراهيم من أحسن الطالبيين خلقا وانظفهم تاريخا لم يعرف عنهما ما يشينهما فى معاملة الناس لهما ، وفى صفاء السريرة وصدق العزيمة ، الا ان الحظ خانهما فلم يكتب لهما النجاح ، كما لم يكتب لمن تقدمهما من آل البيت الفاطمى النظيف ، ثم قام المنصور بعدهما خطيبا فنعى عليهما وعلى كل قائم من أهل هذا البيت باللائمة ، واعطى لنفسه من الحق والصواب ما يوهم الناس ان الملك خلق له ، وهو خلق للملك وليس هناك فى الوجود من ينزع منه هذا الحق ، وختم خطبته بقوله : فقر الله الحق مقره ، واظهر مناره ، : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » وكان افتتاح خطبته بعد النصر الذى حققه ، على اهل خراسان ، يا اهل خراسان انتم شيعتنا وانصارنا ، واهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا ، وان اهل بيتى هؤلاء ، من ولد على بن ابى طالب ، تركناهم والذى لا الاه غيره ، والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا بكثير ، فقام على بن أبى طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين ، فافترقت عنه الامة ، واختلطت عليه الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته وانصاره وأصحابه وبطانته، وثقاته ، فقتلوه ، ثم قام من بعده ابنه الحسن ، فو الله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الاموال فقبلها ، فدس اليه معاوية أنى أجعلك ولى عهدى من بعدى فخدعه فانسلخ له مما كان بيده وسلمه اليه ، فأقبل على النساء يتزوج فى كل يوم واحدة فيطلقها غدا ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن على فخدعه اهل العراق واهل الكوفة من اهل الشقاق والنفاق والفتن والاغراق ، اهل هذه المدرة السوداء ، وأشار الى الكوفة ، فو الله ما هى بحرب فأحاربها ، ولا هى بسلم فأسالمها ، فرق الله بينى وبينها فخذلوه واسلموه ثم قام من بعده زيد بن على فخدعه اهل الكوفة وغروه

فلما اخرجوه أظهروه وسلموه وقد كان أتى محمد بن على فناشده فى الخروج، وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة وقال له أنا نجد فى بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عمى داود بن على ، وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل ، واتم على خروجه ، فقتل وصلب بباب الكناسة من الكوفة ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماتوا أشرافنا ، واذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها ، وما كان ذلك كله الا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد وصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا واصار الينا ميراثا من نبينا صلى الله عليه وسلم . فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله علينا ، وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظلما وعدوانا وحسدا منهم لنا لما فضلنا الله به عليهم ، واكرمنا من ميراث نبيه صلى الله عليه وسلم دونهم ، ثم نزل وهو يتلو : وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب » .

وكان من ذلك أن بقيت بقايا بنى الحسن مشردين فى الاقطار ، فى عهد أبى جعفر ، بعد أن قتل منهم من قتل ، ومات من مات منهم فى سجنه ، وبقى فيه من بقى ، وهكذا يفعل كل ظالم غاصب وصل اليه هذا الامر الذى عصم الله منه كل ولى له ، وخصوصا أمثال هؤلاء العباترة الكرام من أهل البيت الطاهرين الذين أراد الله منهم أن يلقوه فى حلل الشهادة رافلين ، وتلك سنته مع أوليائه وأصفيائه . ولن تجد لسنة الله تبديلا » وقال الله أيضا فيهم انما : يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وليس هناك من شك فى ان منصب الولاية على شؤون المسلمين قد تحولت بعد الخلفاء الراشدين الى اهل البغى والظلم المعبر عنه بالرجس الذى طهرهم الله منه ، ولذلك لم يكتب النجاح فيها الا لم يكن طاهرا من بيت النبوة ، : فالله خير حفظا وهو أرحم الرحمين » ومن غريب ما نقل عن محمد بن جرير الطبرى ، ان محمد المهدى بن جعفر المنصور لما تولى الخلافة بعد ابيه ، فآلت اليه خزانته ، فدخلها مع زوجه ريطة ، فاذا أزج ، اى البيت الطويل ، ويجمع على أزج ، فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها انسابهم ، وفيهم أطفال ورجال ، وشباب ،ومشائخ عدة كثيرة ، فلما راى ذلك محمد المهدى ، ارتاع لما راى ، وأمر بهم فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وبنى عليهم دكان .



## ترجمة مولانا عبد الله الكامل :

لقب بذلك لكمال نسبه من جهة أبيه وأمه ، وقيل لشبهه بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رضى الله عنه من كبار التابعين وروى عنه الامام محمد بن اسماعيل البخارى فى كتاب التوحيد بواسطة ، وكان كبير بنى هاشم فى وقته ، قال ابن سعد : وكان من أهل العلم والتقوى والعبادة وله عارضة وهيئة ، قال مصعب الزبيرى : ما كان علماء المدينة يكرمون أحدا ما يكرمونه ، وثقه ابن معين ، والنسائى وغيرهما ، وله رواية عن أمه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها ، ولد سنة 68 هجرية ، وتوفى فى سجن المنصور تحت هدم ، ودفن بالقادسية ، وعلى قبره مشهد عظيم يزار ، سنة 143 هـ، وله من العمر 75 سنة ، وروى عنه انه قال : أتيت عمر بن عبد العزيز الاموى ، فى حاجة فقال لى : اذا كانت حاجة فارسل الى أو اكتب فانى أستحيى أن يراك الناس على بابى .

ونقل فى نظم الدرر والعقيان فى شرف بنى زيان ، ان من وصاياه لولده سيدى محمد النفس الزكية ، اياك ومعادات الرجال ، فانك لن تعدم مكرم حليم ومعاصات لئيم . لم يمض غير قليل على خلافة بنى العباس حتى توالى الخارجون عليهم ، سواء من أهل البيت العلوى أو من أبناء عمهم الاقربين من ذرية العباس انتقاما من ظلمهم وطغيانهم ، وكان من بين القائمين الافراد الآتى ذكرهم من بيت على ، حتى انه لم يخل خليفة لهم من قائم ، وأول قائم عليهم من العلويين محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى فخلع أمير العباسيين من مكة وخطب لنفسه بها فى الموسم ، وقال : الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه ، وأبرز زهر الايمان من اكمامه ، واكمل دعوة سيد المرسلين بأسباطه لا ببنى أعمامه ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وكف عنهم أيدى المعتدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ثم أنشد :

لاطلبن بسيفى ما كان للحق دينا     وأسطون بقوم بغوا وجارو علينا
يهدون كل بلاء من العراق الينا

وبقى بها حتى مات ثم ملكها بعده ابن ابنه جعفر بن الحسين بن محمد ابن سليمان ، ثم أبو الفتوح بن جعفر ، ثم شكر بن أبى الفتوح واتسع نفوذ هذا حتى عم الحرمين ، وجميع أرض الحجاز ، وهو المدعو « بالشريف

ابن هاشم » تزوج الجارية بنت الحسن بن سرجان الذى كان بينه وبين بنى هلال ما تحدث الناس عنه ، ومات ولم يعقب ، فانقرضت دولة السليمانيين من مكة اذ قام عليهم الهواشم من ولد أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن أبى الكرام بن موسى الجون ، وكان بين هؤلاء الهواشم وبين بنى عمهم السليمانيين فتن متصلة ، ولما مات الشكر الذى يدعوه بنو هـلال . « الشريف ابـن هاشم » صاحب الجاريـة ، تقدم رجل لم يكن من بيت الامارة ، فقام عليهم الهواشم ، ورئيسهم محمد ابن جعفر بن أبى هاشم ، فأخرجهم عن الحجاز ، وساروا الى اليمن ، وبه انتهت دولة السليمانيين من مكة . انتهى وفيه ما فيه .

## ثورة الحسين بن على بن الحسن المثلث

وفى عهد موسى الهادى خرج عليه بالمدينة الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله عنهم ، وكان ذلك فى 14 ذى القعدة سنة 169 هجرية ، وكان والى المدينة لوقته عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وسبب خروجه ان والى المدينة المذكور ، أخذ الحسن بن محمد النفس الزكية ، وجماعة ، اتهموهم بأنهم كانوا على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعا ، ثم أمر بهم فجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة ، فسار اليه الحسين المذكور فكلمه فيهم ، وقال له : ليس عليهم هذا ، وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لا يرون به باسا ، ولم تطوف بهم ؟ فبعث اليهم وقد بلغوا البلاط أن ردهم الى ثم ردهم وأمر بهم الى السجن فحبسوا يوما وليلة ، ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعا ، وكان آل على يراقبون ويعرضون على والى المدينة كل عشية مثل الشياه ، ففقد الحسن بن محمد فتكفل بـه الحسين بن على الثائر ، ويحيى بن عبد الله الكامل ، لان الوالى العمرى كان يكفل بعضهم بعضا اذا غيب أحد منهم ، فغاب عن العرض ثلاثة أيام ، فأخذ الكفيلين وسألهما عنه فحلفا انهما لا يدريان موضعه ، فكلمهما بكلام اغلظ لهما فيه ، فحلف يحيى بن عبد الله الا ينام حتى ياتيه به ، أو يضرب عليه باب داره ، حتى يعلم انه قد جاءه به ، فلما خرجا من عنده ، قال له الحسين : سبحان الله ، ما دعاك الى هذا ؟ وأين تجد حسنا ؟ حلفت له بشىء لا تقدر عليه ، قال : والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف ، فقال الحسين : اذا تكسر ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة ، قال : قد كان بيننا وبين أصحابنا الذى كان وكانوا قد تواعدوا أن يخرجوا بمكة



أو منى أيام الموسم ، وكان بالمدينة جماعة من أهل الكوفة من شيعتهم ، وممن كان بايع الحسين بن على ، ففى آخر الليل خرجوا وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب مروان بسيفه على العمرى تبريرا ليمينه ، فلم يجده فيها وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد ، ولما أذن الصبح جلس الحسين على المنبر وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وجعل الناس ياتون المسجد فاذا رأوهم رجعوا ولا يصلون فلما صلوا الصبح جعل الناس ياتون ويبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد وتاومهم جماعة من نصراء الدولة فلم يقدروا عليهم ، ولما تم للحسين بن على ما أراد انتهبت جماعته ما فى بيت المال ، فأتام الحسين بالمدينة بعـد اعلان الخروج 11 يوما ثم فارقها لست بقين من ذى القعدة سنة 169 هـ قاصدا مكة ثم انتهى خبر الحسين الى موسى الهادى وكان قد حج وفد من بنى العباس وأمر عليهم موسى الهادى ، محمد بن سليمان بن على ، وكتب كتابا بتوليته على الحرب وخرج فى عدة من السلاح تقـدر بثلاثـين ألف مقاتل ، فشمر للحرب وسار نحو الحسين بن على فلقيه بموضع يدعى « فخ » على بعد نحو ستة أميال من مكة ، ودارت المعركة بين الجانبين فى 8 من ذى الحجة الحرام ، وأبلى فيها الابطال من بنى على بلاء حسنا بعد أن أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان القتال وكانت العاقبة أن سقط البطل الحسين شهيد المعركة فى وسط جماعة من الجانبين ، وكان لهـذه المعركـة صدى كبير فى الاوساط التاريخية ، وأفلت من المعركة رجلان لهما تاريخ جليل ، وهما ادريس بن عبد الله الكامل فر الى المغرب وكون هناك دولة ابتدئت بتاريخ 172 — 375 هجرية ، وفر أخوه يحيى بن عبد الله الكامل أيضا الى بلاد الديلم ، ياتى الكلام عليها ، ونتف هنا وقفة المتأمل حتى نستعرض أحوال هؤلاء الابطال كيف يحيون وكيف يذهبون عبثا ، قد يقول قليل الفكر فى حياتهم : ان هؤلاء السادات كثيرا ما يتعرضون للهلاك دون أن يحققوا آمالا لانفسهم سوى الانتحار فى المعركة ، وقد يكون الدافع الى ذلك قلة التفكر فى العواقب ، والحق ان اولائك السادات كانوا مضطرين أن يدفعوا ثمن هذه المعارك التى يكون فيها حتفهم ، لان كثيرا من الناس لا يتصورون حياة أولائك الاباة وسط جحيم يحيط بها ضغط سياسى ، واقتصادى واجتماعى ، فهم يشعرون انهم فى حياتهم سجناء ، وهم يعرفون حقهم المغصوب من طرف عدوهم الخائف والامة كلها تعترف بأن الحق حقهم ، وهم سلبوا منه بالقهر والقوة الغاشمة وهم الى جانب ذلك تحت حصار وضيق مستمر من طرف الولاة المباشرين ، هذا وان عدوهم لهم

بالمرصاد لا تنام له عين عنهم ، فكم يصبر عزيز النفس على هذه الحياة التعسة ؟ وكيف لا يفضل الانتحار فى ميدان الشرف على حياة المراقبة والعرض كل مساء على وال البلد ؟ فهو لا يملك حرية التنقل حتى فى مصالح نفسه ، كيف لا يفضل الانتحار أولائك العباقرة الافذاذ فى ميدان الشرف على حياة الذل والخنوع لمن لا يخشى الله ولا يراقبه فى حقوق عباده ؟ ان هى الا الدنيا شقى بها قوم وسعد بها آخرون ، قال الله تعالى : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » ولم يكن اضطراب الدولة العباسية وزعزعة الامن فيها ناشئا من العلويين وحدهم ، بل كان هناك كثير فى الامة من ينعى على الخلفاء استبدادهم وظلمهم ومكرهم وغدرهم ، وعدم الوفاء للامة بكتاب الله وسنة نبيه ، ومنهم الخوارج الذين كانوا متفرقين فى البلدان ، فانهم حاربوهم والحقوا بهم شر الهزائم المنكرة ، عبر مختلف السنين من أيام حياتهم .

ومما يحسن ذكره ما رواه الطبرى قال : دخل عيسى بن داب على قائد موسى الهادى ، موسى بن عيسى عند منصرفه من فخ ، فوجده خائفا يلتمس عذرا من قتل من قتل ، فقال : أصلح الله الامير ، وانشده من شعر اليزيد بن معاوية بعد قتل الحسين ، مطلعه :

| | |
|---|---|
| يا أيها الغادى لطيته | على عضافرة فى سرها قحم |

الى أن قال :

| | |
|---|---|
| لا تركبوا البغى ان البغى مصرعة | وان شارب كأس البغى يتخم |
| قد جرب الحرب من كان قبلكم | من القرون وقد بادت بها الامم |
| فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا | فرب ذى بذخ زلت به القدم |

قال : فسرى عن موسى بعض ما كان فيه من الغم ، ثم اشتد تطلع اهل البيت الفاطمى الى قلب نظام الدولة ، بعد أن رأوا أبناء عمهم العباسيين ازدادوا تصلبا عليهم ، وغيروا من أمرهم بعد أن كان دعاتهم يقدمون عليا على الشيخين قلبوا ذلك وقدموا الشيخين على على رضى الله عنهم ، ثم امعنوا فى شدة التضييق على آل على ، حتى صاروا كالطائر المحبوس فى قفصه يحاول التخلص منه على غير هدى ، بعد أن فتك المنصور بأخيار آل بيت على ، وقضى على كل عبقرى منهم شم عليه انه يتطلع لهذا الامر ، وان كانت بقيت منهم بقايا ولكنه اكتفى بحراستهم بدل الاخذ بالشدة والعنف،



ولما جاء محمد المهدى وضعهم تحت نظره ببغداد ، والذين كانوا بالمدينة اكتفى بمراقبة أميره لهم ، فكانوا يعرضون عليه كل يوم كالانعام ، الا أنه غير سياسة أبيه معهم واطلق كل من كان فى سجن أبيه المنصور منهم ، الا من كان لاحد قبله مظلمة أو حق ، ولما جاء هارون الرشيد غير سياسة الشدة معهم أول أمره واستمال قلوبهم بشىء من الاحسان اليهم ، وأول ما صنعه معهم أن رفع الحجر عمن كان معه منهم ببغداد ، وسيرهم الى المدينة ، ولكن حزازات النفوس لا تنجبر بالاحسان ، فهذا يحيى بن عبد الله الكامل مات أبوه فى سجن المنصور ، كما تقدم ، وأخوه محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ، وابن عمه الحسين بن على فى فخ كل هؤلاء علاوة على ما قتله المنصور فى سجنه منهم بطريق التعذيب والتنكيل ، مما وجد بعضه بعده فى الازج ، كما رأيت . كل ذلك لا ينسيه احسان الرشيد ، وكان هناك مشجع آخر ، وهو اغراءات الشيعة فى كل مصر فهى بمثابة النار التى تكمن فى الرماد ، فانهم يتطلعون بكل حرارة وتلهف ، وليسوا بمنفكين حتى يردوا الامر الى البيت العلوى الذى هو أعز بيت لديهم طال الزمان أم قصر ، وبناء على هذا وذاك خرج يحيى بن عبد الله .

## خروج يحيى بن عبد الله الكامل ببلاد الديلم

قد تقدم ان يحيى بن عبد الله الكامل أحد الناجين من وقعة فخ فى عهد موسى الهادى ذهب الى بلاد الديلم فاكتسب أنصارا بها ، فزينوا له الخروج على الرشيد فخرج عليه بها ، فقوى أمره ، واشتد ساعده بها حتى نزع اليه الناس من الامصار والكور ، فاغتم الرشيد لذلك ، وترك شرب النبيذ ، ثم ندب الى قتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى فى 50 ألفا ، وفيهم صناديد القواد فصار فى اتجاه يحيى وكتب الى صاحب الديلم وجعل له الف الف درهم على أن يسهل له خروج يحيى ، وحملت اليه بالفعل ، ولما وصل ذلك الى يحيى علم ان صاحب الديلم قد أسلمه فى مقابلة ما أخذه من الاموال ، وكان الفضل بن يحيى قائد الجند يكاتبه فى التنازل على الامان ، وأشار عليه، وبسط له الامل فلم يسع يحيى الا أن يختار طريق التنازل ، أو يسلم فى مقابلة ما أخذه صاحب الديلم على اسلامه ، وان الدائرة فى النهاية ستدور عليه ، فراى ان التنازل على الامان خير له ، والمصالحة على يد الفضل بن يحيى البرمكى أصوب له ، فاشترط أن يكتب الرشيد الامان بخطه ، فكتب الفضل بذلك الى الرشيد فسره وعظم موقعه عنده فكتب الامان وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ، وأجلة بنى هاشم ومشائخهم ثم وجهها الى الفضل مع

جوائز وكرامات ، وهدايا سنية عظيمة ، ثم وجه الفضل ذلك الى يحيى ابن عبد الله فقدم عليه بالامان والصلح ، ثم قدم به الى الرشيد ولما ورد الفضل بغداد لقيه الرشيد بكل ما طلب واحب ، وامر له بمال كثير ، واجرى عليه ارزاقا سنية ، وانزله منزلا بعد أن اقام بمنزل الفضل اياما ، وكان يتولى أمره بنفسه ، ولا يجعل ذلك الى غيره ، وامر الناس بزيارته بعد انتقاله من منزل يحيى البرمكى ، وبلغ الفضل الغاية من اكرام الرشيد لانجاح سياسته التى اراحته من حرب يحيى ، ولكن الامراء المستبدين يجعلون آذانهم صيدا لكل قول ، وتلك ثغرة فتحها أهل الاهواء للتوصل بها الى مرادهم ، وكثيرا ما يلعبون بالامراء ، وهم لا يشعرون ، ويحرمونهم خدمة الصالحين الصادقين فهؤلاء بطانة سوء لهم ، ومن وقى بطانة السوء فقد وقى فهم غير منفكين عن اظهار النصح لمن والوهم تحت كتمان الحقيقة ، وهم لا يزالون فى حبك التهم وتوجيهها الى أصحابها كى يتقربوا بها حتى ينالوا ما أرادوا ويصبحوا من المحظوظين عند من قدموا لهم تلك النصائح المسمومة الساذجة التى ذبحتها يراعتهم وحلتها بحلل القبول والاستحسان، فقد كان ابو الفضل يحيى بن خالد البرمكى هو القائم بأمر الرشيد أيام أخيه محمد المهدى وكان الرشيد يدعوه يا أبى ، وكانت أم الفضل ظئرا للرشيد وارضعت الخيزران أم الرشيد الفضل بن يحيى البرمكى حتى كان المامون يقول : لم يكن كيحيى بن خالد وولده الفضل احد فى الكفاية ، والبلاغة والجود والشجاعة ، وكان الفضل من أهل الورع ، والعقل والنجدة ، وترك الشراب مع الرشيد حتى انه كان يقول : قد علمت ان النبيذ ينقص من مروءتى فما شربته ، وانقطع عن الرشيد حتى كان أبوه ينهاه عن ترك الانس به ، فيترك أمر أبيه فيه ، ويقال انه كتب اليه حين أعيته الحيلة فيه ، انى انما أهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك وان كنت لاخشى أن تكون كالتى لاشوى لها . ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال على يحيى بن عبد الله الكامل ، وذهب ذلك الاكرام والاستنزال الحسن مع تلك العهود والامان فى مستقبل الزمان ادراج الرياح ، بعد ما تدخلت السعاة ورفعوا عن يحيى ما يريب ، وكان الرشيد يرتاب لادنى شىء ، فرموه بتهمة قاتلة ، وهى ان يحيى بن عبد الله لا يزال يدعو لنفسه ، وانما ينتظر الفرص ، وكان اكثر الناس سعاية فى ذلك بكار بن عبد الله الزبيرى ، وكان شديد البغض لآل أبى طالب وكان يبلغ عنهم الرشيد ويسىء بأخبارهم قصد الفتك بهم ، فكان من وراء تلك السعايات أن سجن الرشيد يحيى بن عبد الله الكامل بعد العهد والامان المكتوب بخطه ، وضيق عليه فى سجنه لكى يقتله ،



ولم يكن يمنعه الا أن يقول الناس فيه شيئا لما كتبه من كتاب الامان بيده ، فرجع الى العلماء حتى ياخذ رخصة تمكنه من قتله ، فأحضر أحد قضاته ، وهو أبو البحترى ، واحد الفقهاء وهو محمد بن الحسن الحنفى صاحب أبى يوسف ، فقال هذا ما تصنع بالامان ، وجعل يعد له وجوه النقض ثم رفعه الى درجة قاضى القضاة ، وقال له أنت أعلم بذلك فخرق الامان ، وكانت هناك يد أخرى تحرك هؤلاء السعاة من وراء جدار ، وهى يد الفضل بن الربيع لانه كان يحسد الفضل بن يحيى على المزلة التى نالها بحسن سياسته وأخلاقه ، عند الرشيد فى استنزال يحيى بن عبد الله بالامان وكان يحاول أن ينال مع الرشيد مركز البرامكة ، وفى بعض الايام اجتمعا عند الرشيد فنظر يحيى بن خالد البرمكى الى الفضل بن الربيع وقال له : هذا من آفاتك ، فجعل البرامكة يجتهدون فى تخليص يحيى بن عبد الله الكامل من ظلمه وقد جعل الفضل بن الربيع على جعفر بن يحيى عينا من خدمه وخاصته قال أبو محمد الزيدى وكان فيما قيل : أعلم الناس بأخبار القوم ، فقال : من قال : ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى البرمكى بغير سبب يحيى بن عبد الله الكامل فلا تصدقه ، وذلك ان الرشيد كان دفع يحيى بن عبد الله الى جعفر بن يحيى البرمكى فحبسه ثم دعا به ليلة من الليالى ، فسأله عن شىء من أمره فأجابه فدخلا فى حوار جدلى حتى قال يحيى بن عبد الله لجعفر : اتق الله فى أمرى ولا تتعرض أن يكون خصمك غدا محمد صلى الله عليه وسلم ، فو الله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق جعفر البرمكى عليه وقال له : اذهب حيثما شئت من بلاد الله ، قال : وكيف أذهب ولا آمن أن أوخذ بعد قليل ، فارد اليك أو الى غيرك ؟ فوجه معه من اداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من طرف العين التى كانت له عليه من خاصته ، فاستقصاه فوجده حقا ، وانكشف عنده فدخل على الرشيد فأخبره الخبر ، فأراه انه لا يعبأ بأوامره ، فقال الرشيد ، وما أنت وهذا ؟ لام لك ، فلعل ذلك عن أمرى فانكسر ابن الربيع وخاف على نفسه، فجاء جعفر ودعا بالغداء فأكلا ، وجعل يلقمه ويحادثه الى أن كان آخر ما دار بينهما ، أن قال الرشيد ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال هو بحاله يا أمير المومنين فى الحبس الضيق والاكبال ، قال : بحياتى فاحجم جعفر وكان من أدق الخلق ذهنا ، وأصحهم فكرا ، فهجس فى نفسه أنه قد علم بشىء من أمره ، فقال : لا ، وحياتك ياسيدى قد علمت انه لا حياة به ، ولا مكروه عنده ، فأطلقته ، قال : نعما فعلت ، ما عدوت ما كان فى نفسى ، فلما خرج أتبعه نظره حتى كاد يتوارى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله

بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك ، وهكذا كانت حياة القوم أخطر على الوزراء وكبار الدولة ، وكان سبب عدم نجاح يحيى بن عبد الله فى ثورته قربه من مركز الخلافة بغداد ، كما كان السبب فى نجاح أخيه ادريس بالمغرب بعده عن مركز الخلافة بغداد فى قيام دولته بالمغرب الاقصى

## ادريس بـــن عبد اللـــه الكامـــل فى المغـــرب

قد أدت محنة البيت العلوى صاحب النفوذ الروحى الى أمر لم يكن فى الحساب عند أبناء عمهم العباسيين ، وهو انهم قد استطاعوا الحصول على أوفر قسط من عطف الامة الاسلامية عليهم بسبب ما مر بهم أيام قيام الدولتين : الاموية ، والعباسية ، وما قدموه من ضحايا خلال قرن كامل حتى استطاعوا من خلال ذلك أن يؤثروا على الدولة العباسية العتيدة فى عنفوان شبابها ، وقد تبين ذلك من خلال حادثتين :

1 — جعفر البرمكى رق على يحيى بن عبد الله الكامل فمن عليه وأطلقه بدون أمر الرشيد ، وأمره ان يذهب حيث يشاء من بلاد الله بل رافقه رجلا ابلغه مأمنه ، وقد سبب ذلك ريبة فى قلب الرشيد من رجال دولته ، فجعل يشدد فى العقوبة على من يتهم بالميل اليهـــم ، والعطف عليهم ، ثم شدد فى التضييق على من بقى منهم بالمدينة ، وجاء بموسى الكاظم بن جعفر الصادق الى بغداد ليقيم تحت ولاية نظره .

2 — واضح الذى كان من موالى بنى العباس على بريد مصر فانه هو الذى سهل لادريس المرور بأرض مصر مع معرفته به ، وكان والى مصر وعاملها على بن سليمان الهاشمى .

## قصة فـــرار الامام ادريـــس الى المغـــرب

خرج الامام ادريس من مكة بعد أن افلت من وقعة فخ يوم التروية ، ثامن ذى الحجة الحرام سنة 169 هـ ، قاصدا بلاد المغرب الاقصى ، سرا خوفا على نفسه من موسى الهادى رابع الخلفاء العباسيين ، فاستصحب معه مولاه راشدا ولما وصلا الى مصر ، ومرا بدار حسنة اعجبهما حسنها فخرج اليهما رجل فسلم عليهما وبعد كلام دار بينهما كشف الحال انه واضح الذى كان على بريد مصر ، ثم استرسلا معه فى الكلام فسألاهما من هما ؟ ومن أين اتيا ؟ فخافا منه أن يصدقاه فى الجواب ، فعرض عليهما الضيافة فأضافهما ، وبعد أن استوثقا منه عرفاه من هما ومن أين اتيا ، فأعطاهما



الامان وطمأنهما على أنفسهما وأعلمهما بأنه من شيعة آل البيت الفاطمى ، وبعد أن ادخلهما منزله أقاما معه مدة فى اكرام ونعيم ، ثم وصل خبر الضيفين الى عامل البلد ، فاستدعى واضحا ، وأبلغه ما عنده من أمر الخليفة بأنه لا يترك أحدا من الغرباء يمر حتى يسأل عن حاله ، ويعلم صحة نسبه ، ومن أين قدم ؟ والى أين يسير ؟ ثم افاده بأنه يكره التعرض لآل البيت الفاطمى ، ثم قال له : أبلغهما عنى الامان ، واعلمهما بمقالتى لهما وقل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرها الى الخليفة الهادى ببغداد ، وقد أجلتكم فى الخروج ثلاثة أيام ، ثم أتى اليهما واضح ، فجهزهما ، واشترى لهما راحلتين ولنفسه أخرى ، وصنع لهما زادا يبلغهما الى افريقيا ، وقال لراشد أخرج أنت مع الرفقة ، على الجادة ، وأخرج أنا على طريق لا تسلكه الرفاق ، وموعدنا مدينة برقة ، ثم خرجا من مصر فى زى التجار حتى بلغا مدينة برقة ، وفيها لقيه برفيقه ، وودعهما بعد أن اشترى لهما زادا يبلغهما ، ثم رجع الى مصر فسارا حتى وصلا الى القيروان ، فأقاما بها مدة ثم خرجا منها ، فى اتجاههما الى المغرب الاقصا ، فغير راشد ما كانا عليه من الزى فى سفرهما فألبس الامام ادريس مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة ، وصيره كالخادم له يامره وينهاه ، حتى وصلا الى تلمسان ، فاستراحا بها أياما ، ثم ارتحلا عنها عبر وادى ملوية فدخلا بلاد السوس الادنى ثم سارا عبر شواطىء المحيط الاطلسى ، فشاهدا ما فى بلاد المغرب من خصب وخيرات ، فاستمرا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة طنجة ، وهى يومئذ قاعدة بلاد المغرب فأقاما بها أياما ، فلم يجدا بها اكراما ، ثم رجعا فى طريقهما حتى وصلا الى مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل ، فنزل الامام ادريس بها على صاحبها اسحاق ابن عبد المجيد الاوربى المعتزلى ، فأكرمه وبالغ فى اكرامه ، ثم عرفه ادريس بنفسه وبسره ، فوافقه على حاله ، فتولى خدمته والقيام بشؤونه ، وكان نزوله بها فى فاتح ربيع الاول بسنة 172 هجرية ، وبوصوله للمغرب ظهر جرح جديد فى جنب الدولة العباسية ، حيث اجترات أمة من الامم الاسلامية وهى أمة البربر بالمغرب الاقصا أن تخرج عن طاعتها معتقـــدة انها وجدت ضالتها المنشودة من بنى فاطمة الزهراء والذى كان العـــالم الاسلامى كله متطلعا الى خلافة بنى فاطمة دون أن يستطيع احد أن يحقق شيئا من ذلك ، طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظا أعلى من بين مختلف اقاليم المملكة الاسلامية الكبرى المترامية الاطراف من مدينة طاشقند فيما وراء نهر جيحون الى نهاية قشتالة من بلاد الاندلس فى اسبانيا غرب أوربا

فعلا صيت المغرب فى العالم الاسلامى داويا لانه عثر على رجل من آل البيت النبوى الشريف ، فأعلن انفصاله عن عاصمة بغداد حاضرة خلافة العالم الاسلامى فخاف الرشيد من المغاربة لانهم كانوا يعرفونهم أهل حرب وشدة من الفتح الاسلامى لما اشتهر من وصفهم بأنهم مثل موج البحر ، كلما بادت أمة خلفتها أخرى ، وهكذا بدون انقطاع ، فأتام الرشيد بافريقيا دولة الاغالبة ، وجعل مقرها القيروان كى تكون فاصلا بين عاصمة الخلافة والدولة الادريسية الجديدة ، كما يفعل من رأى حريقا شب بجزء من داره ، فاجتهد أن يفصل بين ما تناولته النار وبين سائر البيت وهذا ما استطاع أن يقوم به هارون الرشيد تلافيا لهذا الحادث الخطير .

## الامــام ادريس يقيم دولــة بالمغــرب

وبعد استقرار الضيف الكريم بأرض المغرب جعل اسحاق بن عبد المجيد الاوربى يستشير أعيان قبائل البربر فى الدعوة الى ادريس واقامــة دولة جديدة بالمغرب مستقلة عن حاضرة بغداد ، فاستحسنوا رأيه ، ثم جعل يدعو رؤساء البربر وأعيانهم للاجتماع الى دعوته ، فاجتمع عليه خلق كثير كلهم مسرورون بالدعوة للضيف الكبير وبعد أن تم الجمع بايعوه بالخلافة بمدينة وليلى ، وافق ذلك يوم الجمعة 14 رمضان المعظم ، سنة 172 هجرية ، على أن يقيم فيهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأول من بايعه قبائل مكناسة ، وغمارة ، ولماية ، ولواتة ، وصدراتة، وغياتة ، ونفزة من قبائل أوربة ، ثم زناتة ، ثم اصناف قبائل البربر ، منهم زواغة ، وزواوة ، ولما تم له الامر صار ينظم الجيوش ويجمع العدة الحربية، ثم خرج يفتح البلاد حتى وصل الى مدينة تلمسان ، وفى عزمه غزو افريقيا كلها ، فهال الامر هارون الرشيد فجعل يفكر فى أمره ، فأراد ان يرسل اليه جيشا لحربه ، ولكن خبراءه نصحوه بأن لا يفعل ، ولا يجوز أن يرتكب طريق الفشل ، معللين له ذلك ببعد المسافة عن حاضرة الخلافــة بغداد وحسنوا له أن يستخدم الغيلة ، فجعل يبحث عن متطوع كفء لذلك حتى يسهل عليه الانتقام من ادريس الخليفة المغربى المستقل ، فعثر على سليمان ابن جرير الشماخ ، وطلب منه أن يحتال فى قتل ادريس ، وزوده مالا وطرفا يستعين بها على مراده فتوجه الى المغرب وبعد وصوله اليه اظهر عداوته للعباسيين ، ففرح ادريس به ، وآواه وطلب اليه أن يقيم عنده ليتعاون معه ، وكان عالما ذكيا فصيحا أديبا ، فأصاب من قلب ادريس موقعا فرحب به



لانه كان فى أمس الحاجة الى امثاله ، ليعينوه على القيام بالمهمة ، التى أنيطت به ، ولما آنس من موقعه فى قلبه جعل يتحين الفرصة لتنفيذ رغبته ، فلم يجد له أحسن من الاختلاء به ، حين اتفق له يوما أن خرج مولاه راشد للاصطياد فاختلى به فسمه فى قارورة طيب اهداها اليه ، وقال لــه : يا مولاى هذا نوع من الطيب الجيد أتيت به معى من الشرق ، لا يصلح الا لك ، فلما شمه ادريس سقط من حينه مغشيا عليه فمات ، وفر سليمان ابن جرير ، متجها فى سبيله الى بلاد الشرق من حيث أتى ، ولما جاء مولاه راشد ووجده ميتا علم المكيدة ، ثم ركب فى الحين جوادا أعده لذلك ، وركب معه جماعة من شبان البربر ، ثم توجهوا فى طلبه ، قاصدين طريقه ، فأعيت بهم خيلهم وتبعه راشد وحده ، فلحق به فى وادى ملوية ، فتضاربا بالسيف فى وسط الوادى فأصابه راشد بجراح وقطع يده اليمنى ، ففر مثخنا بالجراح مقطوع اليد اليمنى ، وقد أخبر من رآه ببغداد ويده اليمنى مبطولة وبرأسه وجسده أثر الجراحات قد برئت ثم رجع راشد الى سيده ادريس الخليفة المرحوم ، فجهزه ودفنه هو ومن حضر معه من أعيان البربر بجنب مدينة وليلى ، ثم استدعى راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن سيده ادريس ، فأخبرهم ان الامام ادريس المرحوم لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة النفزية ، وهى فى الشهر السابع من حملها ، ثم قال لهم : فان رأيتم أن تصبروا حتى تضع الجارية حملها ، فان كان ذكرا ربيناه حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه ، وان كان جارية نظرتم لانفسكم مــن ترضونه وترونه أهلا لذلك ، فقالوا له : أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت ، فأنت عندنا عوضا من ادريس الرحوم تصلى بنا وتقوم بأمرنا وتحكم فينا بما يقتضيه الكتاب والسنة كما كان الامام ادريس رحمه الله ، حتى تضع الجارية حملها ، فان كان غلاما ربيناه وبايعناه ، وان كان جارية نظرنا فى أمرنا ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد فى الامر حتى اتمت الجارية اشهر حملها ، فوضعت غلاما شبيها بوالده ادريس المرحوم ، فدعا راشد أعيان البربر ورؤساءهم فأخرج اليهم الغلام قبل سابع الولادة ، فلما نظروا اليه ووجدوه شبيها بأبيه المرحوم اقترحوا أن يكون اسمه كأبيه ثم أجمع رايهم على أن يسموه باسم أبيه ، فسموه ادريس ، فهو ادريس الثانى بن ادريس الاول ، واسم أمه كنزة النفزية ، ونفزة قبيلة كبيرة من بلاد طرابلس وسكانها برابرة ، وقد استوطن منهم المغرب من بايعوا المولى ادريس ، وصاهروه منهم وقد تقدم أن نفزة من قبائل أوربة ، وأوربة من ولد أورب بن برنوس كان لها أيام الفتح الاسلامى

التقدم على سائر القبائل البربرية لكثرة عددها ، وقوة بأسها ، ومنها كسيلة، قاتل الصحابى الجليل عقبة بن نافع بأرض تلمسان من عمالة الجزائر اليوم، وقبره هناك رضى الله عنه مزارة مشهورة ، وكان وضع ادريس الثانى صبيحة يوم الاثنين 3 رجب سنة 177 هجرية من السنة التى مات فيها أبوه رحمه الله ، وكانت خلافته بالمغرب 4 أعوام و 7 أشهر ثم أقام راشد على كفالة ادريس الثانى بأمر من رؤساء البربر وأعيانهم الى أن بلغ مبلغ الشباب ، وظهرت نجابته وهو ابن 8 أعوام ، حفظ فيها القرآن ، وعلمه الفقه والسنة والادب والنحو والشعر وأمثال العرب وحكمها ، وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ، ورباه على ركوب الخيل ، وعلمه الفروسية والرمى بالسهام كما علمه مكايد الحروب وبعد أن أخذ تعليمه من ذلك كله ، وكملت له من السنين 11 سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل البربر بالمغرب فبويع له بجامع مدينة وليلى ، وكان ذلك يوم الجمعة 17 ربيع الاول سنة 188 هجرية قاله البكرى والبرنوسى : استعجل راشد بذلك لما راى على المولى ادريس الثانى من النبل والذكاء والعقل والعلم ما جعله جديرا بذلك ، وقد ظهر عليه من الفصاحة والبلاغة واصابة مواقع الكلام ونضج الذوق ما أذهل عقول الخاصة والعامة ، وبعد أن اخذ له البيعة صعد على المنبر وخطب الناس فى ذلك اليوم فقال :

الحمد لله احمده وأستعين به ، وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به من شر نفسى وشر كل ذى شر ، وأشهد أن لا الاه الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أيها الناس ، انا قد ولينا هذا الامر الذى يضاعف فيه للمحسن الاجر ، ويضاعف للمسىء فيه الوزر ، ونحن — والحمد لله — على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ، ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب الناس من نبله وفصاحة لسانه ، وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه ، ثم نزل عن المنبر فتسارع الناس الى اتمام بيعته ، وازدحموا عليه مقبلين يديه ورجليه ، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة ، وأوربة ، وصنهاجة ، وغمارة ، وسائر قبائل البربر ، وتم له بذلك البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفى مولاه راشد والله أعلم . وإياك أن تنسى يقظة العباسيين



واقامتهم دولة الاغالبة بافريقيا ، فاستغلوا فرصة قرب بهلول بن عبد الواحد من الامام ادريس الثانى فأرادوا أن يعيدوا الكرة عليه مثل التى صنعوا بأبيه ، فجعله ادريس من خاصته لانه كان رئيسا معظما فى قومه ، فكاتبه ابن الاغلب عامل الرشيد على افريقيا ، واستماله اليه بالمال فمال اليه ، وبايع لهارون الرشيد ، فأحس به الامام ادريس فقال فى ذلك :

أبهلـول قد سمتت نفسك خطـة | تبدلت منهـا صـولـة برشـاد
أظلك ابراهيـم مـن بعـد داره | فأصبحت منقادا بغيـر قيـاد
كأنك لم تسمـع بمكـر ابن أغلب | غدا آخذا بالسيـف كـل بـلاد
ومـن دون ما منتك نفسك خاليا | ومنـك ابراهيـم شـوك قتـاد

فدس ابن الاغلب من أبلغ الى بهلول بن عبد الواحد أموالا كثيرة ، وقد كان ذلك لما عزم راشد على أخذ البيعة لادريس ، وكان له من العمر 11 سنة ، و 5 أشهر ، فأخذ بهلول المال ، وقتل راشدا ، وقد تم لـه ذلك سنة 188 هجرية ، فقام بأمر ادريس بعده ابو خالد يزيد بن الياس العبدى ، وفى رواية أخرى هو الذى أخذ البيعة لادريس الثانى بعد موت راشد بـ 20 يوما ، يقول عامل افريقيا فيما كتب به الى الخليفة ببغداد : بعد نجاح المكيدة الثانية يعرفه بخدمته ونصيحته :

الم ترنى بالكيـد أرديت راشـدا | وانـى بأخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمـى علـى بعـد داره | بمحتـومـة قد هيأتها المكـايـد
فتاه أخـو عك بمقتـل راشـد | وقد كنت فيه شاهدا وهو واقـد

وابن عك هو منافسه فى عمالة افريقيا محمد بن مقاتل العكـى ، سبقه بالكتاب الى الرشيد يعمله بأن قتل راشد مولى ادريس هو من صنعه وتدبيره ، وكتب صاحب البريد الى هارون الرشيد بكذب العكى ، فعزل عن افريقيا ، وكان الذى دس لقتل راشد هو ابراهيم بن الاغلب ، فصدق وكذب العكى وفى ذلك قيل :

فلو كنت ذا عقل فقل لابـن اغلب | فلا تحد من هارون تقتل راشـدا
دثرت طريق الحق ويلك حـاسدا | وأنت على بعـد ولا شك حايـدا
أيا راشدا والله لا زلت راشـدا | لقد طال ما قد كنت للـه ساجـدا
خديـم لاهل البيت ما دمت ناصحا | وقمت قيـاما ياقظـا ومشاهـدا
فكنت تقى ادريس فى كـل شـدة | بنفسك مـن لص ومن كان حاسدا
زمانا طويلا فى أمـور شظيظـة | مع الاب ثم النجل معـه شدائـدا
فما صحبت نفس ومـا ملكت يـد | كمثلك راشـد لمن كـان راشـدا

شرقت فى أرض الغرب شمسا منيرة | وادريس فلك السيران كان راصدا
فعرف بأن الرشد منه اشتقاقــه | دليـل لاهـل العلم فيـه معاهدا
جزاك الاه العرش خيـر جزائــه | وأسكنك الفـردوس ما دمت خالدا

وبعد أن تمت البيعة لادريس الثانى ثبتت الخلافة الحسنية بالمغرب الاقصا على رغم الرشيد وعملائه ، وبذلك قد بطل ما بذل هو وأعوانــه على ابطـالهـا ٠

وفى سنة 193 هجرية توفى هارون الرشيد 3 جمادى الاخيرة ، موافق 24 مارس سنة 808 ميلادية ، وكانت مدته ثلاثة وعشرين سنة وشهرين ، وكان سنه 48 سنة ، وكان يعاصره فى الاندلس عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموى الملقب بالصقر ، وهو المعروف بعبد الرحمن الداخل ، وكانت مدته من 138 — 172 ثم جاء بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن من 172 — 180 ه ثم الحكم بن هشام من 180 — 206 ه ولم يبق الخطر على دولة هارون الرشيد قاصرا على المغرب ، بل تعداه الى غرب اوربا ، فقد اقتطع منها قطر الاندلس عبد الرحمن الداخل وبنى فيه دولة أخرى للامويين على رغم أنف العباسيين ، وليس خطـر المغرب وغرب أوربا ، بأقل خطرا من خطر المشرق فيما وراء نهر جيحون ، فقد حصل ما يوذن بخطر مستقبل من جراء والى خراسان ، وهكذا احاط الخطر بدولتهم بسبب مكرهم وتعسفاتهم حتى من رجال دولتهم والامـر لـلـه سبحـانــه ٠

## البيعــة وولايــة العهــد

اقتضى الحال شرح البيعة وولاية العهد ، وان كان ذكرها استطراديا لان الكتاب له مساس بالاحـوال التاريخية ، ولذلك كـان لا مندوحة عن العرض لها من الوجهة الاسلامية ٠ والناس فى أمرهم يفعلون ما يشاءون ، فالبيعة مأخوذة من البيع ، وهو التعاقد بين الطرفين اللذان هما البائـع والمشترى ، فانهما كانا يتصافحان بالايدى عند الرضى بالثمن فيفترقـان على ذلك ، وقد تم عقد البيع بينهما ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يفزع اليها عند الشعور بالوقوع فى خطر داهم ، كما وقعفى خطر الحديبية،فانه عندما شعر بأن الخطر داهمه دعا أصحابه وقال لهم : من يبايعنى على الموت، ومديده الكريمة وقال : هذه يدى ومعها يد عثمان ، وقد ضرب عليها كل من كان معه وكان عددهم 1500 من المهاجرين والانصار ، ووقعت هـذه



المبايعة بالقرب من مكة تحت شجرة فسميت بشجرة الرضوان ، ومع مرور الزمن جعل الناس يزورونها ويتبركون بها ، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بقطعها ، وكانت هذه البيعة أصلا للبيعة فى الاسلام ٠ لان خليفة الحق منها كان يستمد قوته ، وكانوا يرون الوفاء بها من الزم ما يوجبه الدين على كل مسلم ، وكان عقدها يتم من طرف أهل الحل والعقد بين جمهور المسلمين ، لان الاصل فى انتخاب الخليفة رضى الامة وبهذا أخذ المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول من انتخب برضى الامة فى الاسلام أبو بكر الصديق ، اعتمادا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رشحه لها بأمره بالنيابة عنه فى الصلاة فى مرضه الذى مات فيه ، وقالوا : لقد رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ فاجتمعت كلمة الصحابة له ، وتم بذلك انتخابه للخلافة الاسلامية ، فبايعوه بها ، اى عاهدوه على السمع والطاعة فيما فيه رضى الله ورسوله ، وعهد هو اليهم أن يحكم فيهم بمقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا التعاقد بين الخليفة والامة ، هو معنى البيعة تشبيها له بما ينعقد بين البائع والمشترى ، وأما ولاية العهد فهى ترشيح الخليفة من رءاه كفؤا لتحمل أعباء الخلافة ، وهى سنة ابى بكر قد رشح لها من رءاه كفئا من غير عشيرته ، وهو أمير المومنين عمر بن الخطاب ، فاختاره لها أهل الحل والعقد وجمهور الصحابة واتبع هو فيها سنة أبى بكر ، ولمـا راى كثرة الاكفاء من غير عشيرته جعلها شورى بين ستة تعينها القرعة ، فكانت من نصيب الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وهذا لم يرشح لها احدا لانه مات مغصوبا مظلوما ، فتولاها الخليفة على بن أبى طالب بترشيح الامة واختيار أهل الحل والعقد من كبار الصحابة ، فتمت بيعته بعد ذلك ، وهو لم يرشح لها احدا وتركها لاختيار الامة ، فرشحت لها الامام الحسن ، وانعقدت له البيعة باختيار أهل الحل والعقد وجمهور الصحابة والتابعين وتمت خلافته بالتنازل لمعاوية بن أبى سفيان فجعلها هذا الاخير هرقلية كما تقدم ، فكان ذلك من جملة الاسباب التى عاقته عن أن يدخل فى عداد الخلفاء الراشدين ، وتبعه على ذلك الخلفاء العباسيون فكانت ولاية العهد من جملة الاسباب التى زعزعت ركن دولتهم ولم يعتبروا بمن مضى فجلبوا على أنفسهم من الشرور والفتن ما كان السبب فى تقويض دولتهم ، قال الله تعالى : قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » والدوام والبقاء لله وحده ٠ وبالخلافة الحسنية فى المغرب ، والخلافة الاموية فى

الاندلس تم خروج اقليمين عظيمين من الولاية العباسية الواسعة الاطراف ، ثم بعد ذلك ظهرت دولة الحسن بن زيد بطبرستان سنة 250 — 355 هـ ، وظهرت دولة الفاطميين بافريقيا ، فاستولوا عليها ، وعلى الجزائر والمغرب الاقصا ، ثم مدوا سلطانهم على مصر وسوريا والحجاز ، واليمن وشواطىء الفرات ، وكادت نارهم تلفح وجه الدولة العباسية ، وقد اتخذ احد الثوار العراقيين هذه الدعوة ذريعة الى التمكن من الامر ، وخطب للعلويين سنة كاملة على منابر بغداد ، ولما رأى العباسيون انهم عاجزون عن دفع هذا العدو اللدود عنهم لجأوا الى ما ظنوا أنه يفيدهم ، وهو آخر سلاح بأيهم وهو الطعن فى نسبهم ، فكتبوا محضرا بذلك فى بغداد ، ودعوا العلماء والفقهاء والقضاة لتوقيعه ، وكذلك دعوا من كان تحت نظرهم ومراقبتهم من كبار بنى هاشم ، وقالوا ان نسب العبيديين بمصر غير صحيح ، وانهم ادعياء ملعونون ولما وصل ذلك الى نقيب الطالبيين ببغداد الشريف الرضى قـال فيهـم :

مـا مقامى على الهوان وعنـدى ... مقـــول صــارم وانـف حمـى
وابـاء محلق بـى عن الضيـــ ... ـــم كمـا زاغ طـائـر وحشـى
اى عـذر لــه الى المجد ان ذ ... ل فـى غمـده المشـرفـى
البس الـذل فى ديـار الاعـادى ... وبمصـر الخليفـة العلـوى
مـن ابـوه ابى ومـولاه مـولا ... ى اذا ضامنـى البعـد القصـى
لف عرقـى بعرقـه سيـد النـا ... س جميعـا محمـد وعلـى
ان ذلـى بـذلك الجـو عـز ... واو امـى بـذلك النقـع رى
قـد يـذل العزيز ما لم يشمـر ... لانطـلاق وقـد يضـام الابـى
ان شرا علـى اسراع عـزمـى ... فى طـلاب العلا وعزمـى بطـى
ارتضى بالاذى ولـم يقـف العـز ... م قصـورا ولم تعـز المطـى
كالـذى يخبط الظلام وقد أقمـ ... ـر مـن خلفـه النهـار المضى

ولما عتب الخليفة القادر بالله على والده انكرها ، ولم يثبتها فى ديوانه وهى مشهورة عنه ومن طراز شعره ، ولم تفدهم محاولاتهم هذه شيئا فى رتق الفتق واطفاء نار الفتن المشتعلة فى ولايتهم ، ومما زاد النـار اشتعالا ، والفتن اتساعا ان بنى بويه الذين استولوا على بغداد فى منتصف القرن الرابع كانوا شيعة لآل على ، فأباحوا للشيعة الظهور فى بغداد بما يشتهون من البدع والعادات التى كانوا ياتونها يوم عاشوراء ، فقد كانوا يجعلونه يوم حزن يخرج فيه النساء حاسرات نادبات لاطمات ينعين الحسين



شهيد كربلاء رضى الله عنه ، وصار الناس يتقربون الى السلطان بالتشيع ، ولما جاء المامون بن هارون الرشيد ، ورأى الخطر محدقا بدولته ، سلك مع العلويين غير سياسة أبيه لما رأى من عطف رجال الدولة وانصار الدعوة على العلويين والميل اليهم وكراهة ما نالهم على أيديهم ، واظهروا مزيد الشفقة عليهم من أن يلحقهم مثل ذلك ، فغير سياسة الشدة معهم وتقرب اليهم ببعض ما يحبون ، مما يرضى رغبة العاطفين والمائلين ، حتى يكسر من حدتهم ويخفف من عملهم وشيعتهم ضد الدولة ، فاختار لقربه منهم الشريف على الرضى بن موسى الكاظم الحسينى الذى يتولاه أكثر الشيعة ، فقربه اليه وولاه عهده ، وزوجه ابنته ، وقد فعل ذلك ارضاء لوزيره الحسن ابن سهل لانه كان احد شيعة آل على ، واحد رجال نعمة المامون فى سوق الخلافة اليه بعد تنحية اخيه الامين عنها ، وبقدر ما ارضى المامون بهذه السياسة الجانب العلوى ومن تبعهم من الشيعة ، اغضب رجال عصبيته من العباسيين فثاروا ضده ببغداد ، وخلعوه ، واختاروا من بينهم عمه ابراهيم ابن المهدى فلم يجد امامه ما يلئم به هذا الصدع الخطير ، الا أن يحتال أولا فى التخلص من وزيره الحسن بن سهل ، فبعث اليه من تناولوه بأسيافهم ، ثم تخلص ثانيا من صهره وولى عهده على الرضى فسمه وقتله ، وهناك قرائن قوية تدل على ذلك ، ثم رجعت الامور الى مجراها فرجعت اليـه عصبية ابناء عمه العباسيين ، وانحرفوا عن عمه ابراهيم بن المهدى ولكن المامون ظل متمسكا بعد ذلك بعطفه على العلويين وشيعتهم ، والولاء لعلى ابن أبى طالب معلنا ذلك فى كلامه وفى خطبـه وكتبه ، حتى اذا رأى منهم ما يبعث على الريبة والخروج عليه جعل يلاطفهم ، ولكن الى متى تظل سياسة الملاطفة والمجاملة ؟ مع الخـوف مـن اغضاب عصبيتـه عليـه ، فلم يسعه مع ذلك الا أن يغير سياسته معهم ويرجع الى سياسة ابيه فى الاحتياط والحذر منهم ، وأمر أن لا يدخلوا عليه بعد أن ثار عليه بعضهم باليمن ، فرأى أن يؤسس دولة باليمن ، شبيهة بدولة الاغالبة بافريقيا وهى الدولة الزيادية ، والغرض منها قطع الطريق على من باليمن من العلويين وشيعتهم حتى لا يخرجوا عليه مرة أخرى ، ثم سلك سياسة الحجر مع أئمة الشيعة فأماطهم على مراى ومسمع من اعينهم ببغداد ، وفى سامرا بعد اختطاطها .

## سرد ترتيب الخلفـاء العباسيين

ولتمام الفائدة رايت سرد من تولى الخلافة من العباسيين علـى الترتيب مصحوبا بتاريخ البدء والنهاية لكل واحد منهم مع تطور العصور التى مروا بها ، الى أن خرجت الخلافة من أيديهم الى بنى أيوب من الاكراد

والاتراك : وتلك الايام نداولها بين الناس » ٠

1) فأولهم : عبد الله أبو العباس الذى لقب نفسه « السفاح » ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع بالخلافة يوم الخميس 13 ربيع الاول سنة 132 هـ ٠

2) أخوه عبد الله أبو جعفر الملقب المنصور تولى الخلافة سنة 136 هجرية ٠

3) ابنه محمد المهدى تولى الخلافة بعد أبيه سنة 158 هجرية ٠

4) موسى الهادى بن محمد المهدى بويع بالخلافة سنة 169 هجرية — 785 ميلادية ٠

5) هارون الرشيد بن محمد المهدى أخوه بويع بالخلافة سنة 170 هجرية — 786 ميلادية ٠

6) محمد الامين بن هارون الرشيد بويع بالخلافة سنة 193 هجرية — 808 ميلادية ٠

7) عبد الله المامون بن هارون الرشيد بويع بالخلافة يوم خلع أخوه محمد الامين سنة 198 هجرية — 813 ميلادية ٠

8) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بويع بالخلافة سنة 218 هجرية — 833 ميلادية ٠

9) هارون الواثق بالله بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 227 هجرية — 842 ميلادية ٠

10) جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله بويع بالخلافة سنة 232 هجرية — 847 ميلادية ٠

11) محمد المنتصر بن المتوكل بايعه قواد الاتراك سنة 247 هجرية — 861 ميلادية ٠

12) أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بالله بويع بالخلافة سنة 248 هجرية — 862 ميلادية ٠

13) المعتز بالله بن المتوكل بويع بالخلافة سنة 252 هجرية — 866 ميلادية ٠

14) محمد المهتدى بالله بن الواثق بالله بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 255 هجرية — 869 ميلادية ٠



15) أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بويع بالخلافة سنة 256 هجرية — 870 ميلادية ٠

16) أحمد المعتضد بالله بن أبى طلحة الموفق بن المتوكل بويع بالخلافة سنة 279 هجرية — 892 ميلادية ٠

17) على المكتفى بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويع بالخلافة سنة 289 هجرية — 902 ميلادية ٠

18) جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويع بالخلافة سنة 295 هجرية — 908 ميلادية ٠

19) محمد القاهر بالله بن المعتضد بن أبى طلحة الموفق بويع بالخلافة سنة 320 هجرية — 933 ميلادية ٠

20) أحمد الراضى بالله بن المقتدر بن أبى طلحة الموفق بويع بالخلافة سنة 322 هجرية — 935 ميلادية ٠

21) ابراهيم المتقى الله بن أحمد بن المعتمد بن المتوكل على الله بويع بالخلافة سنة 329 هجرية — 942 ميلادية ٠

ثم جاءت الخلافة الصورية تحت سلطان آل بويه الديلميين ٠

22) عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى بن المعتضد بويع بالخلافة سنة 334 هجرية وظلت هذه الخلافة الصورية من هذا التاريخ الى سنة 447 هجرية تداولها 5 خلفاء فى مدة تقدر بـ 113 سنة أولهم المستكفى ثم المطيع ، ثم الطائع ، ثم القادر ، ثم القائم ، كلهم يستمدون السلطة والنفوذ من آل بويه الديلميين ، وتسمى بلادهم جيلان والديلم ، وتقع غربى شاطىء بحر الخزر سهلها لجيلان ، وجبالها للديلم ، وقصبتها روزبار ، كانت فى القديم تابعة لحكم فارس ، الا أن أهلها لم يكونوا من عنصر فارسى، بل كانوا أهل عنصر يمتازون على غيرهم بخلال الجودة والهمة الرفيعة العظيمة ، ولذلك سموا الديالمة أو الجيلانية ، وكانت بلادهم مما فتحه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واستمروا خاضعين للنفوذ الاسلامى مع بقائهم على وثنيتهم ، ولم يؤثر عليهم النفوذ الاسلامى فى تحويل مجتمعهم الجاهلى ، كما لم يفقدهم جنسيتهم ، وكانت تجاورهم أقاليم طبرستان التى قامت فيها الدولة العلوية المسماة بالدولة الزيدية التى تقدمت الاشارة اليها سابقا ، وكانت عاصمتها مدينة آمل وكان جل أهلها يدينون بالاسلام ، ويتشيعون لبيت آل على كرم الله وجهه ٠

23) الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله بويع بالخلافة سنة 335 هجرية — 947 ميلادية · وكان النفوذ فى حياته لمعز الدولة من آل بويه ، ومما أحدثه فى الاسلام سنة 352 هـ أن أمر باغلاق الدكاكين ، وابطال الاسواق ، وترك البيع والشراء فى يوم « عاشوراء » عاشر المحرم وجعله يوم حزن على الامام الحسين شهيد كربلاء من كل سنة، وأباح للنساء فيه أن يظهرن النياحة ، وأن يخرجن حاسرات الى الشوارع ، ناشرات الشعور مسودات الوجوه ، قد شققن ثيابهن متجولات فى الشوارع، مولولات نائحات لاطمات خدودهن باكيات على الامام الحسين ، ولم يكن لاهل السنة والجماعة قدرة على منعهن لكثرة الشيعة وتأييدها من طرف السلطة الحاكمة ، كما أحدثت لهم ذكرى أخرى فى يوم 18 حجة ، وجعلها يوم عيد للفرحة والسرور ، احياء لذكرى « غد يرخم » احتفالا به ، وأمر باظهار الزينة فى البلد ، وايقاد الشموع والنيران ليلا بمجلس الشرطة مع اظهار كل نوع من أنواع الفرح ، وتفتح الاسواق ليلا ، كما هو الشأن فى ليالى الاعياد ، وضرب الدفوف والابواق ، وان يكون اليوم يوما مشهودا· وسبب هذه الذكرى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بموضع غد يرخم ، من أنه قال فيه : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه · وما انه الا قد امتحن الله المسلمين بخروجها من يداهلها « قريش » فعم عليهم سلطان عدوهم من الروم ، واكتسح البلاد شرهم ، فقتلوا وحرقوا ، وسبوا ونهبوا ، ولم يستطع أحد أن يقف فى وجوههم فى ظرف ثلاث سنوات ، من 358 — 361 هجرية أغار ملك الروم فيها على الدهى ونواحيها ، وهى مدينة تقرب من نهر الفرات ، فهرب أهلها عنها ، وساروا فى الجزيرة بين الدجلة والفرات حتى وصلوا الى نصيبين ، فنهبوا وسلبوا وحرقوا وخربوا البلاد ، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر بن وائل ، ولم يظهر من أبى تغلب حاكم الموصل فى ذلك العهد حركة ولا سعى فى دفع ذلك الخطر عن البلاد ، لانه خاف على نفسه فدفعهم عنه بالاموال التى حملها اليهم فلم يتصدوه فتحركت جماعات من أهل تلك البلاد فساروا الى بغداد مستنصرين ومستنجدين بمن فيها ، فأقاموا فى المساجد والمشاهيد يستنفرون المسلمين ذاكرين لهم ما فعله الروم الغازون لبلادهم من القتل والنهب والسلب والاسر ، فاستعظم ذلك الناس وخافوا من انفتاح الطريق اليهم ، وطمع الروم فيهم ، ولم يروا من يمنعهم منهم ، فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخلافة وأرادوا الهجوم عليها فمنعوا من ذلك بغلق الابواب فى وجوههم ، وكان والى البلاد باختيار يصطاد بنواحى الكوفة



فخرج اليه وجوه أهل بغداد منكرين ومستغيثين وناقمين عليه انشغاله بالصيد وقتاله عمران بن شاهين صاحب البطيحة ، وهو مسلم ، وترك جهاد الروم ومنعهم وردهم عن بلاد الاسلام ، لانهم قد عثوا فيها فسادا ، وأهلكوا الحرث والنسل ، حتى توغلوا فى معظم البلاد الاسلامية فوعدهم التجهز للغزو وأرسل الحاجب سبكتكين وأمره بالتجهز للقتال ، واستنفار العامة ، فاجتمع اليه عدد كثير ، فكتب باختيار الى أبى تغلب بن حمدان صاحب الموصل يامره باعداد الميرة والعلوفات ، ويعلمه بعزمه على قتال الروم الغازين للبلاد الاسلامية ، فأجابه باظهار السرور واعداد ما طلب منه ، ثم انفذ باختيار عامل بغداد الاستبدادى الى الخليفة الصورى ( المطيع لله ) يطلب منه مالا ، فقال له : ان الغزو والنفقة عليه وعلى غيره من المسلمين ، فمتى كانت مصالحهم تلزمنى ؟ فان كانت الدنيا فى يدى والاموال تجبى الى كنت أكفيك ما طلبت الى ، وأما اذا كانت حالى ما أنا عليه ، فليس يلزمنى شىء من ذلك ، وانما يلزم من كانت البلاد فى يده والاموال تجبى اليه ، وأما أنا فلم يبق فى يدى الا الخطبة ، فان شئتم أن أعتزل فعلت ، ثم ترددت الرسائل بينهما الى أن وصل الحال الى تهديد الخليفة ، فبذل الخليفة المطيع لله اربعمائة الف درهم ، احتاج فيها الى بيع ثيابه وأثاث داره ، وشاع بين أهل العراق ان الخليفة صودر ، وشاع ذلك فى خراسان وغيرها من بلاد الاسلام ، فلما قبض عامل بغداد باختيار المال صرفه فى مصالحه وبطل حديث الغزو هكذا صارت الخلافة فى يد المطيع لله ، فعلى من تكون اللائمة يا ترى ؟ وفى ذلك العهد استرد الروم جميع الثغور الاسلامية الكبرى ، وصار أهل الشام واهل الجزيرة من المسلمين يهابونهم وبنو بويه وبنو حمدان يجاوب بعضهم بعضا ، وهم عما نابهم من عدوهم مشغولون وفى خوضهم يلعبون ، وفى سنة 361 هجرية استولى عامل الخلفاء الفاطميين جوهر الصقلى بعد رجوعه من المغرب على مصر وصارت تابعة لافريقيا ثم بعده معد الفاطمى ·

24) عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر بالله ، بويع بالخلافة سنة 363 هجرية — 974 ميلادية ·

25) أحمد القادر بالله بن اسحاق المقتدر بالله بويع بالخلافة سنة 381 هجرية — 984 ميلادية ·

26) عبد الله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن اسحاق بويع بالخلافة سنة 422 هجرية — 1031 ميلادية ·

27) عبد الله المقتدى بأمر الله بن الذخيرة بن القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 467 هجرية — 1077 ميلادية ·

28) أحمد المستظهر بالله بن محمد القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 487 هجرية — 1121 ميلادية ·

29) الفضل المسترشد بالله بن محمد القائم بأمر الله بويع بالخلافة سنة 512 هجرية — 1166 ميلادية ·

30) المنصور الراشد بالله بن المسترشد بالله ، بويع بالخلافة سنة 530 هجرية 1136 ميلادية ·

31) يوسف المستنجد بالله بن المقتفى لامر الله ، بويع بالخلافة سنة 555 هجرية — 1160 ميلادية ·

32) الحسن المستضىء بالله بن المستنجد بالله ، بويع بالخلافة سنة 566 هجرية — 1171 ميلادية ·

33) أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء بالله ، بويع بالخلافة سنة 575 هجرية — 1181 ميلادية ·

34) محمد الظاهر بأمر الله الناصر لدين الله ، بويع بالخلافة سنة 622 هجرية — 1225 ميلادية ·

35) المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بالله ، بويع بالخلافة سنة 623 هجرية — 1226 ميلادية ·

36) عبد الله المعتصم بالله بن المنتصر بالله ، بويع بالخلافة سنة 640 هجرية — 1242 ميلادية ·

وفى هذا العمود 36 خليفة ، أولهم أبو العباس السفاح ، وآخرهم المعتصم بالله ، المتوفى بين يدى هلاكوخان التترى فى حرب التتار للعالم الاسلامى ، توفى فى 20 محرم سنة 656 هجرية — 27 يناير سنة 1258 م ، والدوام والبقاء لله ، وبموته طفىء سراج البيت العباسى فى الشرق والغرب وكانت أيامهم 524 سنة قمرية : ولله الامر من قبل ومن بعد » ما هو مصير بغداد بعد سقوط الخلافة الاسلامية الكبرى ؟ فقد كان من الطبيعى أن يجرى عليها ما جرى على سواها من أمهات المدن الاسلامية الكبرى بعد قتل معظم أهلها ، ولم يبق المغول الا جماعة من الشيعة ، ومن كان على دين النصرانية ثم سكن بغداد أشتات واخلاط تجمعوا اليها من شتى الاقطار المختلفة الذين زحفوا اليها مع هولاكوخان ، واصطبغت حاضرة الخلافة



الاسلامية بصبغة دولة لا تعرف للدين اسما ولا معنى بعد أن كانت شمسا للدين والعلم تمد العالم الاسلامى بشعاعها الوهاج ، ثم ما هو مصير ولايتها الشاسعة الاطراف ؟ من وراء نهر جيحون شرقا الى بلاد الاندلس فى غرب أوربا غربا ، فقد كان مصيرها بعد سقوط الخلافة العباسية أن انقسمت على نفسها الى 13 ولاية مستقلة بعضها عن بعض ·

1) دولة بنى نصر ، والقائم بالامر فيها مؤسسها محمد الغالب بالله ابن يوسف بن نصر وعاصمتها « قرطبة » من سنة 629 — 671 هجرية ·

2) دولة الموحدين بشمال افريقيا بالمغرب الاقصا ، والقائم بالامر فيها ، أبو حفص عمر المرتضى بن اسحاق بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المومن ، وعاصمتها « مراكش » من سنة 646 — 665 هجرية ·

3) الدولة الزيانية بالجزائر ، والقائم بالامر فيها يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة ، وعاصمتها « الجزائر » من سنة 633 — 681 هجرية ·

4) الدولة الحفصية بتونس والقائم بالامر فيها أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبـى حفـص ، وعاصمتها « القيروان » من سنة 647 — 675 هجرية ·

5) قيام دولة جديدة بالمغرب الاقصا للمرينيين ، والقائم بالامر فيها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى ، وعاصمتها « مراكش » وكان قيامهم بتاريخ 620 هجرية — 912 هجرية ، أيضا ·

6) دولة المماليك البحرية بمصر ، والقائم بالامر فيها المنصـور نور الدين على بن المعز عز الدين ابيك ، وعاصمتها « القاهرة » من سنة 655 — 675 هجريـة ·

7) الدولة الرسولية باليمن ، والقائم بالامر فيها المظفر بالله بن يوسف بن المنصور بالله عمر بن على بن رسول ، وعاصمتها « صنعاء » وقام بها من أئمة الزيدية المتوكل شمس الدين أحمد ·

8) وحاز الاول شطرا من اليمن من سنة 647 — 674 هجرية ، والثانى من سنة 656 — 680 هجرية ·

9) قيلج أرسلان الرابع ركن الدين من السلاجقة بتركيا من بلاد الروم من سنة 655 — 666 هجرية ·

10) نجم الدين غازى السعيد من الدولة الارتقية بماردين من سنة 637 — 658 هجرية ·

11) أبو بكر بن سعيد بن زنكى بن مودود من الاتابكية السلغرية بفارس من سنة 623 — 658 هجرية ٠

12) الهزار سبية دكلا بن هزار سب من الاتابكية بلورستان من سنة 650 — 657 هجرية ٠

13) قتلغ خاتون من دولة قتلغ خان بكرمان من سنة 655 — 681 هجرية ٠

## ملخص دولة العباسيين

تولى العباسيون الخلافة الاسلامية سنة 132 هجرية ، من لدن بويع لاولهم عبد الله أبى العاس السفاح بالكوفة ، واستمرت خلافتهم الى سنة 656 هجرية وانتهت بسقوط عبد الله المعتصم بالله بين يدى هلاكوخان المغولى من أعقاب جنكيز خان ، موحد التتر الذى ثار على بلاد الاسلام ، وكانت هذه الثورة أعظم محنة مرت بأرض الاسلام لشمولها لاكثر الاقطار الاسلامية الا مصر ، وافتتحت الدولة العباسية شعارها بالرايات السوداء من بلاد المشرق الى أن تمكنت من الاستيلاء على جميع بلاد الاسلام وبانتهاء أجلها ظهرت رايات التتر ، من مشرق بلاد التركستان ، فثلت عرشهم ومحت اسمه من بغداد زهرة العالم الاسلامى فى المشرق وجنته الدنوية ، فمن المشرق أشرق كوكب سعدهم ، ومنه بزغ نجم نحسهم ، استمرت خلافتهم 524 سنة هجرية استخلف منهم فيها 37 خليفة ، فمتوسط الخلافة منهم نحو 14 سنة ، واكبر مدة قام فيها خليفة عباسى 46 سنة ، واقلها سنة فما دونها ٠

## ميزان القوة فيها

مكثت الدولة العباسية 100 سنة لخلفائها الكلمة العليا ، والسيادة الفعلية التامة على العالم الاسلامى ، ما عدا المغربين مغرب افريقيا ومغرب أوربا ، يقولون فيسمع قولهم ، ويأمرون فيأتمر الناس بأمرهم ، ولا يستطيع احد أن يجسر على مخالفتهم من صنائعهم من الاجناد غير منافسيهم فى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الخوارج الذين خرجوا على رأى على بن أبى طالب ، فانهم ما تكاد تخبو نارهم وتلمع حتى تفاجأ بقوة عباسية قاهرة ماحقة لهم ولمذاهبهم الهدامة ، وأقام فى هذا العصر الباهر منهم 8 خلفاء : السفاح والمنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والامين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، ومتوسط خلافة الواحد منهم 12 سنة



ونصف ، وينتهى هذا الدور بوفاة الواثق ، سنة 232 هجرية ثم جاء بعد ذلك قرن آخر من سنة 222 — 334 هجرية أخذت الدولة فى النزول شيئا فشيئا ، وضعفت تلك القوة ، وانهدت تلك المكانة التى كانت لهم ، فى أنفس الامم ، الاسلامية فاجترأ الامراء بالاطراف على الاستقلال ، وصار أمر الدولة فى الاضمحلال ، حتى لم يبق بيدهم الا العراق ، وفارس ، والاهواز ، وهى مملوءة اضطرابا وفتنا ، فآل الامر الى أن يتولى بغداد مملوك ديلمى أو تركى يطلق عليه أمير الامراء ، فهو صاحب السيادة والنفوذ الفعليين والسلطان المطلق ، والولاية العامة ، وليس للخليفة معه الا الخطبة قام فى هذا العصر 12 خليفة ، وهم : المتوكل والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز ، والمهتدى، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفى ، والمعتمد ، والقاهر ، والمتقى ، والمستكفى ، الذى ملك بنو بويه فى آخر عهده ، ومتوسط خلافة الواحد منهم ، 8 سنوات ونصف ، ولم يمت منهم موتا طبيعيا الا أربعة ، والباقون خرجوا من الخلافة بين قتيل ومخلوع ، وكان استيلاء بنى بويه على بغداد سنة 334 هجرية ثم جاء بعد ذلك دور ثالث من نفس هذا التاريخ الى 447 هجرية ليس للخليفة فيه الا اسم الخلافة ، وكانت السيادة والسلطة الفعلية للامة الديلمية التى كانت فى العصور الجاهلية تابعة للامة الفارسية، وكان ممثل الديالمة من آل بويه ( توزون ) الذى حظى من طرف المستكفى بشرف عز الدولة ، وهو الذى كانت اليه الكلمة العليا ، يستوزر من شاء ، ويعزل عنها من شاء ، حتى ضربت السكة فى اسمه ، وبقى الخليفة كرئيس شرفى للدين ، وكان الديالمة شيعة زيدية لآل على يرون الحق لال على ، فى الخلافة ، ومن ثم كان توزون الملقب بعز الدولة يعزم على تنحية الخليفة العباسى وابداله بخليفة علوى صاحب الحق المغصوب ، ولكن بعض خواصه نصحه واشار عليه بأن لا يفعل ، والا فضل بأن يظل مأمورا بعد أن كان أميرا ، قائلا له : انك مع خليفة تعتقد أنت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا ، فاعرض عما كان قد عزم عليه وابقى اسم الخلافة لبنى العباس ، وظل الخليفة على هذا الحال كأنه مطلق موظف مع الدولة له كاتب واحد يدير شؤونه واقطاعاته ، ويتناول منهم ما يقوم بأوده ، ليس له تصرف ولا نفوذ ، يومر فيأتمر ، ويفعل ما يراد منه ، لا ما يريد وليس له على أنفس المالكين شىء من النفوذ الروحى لانهم أجانب عن دين الاسلام ، فعقيدته وعقيدتهم متباينتان ، وكونهم شيعة غلاة فى على وآل

بيته لا يصرفهم عن عقيدتهم باطنا ، وان كانوا يتظاهرون بالاسلام ، ويفضلون آل على على من عاداهم ، وقد رأيتهم كيف قدموا مصلحتهم على حق شيعتهم ، وابقوا الخليفة العباسى الصورى كرئيس شرفى لهم ، ليكون امره هينا عليهم يبقونه متى رأوا المصلحة ببقائه ويعزلونه متى رأوا عزله خيرا لهم، ان لم يفضلوا قتله ، وقد تام فى هذا الدور المستكفى بالله ، والمطيع ، والطائع ، والقادر ، والقائم ، ومتوسط مدة الخليفة منهم 22 سنة ونصف ، وكان القائم هو حلقة الاتصال فى هذا الدور ، يليه فيه الثلاثة الاولون من خلفاء هذا الدور ، خلعهم بنو بويه ، ثم جاء بعد هذا دور آخر ، من سنة 447 — 550 هجرية ، انتقل النفوذ الفعلى فيه الى أمة تركية ، يمثلها قيم من آل سلجوق يقيم ببلاد الجبل من تركيا ، وكان بنو العباس فى هذا الدور أحسن حالا منهم مع بنى بويه الديلميين . وذلك لما كان بين الطرفين من النفوذ الروحى ، لان الامراء الاتراك كانوا متدينين بالمعنى الصحيح ، ولذلك كانوا يحترمون خلفاءهم العباسيين ، ويبدون لهم من مظاهر التعظيم والاجلال ، ما يقضى به منصبهم الدينى لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ولى فى هذا الدور 7 خلفاء ، وهم : المقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمتقى ، والمستنجد ، والمستضىء ، ومتوسط خلافة الواحد منهم نحو 20 سنة ونصفا ، ولم يكن الخلفاء فى هذه المدة على حال واحدة ، فانهم من عهد المسترشد ، شرعوا يستردون السيادة والنفوذ الفعلى شيئا فشيئا ، فى بغداد حاضرة خلافتهم وما جاورها من بلاد العراق ، والذى ساعدهم على ذلك خضوع بنى سلجوق ، وبعدهم عن حاضرة الخلافة بغداد ، وهم بتركيا وتفرقهم فى البلدان ، ووقوع الحرب بينهم حتى تم استبدادهم بأمر العراق فى عهد المقتفى ثم انقضت دولة السلاجقة سنة 490 هجرية على يد خوارزم شاه ، واضمحل نفوذهم فى العراق تماما ، ثم مكث العباسيون بعد سقوط السلاجقة ، 66 سنة لم يكونوا فيها تحت سلطان احد ، بل كانوا مستقلين بنفوذهم فى العراق الى قيام المغول التتر بثورتهم ضد العالم الاسلامى ، وقد ابتدئت حركتهم بأقصى بلاد التركستان فعصف ريحهم بالبلاد الاسلامية قتلا وحرقا وتخريبا ، ولما انتهوا الى بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية ، قتلوا بها فى ظرف 24 ساعة الفى الف وستمائة الف 2،600،000 نسمة ، ثم قتلوا الخليفة المعتصم بأمر الله ، والقوا بخزائن كتب العلم فى نهر الدجلة ، حتى كانوا يمرون عليها بخيلهم ، وعلقوا مصاحف القرآن الكريم فى أعناق الكلاب ، فدخل رعبهم صدور الناس ، حتى



كان التترى الواحد يوقف 40 رجلا ويذبحهم وحده ، واحدا تلو الآخر وهم ينظرون مثل الاكباش ، ليس منهم من يحرك ساكنا ، وبموت المعتصم بالله خمد نفس الدولة العباسية ودخلت فى خبر كان على يد هلاكوخان سنة 656 فى النصف الثانى من القرن 7 الهجرى : لله الامر من قبل ومن بعد » لا رب سواه .

## ملخص الاعمار التى مرت بالدولة العباسية

### العصر والسنة :

100 — عصر القوة والعمل الحاسم من سنة 132 — 232 .
102 — عصر استبداد المماليك والاتراك من سنة 232 — 334 .
113 — عصر استبداد الملوك من آل بويه من سنة 334 — 437 .
083 — عصر استبداد آل سلجوق الاتراك من سنة 447 — 530 .
126 — عصر استعادة العباسيين بعض نفوذهم من سنة 530 — 656
مجملها سنة 524 .

## ترجمة ادريس الثانى فى المغرب

فهو رحمه الله ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . مولده بمدينة ( وليلى ) من بلاد المغرب الاقصى ، خلق يوم الاثنين 3 رجب الفرد الحرام عام 177 هجرية ، وكنيته أبو القاسم صفته صفات أبيه كان ابيض اللون مشوبا بحمرة أكحل العينين جعد الشعر جميل الوجه اقنى الانف مليح العينين ، ابلج ، أفلج ، ادعج ، واسع المنكبين، شثن الكفين والقدمين ، مربوع القد ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو فيما بين ذلك ، وكان فصيحا بليغا اديبا ، عاملا بكتاب الله وسنة رسوله ، قائما على حدوده ، راويا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، عارفا بالفقه والسنة ، والحلال والحرام وفصول الاحكام ، ورعا تقيا ، جوادا كريما حازما بطلا ، شجاعا عبقريا صاحب حلم واسع ، وعقل راجح ، ورأى مصيب ، جرىء مقدام فى مهمات الامور ، معاصروه ، يعاصره الخليفة المامون فى بغداد من بلاد الشرق من سنة 198 هجرية ق سنة 813 ميلادية الى 218 هجرية ق 833 ميلادية وفى مغرب اربا من بلاد الاندلس الحكم بن

هشام ثالث أمراء بنى امية بها من سنة 180 — 206 هجرية ، ثم ابنه عبد الرحمن الثانى من سنة 206 — 238 هجرية ويعاصره فى افريقيا من بنى الاغلب عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ، من سنة 196 — 201 هجرية ، ثم ابنه زيادة الله بن ابراهيم ، فاتح جزيرة صقلية من سنة 201 — 223 ه ، ويعاصره فى فرنسا شارلمان المتوفى سنة 814 ميلادية ، ويعاصره فى القسطنطينية ليون الارمينى من سنة 813 — 820 ميلادية ، ثم ابنه ميخائل الثانى الملقب التمتام من سنة 820 — 829 ميلادية .

مناقب ادريس ، قال داود بن القاسم : شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر ، فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فركب فرسه ، فتقدم للقتال ، فقاتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرة ، ثم يكر فى الجانب الثانى لم يزل على ذلك حتى ارتفع النهار ، ثم رجع الى رايته ، فوقف بازائها ، والناس يقاتلون بين يديه ، فجعلت انظر اليه ، واكثر من الالتفات نحوه ، وهو تحت ظلال البنود أى الاعلام يحرض الناس ويشجعهم ، فأعجبنى ما رأيت من شجاعته وقوته وثبات جأشه ، فالتفت الى وقال : ياداود مالى أراك تكثر النظر الى ؟ فقلت ايها الامام : لقد أعجبنى منك خصال لم أرها فى غيرك ، فقال ، وما هى ؟ فقلت (1) ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ، وطلاقة وجهك ، وما خصصت به من البشر عند لقاء العدو ، فقال : ياداود ، ذلك الذى رأيت هو ما ورثناه من بركة جدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعائه لنا وصلاته علينا ، ثم هو وراثة عن أبينا الامام على كرم الله وجهه ، ثم قلت له : (2) أيها الامام انى اراك تبصق بصاقا مجتمعا ، وانا اطلب قليلا من الريق فى فمى فلم اجده ، فقال : يا داود ان ذلك من اجتماع عقلى وقوة بأسى عند اللقاء فى الحرب ، واما عدم الريق من فيك فلطيش بك ، وافتراق عقلك ، وما خامرك من الرعب ، ثم قلت له : (3) أيها الامير ، انى اتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك ، وقلة قرارك فى موضعك فقال : ذلك الذى تراه منى هو من زمعى الى القتال، مع حزم وصرامة وهو احسن ما يكون فى الحروب ، فلا تظنه رعبا ، ثم جعل ينشد ويقول :

اليس ابونا هاشم شدّ ازره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولم نشتك قط ما يؤول الى النصب

وكان شاعرا مجيدا ، ومن مناقبه رضى الله عنه بناء مدينة فاس ،



وسبب بنائها انه فى سنة 189 هجرية ، وفدت عليه وفود غزيرة من العرب المهاجرين الذين كانوا يتشيعون للبيت العلوى ، فوجد فيهم أنسه ، وحتى يامن بهم من غدر البربر ، ولن يزال شعار نقص فى رجولتهم ، ووصمة عيب فى اخلاقهم فهى منقصة ورائية فى الاخلاق لا زالت طابع عقبهم أصلح الله من شأنهم ، ويظهر ذلك من فعل بهلول بن عبد الواحد المتقدم فى الذكر براشد ، ثم أعاد الكرة على ادريس فتفطن له وقال فى ذلك شعرا ، ثم نمى ذلك وتكرر بتكرار الفتن مع الادارسة حتى كان خاتمة عقدهم الحسن ابن كنون ياتى الكلام عليه ، ومن أجل هذه الخلة الماكرة جعل ادريس يبحث عن العنصر العربى ليعينه فى مأمن من الغدر من أعدائه الاغالبة ، فاستوزر من الوافدين عليه من العرب ؛ عمير بن مصعب الازدى ؛ وكان من فرسانهم وسادتهم ، ولابيه مصعب مآثر عظيمة بافريقيا والاندلس ومشاهد كثيرة فى غزو الروم ، كما استقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ، ورعا ، فقيها نظيفا سمع من الامام مالك وسفيان الثورى ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ، ثم وفد على ادريس فى جملة من وفد عليه من العرب ، ثم لما استقرت الامور ، وكثرت الوفود العربية عنده ، وقد اجتمع اليه خلق كثير من البربر فى مدينة وليلى حتى ضاق بهم المكان ، وكثرت الحاجة الى الماء الغزير ، ثم جعل ادريس يفكر فى انشاء مدينة فى موضع كثير المياه ، ومرت مدة فى البحث على العثور على مكان صالح لاقامتها فلم يوجد ، ثم بعد ذلك ندب وزيره ( عمير ) بن مصعب الازدى فى جماعة ، حتى يتخيروا مكانا صالحا لبنائها ، ولما وصل الى مكان مدينة فاس نظرا الى غيظة بين جبلين ملتفة بالاشجار مطردة العيون والانهار ، وكان فى بعض جهاتها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة ، يعرفون بزواغة ، وببنى يرغيش ، فرجع الى الامام ادريس ، واعلمه بما وقع عليه استحسانه من هذه الارض ، لكثرة مائها وطيب هوائها ، وجودة تربتها ، ورطوبة موقعها الصحى ، مع اعتدال فى المناخ بها فسأل عن مالك الارض ، فقيل له : هى لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال الامام ادريس هذا فال حسن فبعث اليهم كاتبه الفقيه أبا الحسن بن عبد الله ابن مالك الخزرجى الانصارى ، فاشترى منهم مواضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك ، وكانوا اهل اهواء مختلفة ، منهم من كان على الاسلام ومنهم من كان على المسيحية النصرانية ، ومنهم من كان على اليهودية ، ومنهم من كان على المجوسية ، وهم بنو يرغيش ،

وكانت خيامهم بما يعرف اليوم بحومة الاندلس ، وكان بيت نارهم بالشيوبة أو شيلوبة ، وكانت قبيلة زواغة بعدوة القرويين ، وكان القتال مستمرا بين القبيلتين على مر الايام من اجل حدود الارض بينهما ، فبعث اليهما المولى ادريس من ندبهما الى الصلح ، فأصلح بينهما ، ثم اشترى منهما الغيظة ، وكانت لتراكم اشجارها يسكنها اجناس من الحيوانات كالسباع والخنازير ، وقد تم بيع الغيظة المذكورة يوم الخميس غرة ربيع الاول من سنة 191 هجرية .

## بناء مدينة فاس

ثم نزل الامام ادريس بها وضرب ابنيته وقبابه بالموضع المعروف اليوم بجراواة ثم شرع فى بناء السور ، ودور عليها سياجا من القصب والخشب ، وسمى الموضع بجراواة ، وفى سنة 192 هجرية اختط عدوة الاندلس وفى سنة 193 اختط عدوة القرويين ، وبنى مساكنه بها ثم انتقل اليها ، ثم أدار السور بها ، وكان ابتداؤه من جهة القبلة ، كما بنى بها الجامع الذى برجته البير المعروف بجامع الاشياخ ، واقام فيه الخطبة ، ثم رجع لعدوة القرويين ونزل منها بموضع يعرف بالقرمدة فضرب قبة قيطونه بها ثم شرع فى بناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفاء ، شرفها الله بذكره ، واقام فيه الخطبة ، ثم اخذ فى بناء دار سكناه ، وهى المعروفة الآن بدار القيطون ، التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من أحفاده ، ثم بنى القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وادار الاسواق حوله من كل جانب ، ثم قال لهم من ابتنى موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله .

## دعاء المولى ادريس عند الشروع فى البناء

وذكر انه لما اراد الشروع فى البناء توجه لله رافعا يديه اليه ، قائلا فى دعائه : اللهم اجعلها دار علم وفقه ، يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل اهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ، ثم اخذ المعول بيده وابتدأ بحفر الاساس ، وانسب ما يروى فى سبب تسميتها بفاس ، ما ذكر من أن راهبا اتى المولى ادريس وسأله عن العمل الذى يقومون به ، فأخبره بأنه شرع فى بناء مدينة بهذا الموضع ، فأخبره الراهب بأن مدينة قديمة العهد كانت هنا فخربت منذ 17 قرنا وكانت تسمى ساف ، ولكن اقلبوا اسمها



فقلبوه فأتى منه « فاس » فسميت مدينة فاس ، ولما فرغ الامام ادريس رضى الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته ، واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وحاضرة الخلافة الحسنية فى المغرب الاقصى . وفى سنة 197 هجرية ، خرج برسم غزو قبائل المصامدة من بلاد النفيس ، وتعرف اليوم بقبائل سوس ، ومدينة اغمات ففتح سائر بلاد المصامدة ثم رجع الى فاس واقام بها الى شهر المحرم من سنة 199 هجرية ، ثم خرج برسم غزو قبائل نفزة — وتعرف اليوم بقبارل بنى يزناسن — وما اليها من بلاد تلمسان ، فحاربها ودخل مدينة تلمسان ، فنظر فى احوالها واصلح أسوارها وجامعها ، وصنع فيها منبرا فقال أبو مروان : عبد المالك ، دخلت مسجد تلمسان فى سنة 255 هجرية ، فرأيت فى راس منبرها لوحة من بقية منبر قديم سمرت عليه مكتوب فيها ، هذا ما امر به ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم فى شهر المحرم سنة 199 هجرية ، ثم أقام ادريس بها 3 سنوات ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها حتى توفى رحمه الله سنة 213 هجرية وله من العمر 36 سنة ، ودفن بمسجد الشرفاء بازاء الحائط الشرقى منه ، والصحيح انه دفن بقبلته حيث هو الى اليوم ، ولذلك تنبغى زيارته والترحم عليه من قبل وجهه الشريف من وراء القبة بنفس الشارع المرور الى جامع القرويين وهو الصواب ، واما ما يفعله الجهلة داخل القبة من الدخول تحت الكسوة والكلام السرى والتمسح بالشباك وغيره فهو من البدع المنكرة . وقال البرنوسى توفى ادريس بن ادريس بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى ليلة 12 من جمادى الاخيرة ، سنة 213 هجرية ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط وليلى ، وكان سبب وفاته انه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ، وكانت خلافته بالمغرب 26 سنة قمرية .

## بيت الامام ادريس الثانى

خلف الامام ادريس الثانى من الذكور 12 ولدا ذكرا وهم على المشهور:

| | |
|---|---|
| (1) محمد . | (7) يحيى . |
| (2) عبد الله . | (8) القاسم . |
| (3) عيسى . | (9) عمر . |
| (4) ادريس . | (10) على . |
| (5) أحمد . | (11) داود . |
| (6) جعفر . | (12) حمزة . |

وكان محمد اكبر اخوته سنا ولذلك خلف أباه ادريس فى الامامة بعهد منه اليه ولذلك بويع بالخلافة فى 15 من جمادى الاخيرة اى بعد ثلاثة أيام من وفاة أبيه .

## ترجمة الامام محمد بن ادريس الثانى

فهو الامام محمد بن ادريس الثانى بن ادريس الاول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حرة من أشراف نفزة فهى من عائلة جدته كنزة النفزية ، ومن أوصافه انه كان أسمر اللون ، حسن القد مليح الوجه شاب السن جعد الشعر ، ولما تم له الامر بعد البيعة قسم بلاد المغرب بين اخوته ، وذلك باشارة جدته كنزة ، فاختص (1) القاسم منها بطنجة وسبتة ، وقصر مصمودة ( القصر الصغير ) والبصرة ، وقلعة حجر النسر ، وتطوان ، وما والى ذلك من القبائل والبلاد ، واختص (2) عمر منها بتكساس وترغة ، وما حولها من قبائل غمارة وصنهاجة ، واختص (3) داود ببلاد هوارة ، وتسول ، وتازا وما حول ذلك من قبائل مكناسة وغياثة ، واختص (4) يحيى بأصيلا والعرائش والقصر اى الكبير ، وما والى ذلك من بلاد ورغة ، واختص (5) عيسى بسلا وشالة — وهى خربة بجانب الرباط على نهر أبى رقراق — وتامسنا وآزمور ، وما والى ذلك من قبائل تامسنا ، واختص (6) حمزة بمدينة وليلى وأعمالها واختص (7) أحمد بمدينة مكناسة ، ومدينة تادلا وما حولها من قبائل فازاز واختص (8) عبد الله بأغمات وبلاد النفيس ، وجبال المصامدة ، وبلاد لمطة والسوس الاقصى . واما الباقون فكانوا صغارا لا زالوا تحت كفالته وكفالة جدتهم كنزة ، ثم توفى الامام محمد فى 15 من جمادى الاخيرة ، سنة 221 هجرية ، وكانت ولايته 8 أعوام وشهرا واحدا ، ودفن بجانب قبر أبيه واخيه عمر ، بازاء الحائط من مسجد الشرفاء . واستخلف على امامة المغرب ولده عليا الملقب بحيدرة ، واستعير له هذا اللقب من لقب جده الامام على كرم الله وجهه ، بويع له بالخلافة قبيل وفاة أبيه ، وكان له من العمر 9 سنوات وأربعة أشهر ، سنة 221 هجرية . وهو آخر من تولى الخلافة فى سلك عقد العلميين .

## ترجمة الامام على حيدرة

فهو الامام على الملقب حيدرة بن محمد بن ادريس الثانى بن ادريس



الاول ، وقال فى الاستقصا : هو جد الاشراف العلميين — أهل جبل العلم — ومنهم المشيشيون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وأولاد سيدى محمد بن يملاح ، وأولاد سيدى الحاج موسى الرضا ، وسيأتى الكلام على تفاصيل الشرفاء العلميين وفروعهم مع الاصل الذى يجمعهم ، ولصغر سنه قامت بتربيته الحاشية والاولياء من العرب والبربر ، وأحسنوا كفالته وطاعته فكانت أيامه خير أيام ، واسم أمه رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الازدى فهى عربية ، وقد ظهر عليه من الذكاء والنبل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ثم سار فى الناس بسيرة أبيه وجده فى الدين والفضل والحزم والعدل ، واقامة الحق وضبط الثغور وقمع الاعداء ، وكان المغرب فى زمانه فى أمن ودعة ورخاء ، ثم توفى رحمه الله فى شهر رجب الفرد سنة 234 هجرية ، وكانت مدته نحو 13 سنة قمرية ، ولم يعهد لابنه مزوار وكان خاتمة السلسلة المشيشية من بنى ادريس ، ثم اتبعت هذه السلسلة المباركة بحلقات أخرى من النساك والاولياء والاقطاب من العارفين بالله حتى بلغت الى الكوكب الساطع ، والبدر اللامع الذى لقبه أهل عصره « بالشيخ الجامع » مولانا عبد السلام ابن مشيش الذى رنت شهرته مسامع العالم الاسلامى من أهل الشرق والغرب والعرب والعجم ، ولن تقف أقلام الكاتبين فى البحث عن فضله ومنبع علمه . ولا اخاله الا امتدادا من ذلك النور المنبعث من فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، معبرا تعبيرا صادقا عن ذلك السر الذى استودعه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لها يوم زفت لبيت على بن أبى طالب ، وبعد أن رفع على رأسه من السجود شكر الله ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما ، وبارك فيكما ، وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب ، كما تقدم فى ترجمتها ، وتلك السلسلة المباركة من الاقطاب هى ثمرة اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية للنسائى : اللهم بارك فيهما ، وبارك لهما فى نسلهما .

## العواصف التى مرت بالادارسة

لما كنت بصدد البحث عن الكوارث ، والاحداث التى مرت بأهل بيت على فى الشرق والغرب عبر العصور التى مروا بها ، لم يكن من المناسب أن اتتبع التاريخ وأحواله ورجاله ، غير أنى أخذت من كل حال ما يناسب المقام .

قد نشأت الدولة الادريسية الفتية بالمغرب بين عملاقين عظيمين كانا يهيمنان عليها ، احدهما بالمشرق وينبعث شره من حاضرة الخلافة الاسلامية بغداد ، ويمر فى طريقه بمركزها الانتقامى بافريقيا ( القيروان ) بتونس ، والآخر كان مقره ( قرطبة ) من بلاد الاندلس فى غرب اربا ، وكانت دولة الادارسة بينهما كلسان ميزان يتراجح بين ثقل احدى كفتيه على الاخرى .

## استيلاء العبيديين على المغرب الاقصى

وكان ذلك على يد قائدهم مصالة بن حبوس المكناسى قائد عبد الله الشيعى قد تقدم الكلام على الاغالبة ولاة افريقيا ، وكان ابراهيم بن الاغلب آخرهم ، وانه أورث بها ملكا لبنيه ، فاستمرت دولتهم بها الى أواخر المائة الثالثة ، وانقرضت على يد أبى عبد الله المحتسب داعية العبيديين ، وكان سبب ذلك ان المحتسب حج واجتمع بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ، ووعدهم بظهور المهدى من آل البيت على ايديهم ، ويكون لهم معه الملك والسلطان ، فتبعوه على رايه وصحبهم الى بلادهم ورأس فيهم رياسة دينية ، وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا برأيه ثم بايعوا مولاه عبد الله المهدى أول خلفاء العبيديين ، فاستولى على افريقيا فى خبر طويل ، ثم سمت همته الى تلك المغرب الاقصى ، فأغزاه على يد قائده .

(1) **مصالة بن حبوس** المكناسى صاحب تاهرت ( الجزائر ) والمغرب الاوسط ، ثم زحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة 305 هجرية حتى انتهى الى فاس ، فبرز اليه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الثانى الذى كان واليا على المغرب الاقصى فى جموع من العرب والبربر والموالى ، وكان لقاؤهما بقرب مكناسة ، فانهزم يحيى وعاد مفلولا الى مدينة فاس ، ثم تقدم مصالة الى فاس فحاصرها الى أن صالح مصالة يحيى على مال يؤديه اليه ، وعلى البيعة لعبيد الله المهدى فقبل يحيى الشرط ، وخرج له عن أمر المغرب ، وانفذ بيعته الى عبيد الله المهدى وعقد له مصالة على عمالة فاس وسكناه بها ، كما عقد لابن عمه موسى بن أبى العافية المكناسى ، على ما سوى ذلك من بلاد المغرب ، وموسى هذا هو صاحب تسول ، وبلاد تازا ، وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم الى المغرب وتعرف اليه ، وهاداه ، وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب ، فحسنت منزلته لديه ، فولاه بلاد المغرب كله ، ما عدا مدينة فاس واعمالها ،



فانه تركها بيد الامام يحيى ، وصار المغرب الاقصى خاضعا لنفوذ العبيديين وانصهرت الدولة الادريسية فى مملكتهم . وقال فى الاستقصا ناقلا عن ابن خلدون ، كان يحيى واسطة عقد البيت الادريسى وأعلاهم قدرا ، وأبعدهم ذكرا ، واكثرهم عدلا ، واغزرهم فضلا ، وأوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ، بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح ودين وورع ، لم يبلغ احد من الادارسة مبلغه فى الدولة والسلطان ، الى أن طما عليه عباب بحر العبيديين القائمين بافريقيا فأغرقه . وكان قائد المغرب موسى ابن أبى العافية ، بعد رجوع قائده مصالة بن حبوس الى القيروان ، كلما أراد الظهور والاستبداد بالمغرب غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه ، فقطع عليه بذلك كل ما كان يريده من الاستبداد والظهور عليه ، وكان على قلبه منه عبء ثقيل ، وانتهز فرصة رجوع قائده مصالة من القيروان للمرة الثانية سنة 309 فسعى به عنده حتى أوغر صدره عليه ، ولما قرب مصالة من فاس خرج يحيى للقائه والسلام عليه فى جماعة من وجوه دولته ، فألقى القبض عليهم وعليه ، وقيده بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه ، موثقا على جمل فاستصفى امواله وذخائره ثم عذبه بكل أنواع العذاب ، ثم نفاه الى نواحى أصيلا ، وقد ساء حاله ، وانفض جمعه ، فأقام عند بنى عمه ببلاد الريف مدة ، فوصلوه من أموالهم بما يصلح حاله ويقيم أوده ، فلم يرض الاستكانة ، فغادرهم يريد افريقيا فاعترضه ابن أبى العافية فى طريقه ، فقبض عليه وسجنه ، بمدينة الكاى ما يقرب من 20 سنة ، ثم أطلقه بعد ذلك ، فواصل سيره الى افريقيا ، وهو فى حالة فقر وذلة ، قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ ، فوصل الى المهدية التونسية على تلك الحال ، فصادف بها فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى ، وحصاره اياها ، فمات بها جائعا غريبا ، قالوا : وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس الثانى قد دعا عليه أن يميته الله جائعا غريبا فأجيبت دعوته فيه ، وكان موته سنة 332 هجرية .

ثم عاد المغرب الاقصى الى الادارسة بعد ظهور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى ، وبعد أن أطاح مصالة بن حبوس بدولة يحيى وعذبه واستصفى امواله وذخائره استعمل على فاس ريحان الكتامى ثم عاد الى القيروان ، ومكث ريحان عاملا على فاس وأحوازها نحو ثلاثة اشهر ، فثار عليه الحسن الحجام سنة 310 هجرية ودخل فاس فى جماعة من شيعته وأنصاره ، وكان شجاعا مقداما ، دخلها على

حين غفلة من أهلها فاستولى عليها ، وقتل ريحان ، وقيل نفاه عنها ، واجتمع الناس على بيعته ، ودخل فى طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب ، واستولى على عدد من مدنه ، مثل مدينة صفرو ، ومدين ، ومدائن مكناسة ، والبصرة، واستتام له الامر بالمغرب ، وعرف بالحجام لانه كان بينه وبين عمه احمد ابن القاسم بن ادريس الثانى حرب فحمل الحسن على أصحاب عمه فانهزموا فطعن منهم ثلاثة من الخلف فى مكان المحاجم ، فقال عمه المذكور : ابن أخى الحجام ، فلزمه ذلك اللقب ، وفى ذلك قـال :

وسميت حجـاما ولست بحـاجم ولكن لطعن فى مكـان المحاجم

ثم هاجمه الطاغية على أهل البيت الادريسى موسى بن أبى العافية ، خليفة مصالة على ولاية المغرب ، فخرج اليه الحسن الحجام فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادى المطاحن ، ما بين فاس وتازا ، فأوقع الحسن الحجام بابن العافية وقعة عظيمة ، لم يقع فى دولة الادارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن العافية نحو الالفين وثلاثمائة ، من بينهم ابنه منهال ، وقتل من عسكر الحسن نحو السبعمائة ، ثم كانت العاقبة لموسى على الحسن الحجام ، لعودة عسكره الى فاس مفلولا ، ولما فطن الحسن بفلول الجيش تعجل ودخل الى فاس وحده ، وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان الهمدانى ، ويقال الاوربى من قرى افريقيا دخل عليه ليلا فى داره فقيده واخذه اليه ، وأغلق المدينة فى وجه الجند ثم بعث الى موسى بن أبى العافية يخبره بصنعه ، ويستعجله فى القدوم عليه ليمكنه منه لانه كان موثقا لديه ، فسارع اليه ابن أبى العافية فدخل عدوة القرويين لم يلق فيها حربا ولقيها من عدوة الاندلس ، فحاربها حتى استولى عليها ، فطلب من حامد أن يمكنه من الحسن الحجام ليأخذ منه الثار بولده منهال أو سهل ، فكره حامد أن يسلمه له لما عرف من مصيره بيد عـدوه موسى ، وجعل يماطله فى تسليمه لما كرهه من مجاهرة سفك دماء أهـل البيت ، فجاء اليه ليلا وأطلقه من القيد ، وأدلاه عن سور المدينة دون حبل فسقط وانكسرت رجله من الساق ، فتحصن بعدوة الاندلس فمات مستخفيا بها بعد ثلاثة أيام من الحادث سنة 313 هجرية ، وكانت ولايته نحو عامين ، ثم غضب ابن أبى العافية على حامد وأراد أن يقتله ، ففر منه والتحق بالمهدية التونسية ، ثم خلص الامر لابن أبى العافية بالمغرب ، وضم اليه جميع مدنه ، وأخذ البيعة لنفسه .

## موسى بـن أبـى العـافيـة عـدو الادارسـة

من هو هذا الطاغية العتيت ؟ واللدود الحسود الذى لقى جزاء



فعله بموته شريدا طريدا عن ملك المغرب بواد ملوية ، بعد انتقامه من أهل البيت الكرام ، لم يمكث بعد محنتهم على ولاية المغرب الا 11 سنة كلها حرب عليه حتى قتل بعد رجوعه من الصحراء بوادى ملوية شريدا طريدا حقيرا ذليلا بعد العز والسلطان ، هذا هو موسى بن أبى العافية ، بن أبى تاسل بن أبى الضحاك المجدولى المكناسى التسولى وفى سنة 313 هجرية تم استيلاؤه على فاس وأخذ البيعة لنفسه ، فبايعه القبائل والاشياخ ، ولم يكن مستقلا بنفسه بل كان داعيا عميلا لاسياده مصالة ولى نعمته وعبيد الله الشيعى أمير القيروان وحاضرته المهدية التونسية ، وسماهـا المهدية لادعائه انه المهدى الفاطمى المنتظر ، وكان هدفه توحيد المغرب مع افريقيا لان المغرب فى عصر الادارسة أهل فاس لم يكن تابعا لاحد مـن الشرق والغرب بل كان مستقلا بنفوذه الى عهد يحيى بن ادريس المتقدم ، فبعث عبيد الله الشيعى قائده مصالة بن حبوس المكناسى فى تحقيق مراده ، وبعد سقوط يحيى جمع الامر لابن عمه وتركه فى يده موسى بن أبى العافية، وبعد أن تمكن من النفوذ شرع فى تصفية الادارسة من المغرب فجعـل يطاردهم ويقتلهم ويخرجهم من ديارهم فى جميع نواحى المغرب وخصوصا مدينة فاس وشالة وأصيلا والبصرة ، ولما اشتد الخناق عليهم والجيش يطاردهم من ورائهم ويقتلهم لجأوا بأجمعهم الى قلعة حجر النسر التـى ياتى الكلام عليها ثم نزل عليهم وحاصرهم بها كى يستأصلهم من المغرب ، وبعد أن اشتد الحصار عليهم وضاق بهم الامر الى أن يئسوا من الحياة ، وقد كان ذلك على مرأى ومسمع من بنى اخوالهم البرابرة ، فرقوا لهم واشفقوا عليهم ، وكان الى بعضهم الكلمة والرأى فى سياسة المغرب مع ابن أبى العافية ، فعذلوه على سوء فعله ، وقبح نيته معهم ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ؟ فهذا أمر لا نوافقك عليه ولا نتركك له ، فخاف وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى ألف فارس يمنعهم من التصرف ، وكان ذلك سنة 317 هجرية ، وبعد أن رجع الطاغية الى فاس قتل عاملها على عدوة الاندلس ، عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الازدى ، وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبى يزيد ، فلم يزل عاملا عليها الى أن خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية ، ثم انتقل الى تلمسان ، وجعل يطرد من بقى من الادارسة بأرضها ، وكانت بيد الحسن ابن أحمد أبى العيش بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى واستعمل على المغرب ولده مدين ، وأنزله بعدوة القرويين ، ثـم

التحق به جيش كبير الى بلاد تلمسان فأخرج منها الحسن المذكور وتحصن بمدينة مليلية من جزائر ملوية ، ثم زحف ابن أبى العافية الى مدينة النكور فملكها أيضا ، ثم حاصر الحسن فى حصنه اه من الاستقصا ، وقال ابن أبى زرع : ثم زحف على مدينة تكرير ، وهى التى تعرف اليوم بتاوريرت ، فتم له الاستيلاء عليها ، وقال فى الاستقصا ثم عقد سلما للحسن على حصنه ، وبعث بالبيعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بالاندلس ، وانقلب على دعوة العبيديين ، ثم قام بدعوته وخطب له على جميع منابر المغرب ، سنة 320 هجرية ، فاتصل خبره بعبيد الله الشيعى بالمهدية التونسية ، بأنه نكث بيعته وبايع للامويين بالاندلس فبعث عبيد الله الشيعى قائده حميد بن سهل الكتامى ، ومعه حامد بن حمدان الذى كان سابقا عاملا على فاس ، وهرب من ابن أبى العافية ، فى أمر عدم تسليم الحسن الحجام، ومعه 20 ألف من العساكر ، فالتقى بابن أبى العافية بموضع يعرف بفحص ميسون ، فجرت بينهما حرب طاحنة ، ثم ان حميد بيته ليلة فضرب فى عسكره ليلا ، فانهزم ابن أبى العافية وأصحابه ، وفر الى مدينة بأرض تسول ، تسمى عين اسحاق ، فتحصن بها ، وارتحل حميد بن سهل الى فاس ، فلما قرب منها هرب عنها عاملها مدين بن أبى العافية ، فدخلها حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعى ، وورد عليها عاملها السابق حامد ابن حمدان ، فوصل الخبر لاهل قلعة حجر النسر بخبر هزيمة ابن أبى العافية ، وهروب ابنه عن مدينة فاس فثاروا على أبى الفتح التسولى ونهبوا عسكره وخرجوا من حصارهم الذى دام عليهم أربع سنوات ، وقد تم ذلك سنة 321 هجرية ، وأثناء ذلك ثار أحد عمال ابن أبى العافية ، أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامى على حامد بن حمدان عامل فاس من قبل حميد بن سهل قائد عبيد الله الشيعى ، وقتله ، وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبى العافية ، ثم قام هو ببعثه الى عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى بعدوة الاندلس من غرب اربا ، ونصب عاملا آخر على فاس من قبل ابن أبى العافية داعيا للمروانيين بالمغرب ، بعد موت عبيد الله الشيعى سنة 322 هجرية ، وعادت الدعوة فى المغرب الى بنى مروان ، ثم ولى بعد عبيد الله الشيعى ابنه أبو القاسم بن عبيد الله المهدى ، ولما وصله خبر ما صار اليه المغرب من دعوة المروانيين وجه اليه قائده ميسور الفتى كما عند ابن أبى زرع* والخصى ، والاستقصا سنة 323 هجرية ، اثر وفاة والده عبيد الله الشيعى ، فزحف على مدينة فاس فحاصرها أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبى بكر مبايعا بعد أن أحجم ابن أبى العافية



عن لقائه ، وفر وتحصن بمدينة آلكاى ، وقدم بين يديه هدايا جليلة ، فقبض ميسور الهدايا والاموال ، ثم ألقى القبض على بكر فقيده وبعث به الى المهدية التونسية ، ولما أنذر أهل فاس عليه واغلقوا ابوابهم دونه ، وقدموا على انفسهم حسن بن فحاصرهم ميسور سبعة اشهر ، فرضخوا للسلم ، فصالحهم ستة آلاف دينار ، وانطاعا ، ولبودا ، وقربا للماء ، وأثاثا الى أبى القاسم المهدى الشيعى بالمهدية التونسية ، وخطبوا فاس كلها فقبل منهم ميسور ذلك ، وارتحل عنهم الى مواص ابن أبى العافية ، وكانت هذه فرصة سانحة وانتصارا عظ من بنى ادريس على طاغيتهم وعدوهم أتاهم الله بها من حي ثم التحق أبناؤهم بجيش ميسور الفتى لملاحقة عدوهم م العافية ، ثم تبعه ميسور حتى لحق به ، وجرت بين الف طاحنة ، ولى معظمها الابطال من بنى ادريس ، فقاتلوه حت أمامهم فى الصحراء ، وتفرق عنه من كان معه من الجيش بالصحراء شريدا طريدا ، الى ان رجع للمغرب فريدا وحيدا فلقى حتفه وقتل ببعض بلاد ملوية ، سنة 331 هجرية ، وقيل سنة 328 وبذلك انتهى أمر طاغية أهل البيت الادر عليهم معه ما يقرب من 20 سنة ، ذاقوا فيها أعظم بلاء من والنفى والتشريد ، والجوع والتقييد ، وكانت نيته فى التصفي الى الابادة الكلية ، لولا العقلاء من وجوه رجاله ، الذين فوقفوا فى وجهه ، ومنعوه من تنفيذ مراده ، فى أهل البيت ال واليهم يرجع الفضل فى بقاء هذه الذرية الطاهرة المباركة اليوم ، والحمد لله على فضله واحسانه اذا لكل منه واليه

## ترجمة عبيد الله الشيعى

قال المؤرخون : موئل الدولة الفاطمية ( قرية سلمية حمص من بلاد ما يعرف اليوم بسورية ، والعبيدية هى ولخوفهم من العباسيين كانوا يختفون من وراء العناوين وراء الاسوار والاحجار والاشجار واللباس ، وقد ارتك عليهم حتى لا يرصدونهم فيتمكنوا من قوتهم ، لانهم كانوا آثار أبناء العلويين ، ومن أجل ذلك صاروا يظهرون تارة

وتارة فى مغايره ، حتى يلتبس الحال عليهم وتضل عنهم حقيقة أمرهم ، فلا يعيرونهم كبير الاهتمام بهم فينجوا من مكرهم والفتك بهم كما فعلوا بسلفهم ، فمنهم المقتول فى المعركة ، ومنهم المسموم ، ومنهم المعذب المسجون وقد مر الكلام على جميع ما نالهم من قبلهم فراجعه فى محله ان أردته.

ويرجع نسل عبيد الله الشيعى الى نسل ميمون القداح من الديصانيين والديصانية والباطنة هما من صنع أهل البيت العلوى ، صنعوا ذلك كى يتوصلوا الى الظهور عن طريق الدعاة من شيعتهم دون أن يتفطن لهم أبناء عمهم العباسيون ، وقد انتقلوا الى قرية سلمية من البصرة ، وأن عبيد الله المهدى المعروف بالشيعى رأس الدولة الفاطمية العبيدية من نسل ميمون القداح ، واسمه الحقيقى ( سعيد بن الحسين ) بن عبد الله بن ميمون القداح ، وانه تسمى بعبد الله لما ورد على مصر بالغرض السياسى المذكور، والعناوين مهما كانت سرية الا وحامت حولها الظنون ، وجعلتها الشكوك فى ظلمات حتى لا تتميز حقيقتها فنشأ عن هذا المذهب قوتان كبريتان : احداهما منظمة معتدلة ، ومركزها قرية سلمية وهى موئل الدولة الفاطمية العبيدية ، ومجمع أسرارها على غرار ما كانت عليه الحميمة أيام الدعوة العباسية .

والاخرى قوة منحرفة ذات فوضى وجور ونكوب عن الطريق ، ولاول ظهورها كان مركزها بالعراق ، قد ظهرت بوادر شرها فى عهد المعتمد على يد القرامطة من شيعة آل على ، وانظر التاريخ على الباطنية وافعالهم وأحوالهم ، وان آل على وشيعتهم بمثل هذا مع مرور الزمن اتوا على الدولة العباسية من أساسها حتى كان لهم شأن الى جانبها أيام ضعف أمرها .

وكان عبيد الله الشيعى أحد الدهاة السياسيين ، وفى نسبه خلاف طويل ، وقد تقدم بعض الكلام عليهم ، وان على الرضى نقيب الطالبيين ببغداد قال : انهم منهم ، وقد نقلت من شعره ما يدل على ذلك وانهم أبناء عمهم الا أن السياسة هى التى منعتهم من لباسهم الحقيقى ، وقد كان هذا بث رجالا من شعيته فى المغرب يبشرون بزمان ظهور المهدى المنتظر ، ويدعون اليه ، فاستجاب لهم خلق كثير ، ولما اتصل خبرهم بالمكتفى بالله العباسى طلب القائم بدعوتهم ففر مختفيا الى أن وصل الى سجلماسة ، فقبض عليه عاملها، وعلى ابنه أبى القاسم ، ولما استفحل أمر داعية عبيد الله الشيعى فى افريقيا قدم الى سجلماسة وأخرجهما من السجن ثم رجعوا الى افريقيا ، وبويع له فى القيروان البيعة العامة سنة 297 هجرية واستقام أمره ،



وبعث العمال الى النواحى ، واختط مدينة المهدية بافريقيا ( تونس ) سنة 303 هجرية وفرغ منها سنة 308 واتخذها قاعدة ملكه الى أن مات بها سنة 321 هجرية ، وكانت أيامه نحو 24 سنة .

## قلعة حجر النسر معقل الادارسة

وهو حصن منيع مرتفع جدا طلع فى عنان السماء بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثانى ، يطل من أحد جانبيه على قبيلتى آل سريف وبنى يوسف وموقعه فى الجانب الغربى من قبيلة سماتة ، ويبعد عن تطوان فى الجنوب بنحو 100 ميل ، ولن تزال به معالم أثرية من البنيان والنحت الحجرى ما يشهد بواقع الامر ، وما كان عليه الناس من العظمة والسلطان فى أيامهم حتى فى رؤوس الجبال ويوجد تحته قرية صغيرة تسمى ( دار الراطى ) يوجد بها من جمال النساء ما يلفت الانظار ، وذلك معروف بين سكان قبيلة سماتة ، وفوق القرية المذكورة يوجد مشهد عظيم يعلوه خمس قباب بنى فى عهد المولى عبد الرحمن العلوى الوسطى منها لضريح الولى الصالح جد الاشراف العلميين سيدنا العارف بالله تعالى الناسك العابد أحمد مزوار المتوفى سنة 350 وتاريخ بناء القبة 1213 هـ وكان المشرف على بنائها عامل العرائش وناحيتها السيد أبو سلهام أزطوط وأمام روضته قبر ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثانى .

وبعد أن استراح الاشراف الادارسة من عدوهم اللدود موسى بن أبى العافية ودخل سلطانه فى خبر كان ، اجتمع الاعيان والوجهاء منهم بقلعة حجر النسر معقلهم وعاصمة أمرهم فى الشدة والرخاء فى عهدهم الاخير ، ورشحوا لامامة المغرب خيرهم وافضلهم الامام القاسم الملقب كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس الثانى ، ثم اخذت له البيعة من جميع مدن المغرب وقبائله ما عدا مدينة فاس لان فيها للمؤرخين قولين ، ثم يأتى ثالث ؛ (1) للبرنوسى ، فانه قال : لما مات موسى بن أبى العافية ولى الامر بعده ولده عبد الله ابن ابراهيم بن موسى بن ابى العافية الى ان توفى سنة 360 هجرية ، فولى بعد عمله ولده محمد ، وعليه انقرضت أيام بنى ابن أبى العافية المكناسيين ، وهناك رواية أخرى فى محمد هذا وفى أسلوبها بعض الغموض لاختلاط الامر واشتباهه على المؤرخين ، ومن تأمل وجد السبيل مذللا سهلا وذلك انه ذكر بعض المؤرخين لايامهم ، انه لما توفى عبد الله بن ابراهيم المذكور ، ولى بعده ابنه محمد المحارب للمتونة فكانت بينه وبينهم حروب